المكتبة السياسية

الصهيونية والنازية

دراسة مقارنة

تأليف

دكتور محمد كمال الدسوقي

عبد التواب عبد الرازق سلمان

١٩٦٨



دار المعارف بمصر

الصهيونية والنازية

دراسة مقارنة

تأليف

دكتور محمد كمال الدسوقي

عبد التواب عبد الرازق سلمان

١٩٦٨



دار المعارف بمصر



الناشر : دار المعارف بمصر ١١١٩ كورنيش النيل ج. ع. م.

محتويات الكتاب

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

مقدمة

فى هذه المرحلة الحاسمة التى تمر بها أمتنا العربية فى مواجهة الإستعمار والصهيونية العالمية يتكشف النقاب عن حقيقة الالتحام العضوى للاستعمار مع أداته الإستعمارية إسرائيل ، متمثلا فيما تقوم به قوى الإستعمار العالمى وعلى رأسها أمريكا من دعم مستمر متواصل لاسرائيل تحت ضغط الصهيونية العالمية.

وقد شهد العالم فى فترة من تاريخه حركة مماثلة للحركة الصيهيونية ، وهى الحركة النازية التى ظلت تمسك بزمام السياسة الدولية فترة قصيرة من حياة الإنسانية .

وقد يقول قائل ماعلاقة الصهيونية بالنازية حتى يكون هذا عنوانا للكتاب ، والصهيونية حركة عالمية والنازية كانت حركة محلية ؟ والواقع أن النظر إلى الموضوع بهذه الطريقة يفتقر إلى الشمول والموضوعية ، ذلك أن الصهيونية والنازية تتشابهان فى البعد المحلى ، كما تتشابهان فى البعد العالمى كذلك ، فالعنصر كان أساس النازية ، وهو أساس الصهيونية كذلك ، ولاخلاف فى البعد المحلى لكلا الحركتين حتى ولو كانت النازية قد استندت فى أساسها العنصرى على تصفية عنصر آخر وهو اليهود ، كذلك تستند الصهيونية العالمية على العدوان والتوسع كأسلوب فى تنفيذ مخططاتها للسيطرة على العالم ، كما اعتمدت النازية على التسلح والعدوان على جاراتها الأوربيات لتنفيذ مخططاتها الهادفة إلى إنشاء إمبراطورية نازية تسيطر على أكبر رقعة من العالم .

إن الصهيونية والنازية تتشابهان فى الإيديولوجية والتطبيق وتتستران خلف ألوان من التضليل والتمويه والخداع بهدف إبراز الصورة الظاهرة على غير الحقيقة الكامنة فى كل منهما ، حتى لا تفطن الشعوب إلى خطورة كل منهما ، ومن ثم تعد العدة للتخلص منهما إنقاذا للبشرية من استشراء خطرهما وتفاقمه .

لقد شهد العالم بنهاية الحرب العالمية الثانية نهاية النازية وتبدد الحلم الذى كان يراود خيال غلاة النازية وقادتها، وانهارت النازية التى كان مقدرا لها فى أذهانهم ألف عام أو أكثر، إنهارت تحت ضغط التضامن العالمى، ووقوف الشعوب ضدها، ولم تجد تلك الأكداس المكدسة من الأسلحة فى خلق الامبراطورية الألمانية المزعومة ولم يستطع العدوان أن يصنع حضارة، ولا السلاح أن يخلق إمبراطورية، ولا النزعات العنصرية أن توجد على مسرح العالم دولة مختارة ممتازة تمارس دور السيد، ويخضع لها باقى دول العالم كعبيد.

وإذا كانت النازية قد سقطت كحركة عنصرية عدوانية، فإن الصهيونية وهى حركة عنصرية عدوانية كذلك قد استفادت من سقوط النازية ومن أسلوبها، وذلك إن اضطهاد النازية لليهود قبل الحرب العالمية الثانية وأثناءها كان سبيلا إتبعته الصهيونية العالمية فى متابعة فلول النازية والإنتقام منها لأنها إتبعت وسائل وحشية مع العنصر اليهودى، بل أن الصهيونية اتخذت من اضطهاد النازية لليهود أساسا لاستدرار عطف الشعب الألمانى وتحميله بأكمله مسئولية تاريخية إزاء يهود العالم لا يهود ألمانيا فحسب، وإزاء إسرائيل أداة الصهيونية العالمية وهى التى زرعت فى المنطقة العربية بعد عدة سنوات من اضطهاد النازى لليهود.

لقد كان اضطهاد النازية لليهود، حائط المبكى بالنسبة لهم، يلجأون إليه كلما خويت خزائنهم، وكلما اشتد بهم الضيق المادى، وعلى أساسه كانت الصهيونية العالمية تضخم ما سمى «بعقدة الذنب» لدى الشعب الألمانى وضرورة «التكفير» عن هذا الذنب بسيل مستمر من التعويضات والمساعدات تحصل عليها إسرائيل كلما واتتها الفرصة لذلك.

غير أن هذه «العقدة» التى تحاول الصهيونية العالمية تضخيمها بدأت تأخذ فى الأعوام الأخيرة صورة مخالفة لصورتها السابقة، تجسد ذلك فى إثارة عديد

من الشباب الألمانى لموضوع التعويضات ومبرراتها والأجل الذى تمتد إليه لأن الشعب الألمانى لا يمكنه أن يتحمل وزر حفنة من أبنائه إلى الأبد .

لقد تكشفت حقيقة نوايا الصهيونية العالمية الضالعة مع الاستعمار ، العاملة فى خدمته ، المسخرة له ، للرأى العام العالمى ، وظهرت للعالم بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ على الأمة العربية أن إسرائيل التى كانت تلبس مسوح الرهبان قد كشفت قناعها ، وأسفرت عن وجهها ، وتحولت صورة اليهودى المستكين الى صورة الصهيونى الجلاد ..

وتنبهت قوى خيرة كثيرة فى العالم الى هذا الارتباط العضوى بين الصهيونية العالمية والإستعمار العالمى ممثلا فى أمريكا وبذلك تغيرت صورة الموقف تغيرا واضحاً .. فى مواجهة الصهيونية العالمية . . . أصبح لفرنسا موقفها المميز . . . ولانجلترا موقفها الخاص الذى لا يعمل للصهيونية العالمية فقط وزنا وحسابا .. ثم كان موقف الدول الاشتراكية فى أغلبها وقوفا صامدا الى جانب العرب فى مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية ، وأفاقت دول أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتنية على حقيقة التسلل الصهيونى الخبيث الى أراضيها .. وكانت لها مواقفها المشرفة المناصرة لقضايا العرب فى مواجهة الصهيونية العالمية .

لم يكن العدوان الصهيونى على الأمة العربية شراً كله ولكنه حمل معه بعض جوانب الخير ، لقد دفع الأمة العربية إلى محاسبة النفس ، وكشف للأمة العربية عدوها من صديقها ، وأوضح للامة العربية عوامل الانحراف التى يتعين القضاء عليها بأسلوب الحسم الثورى ، وحتم على الأمة العربية فى مواجهة هذه النكسة أن تقف وقفة مستأنية تفيق فيها من هول الصدمة لتجد نفسها اليوم أكثر من أى يوم مضى فى أمس الحاجة إلى وحدتها وتضامنها .

واذا كان الاستعمار قد بذل قصارى جهده فى فرض التخلف والتجزئة ، وخلق الكيانات القومية المصطنعة فى الوطن العربى ، فإنه قد خلق إسرائيل

كرأس جسر له ، وكمنطلق عدوان على الأمة العربية ، وكمعوق لانطلاقها فى طريق النماء الاقتصادى والاجتماعى ، وكحام للقوى الرجعية العميلة فى المنطقة العربية وكعامل تأمين لمصالحه الاقتصادية بصورة عامة والبترولية على وجه أخص.

إن الأمة العربية بإيمانها العميق ، ووعيها الصادق ، وتصميمها على تخطى النكسة تجد نفسها اليوم وقد مرت فترة الصدمة وهى تعد العدة لمواجهة الصهيونية فى معركة حاسمة تستعيد فيها الأرض المحتلة وتعيد صياغة واقعها ومستقبلها بما يحقق آمالها فى إيجاد المجتمع العربى الاشتراكى الواحد .

إن التجربة التى مرت بها الإنسانية وما عانته من النازية كحركة عنصرية عدوانية توسعية ، واكتشاف أمر الصهيونية العالمية كحركة عنصرية عدوانية توسعية تجعل المرء — إيمانا بالقيم الإنسانية والأخلاقية — يوقن أن الصهيونية ستلقى نفس مصير النازية . . . ولكن بالعمل الجاد الدءوب المخلص الشريف ، القائم على الثقة بالنفس ، والثقة بالله .

« ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لامولى لهم » .

القاهرة فى مايو ١٩٦٨

د . محمد كمال الدسوقى

عبد التواب عبد الرازق سالمان

الباب الأول

الصهيونية

الفصل الأول

ماهية الصهيونية وتطورها

تنسب الصهيونية إلى جبل صهيون فى جنوب بيت المقدس ، وقد ورد ذكر هذا الجبل فى مواضع كثيرة من التوراة — العهد القديم — منها :

- « ويكون فى آخر الأيام أن جعل بيت الرب يكون ثابتا فى رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجرى إليه كل الأمم ، وتسير شعوب كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك فى سبله لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب »
- « لأن الرب قد اختار صهيون اشتهاها مسكنا له »
- «طوبى لجميع منتظريه : لأن الشعب فى صهيون يسكن فى أورشليم »
- « على جبل عال أصعدى يامبشرة صهيون إرفعى صوتك بقوة يامبشرة أورشليم » .

ومفهوم الصهيونية منذ وجدت هذه الكلمة أنها حركة يهوديه تسعى بكل الوسائل إلى إعادة مجد بنى إسرائيل ، وبناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى ، والسيطرة على العالم ، وحكمه من القدس على يد ملك اليهود الذى هو المسيح المنتظر .

ويخطىء الكثيرون حين يظنون أن الحركة الصهيونية حركة حديثة بدأت على يد ثيودور هرتزل ، إذ أنها فى الواقع حركة قديمة كانت ترمى إلى تنفيذ هذا المخطط .

غير أن أخطر تحرك صهيونى ، قاده الصحفى النمسوى « ثيودور هرتزل » (١٨٦٠ — ١٩٠٤) إذ وضع كتابا وضح فيه أهداف الصهيونية فى تجميع اليهود وتوطينهم فى دولة يهودية خالصة . وقد استغل هرتزل حادثة الخيانة التى أتهم فيها ضابط يهودى فرنسى يدعى « دريفوس » إذ نقل أسرار الجيش الفرنسى إلى ألمانيا ، مما سبب موجة من الكراهية لليهود ، وكانت هذه الحادثة مجالا استطاع من خلاله هرتزل إدعاء براءة « دريفوس » وأن اتهامه يرجع إلى أنه يهودى ، وأن هذا الاتهام جزء من مخطط الأعمال المعادية للسامية .

وحاول هرتزل أن ينفذ إلى السلطان عبد الحميد ويستدر عطفه ، وعندما قابله فى مايو ١٩٠١ وأغسطس ١٩٠٢ أراد الحصول منه على وعد سلطانى باستيطان اليهود لفلسطين ولكن محاولاته أخفقت نتيجة لعدم موافقة السلطان، وفطنته إلى مخطط الصهيونية فى تهويد فلسطين .

وقد حاول هرتزل لدى بريطانيا ، أن يقيم دولة لليهود فى شبه جزيرة سيناء ، غير أن عدم وجود المياه فى هذه المنطقة حال دون تنفيذ المشروع .

وعرضت بريطانيا على هرتزل إقامة دولة لليهود فى أوغندا ، فقبل الفكرة، ولكن المؤتمر اليهودى السادس الذى انعقد فى ١٩٠٣ رفض المشروع وأصر على أن تكون فلسطين وطنا قوميا لليهود ، وتوفى هرتزل على ١٩٠٤ .

والأمر الغريب فى هذه العروض أو الاتفاقات أنهـا تتم بين من لايملك (وهو بريطانيا) وبين من لا حق له (وهو الحركة الصهيونية) .

غير أنه من الأهمية بمكان إن نشير إلى أن حركة هرتزل كانت تركز على عقد مؤتمرات سنوية تضم كبار الصهاينة ، وقد بدأت هذه المؤتمرات سنة ١٨٩٧ فى مدينة بال بسويسرا بعقد أول مؤتمر صهيونى فى ٢٩ أغسطس ضم الكثيرين من الصهاينة ، واتخذ المؤتمر قرارات علنية وأخرى سرية .

فأما القرارات العلنية فكان أهمها تأسيس دولة لليهود فى فلسطين وتمهيدا لذلك حث اليهود على شراء الأراضى فى فلسطين وتنمية مواردهم المالية وتشجيع الهجرة إلى فلسطين وانعاش اللغة العبرية والترويج لفكرة المنشأ المشترك بين اليهود فى مملكة صهيون القديمة ودعوة اليهود فى أنحاء العالم للبذل والتبرع لتحقيق أهداف الصهيونية ، وكان يساند هذه الحركة من الناحية المادية والمعنوية كبار يهود أمريكا وعلى رأسهم أسرة روتشيلد .

وأما القرارات السرية ، فهى تلك التى أطلق عليها « بروتوكولات حكماء صهيون » غير أنها لم تعد سرا وإنما تسربت نسخة منها إلى مراسل جريدة المورننج بوست اللندنية فى روسيا فى أوائل القرن العشرين وقام بترجمتها إلى اللغة الإنجليزية (١) .

وليس هناك أبلغ من تعليق القاضى الأمريكى أرمسترونج فى كتابه «الخونة» على هذا المؤتمر الصهيونى الأول إذ قال :

« إن فكرة قيام عصبة الأمم ، وهيئة الأمم المتحدة ويتبعها إمبراطورية صهيونية عالمية قد طرحت بهذا الترتيب الزمنى على بساط البحث فى المؤتمر الصهيونى الأول الذى انعقد فى مدينة بال عام ١٨٩٧ ، لقد أعلن الصهيونيون المجتمعون فى هذا المؤتمر ، أن هدفهم يرمى إلى إخضاع الشعوب المسيحية فى فى العالم ، وتأسيس إمبراطورية صهيونية يرأسها ملك ، يكون إمبراطورا على العالم كله ، وتكشف الخطة عن فكرتهم فى الغزو والفتح ، وقد كانوا

(١) ترجمت هذه البروتوكولات إلى اللغة العربية فى عام ١٩٥١ ، إذ ترجمها الأستاذ محمد خليفة التونسى ونشرتها دار الكتاب العربى ، كما ترجمها الاستاذ سيد أحمد حامد الفقى ١٩٥١ وطبعتها مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ، كما قام بعرض لترجمة هذه البروتوكولات الاستاذ شوقى عبد الناصر عام ١٩٦٧ ونشرته مطابع دار التعاون للطبع والنشر .

يتبجحون فى هذا المؤتمر قائلين إنهم قادرون على فرض سيطرتهم على الصحافة وعلى الذهب فى العالم » .

والواقع أن تعاليم التلمود وبروتوكولات حكماء صهيون إلى جانب التوراة ، تعد الأسس التى تقوم عليها الصهيونية ، إذ امتدت يد التحريف والمسخ والتشويه إلى الرسالة السماوية التى نزلت على موسى عليه السلام بما يخدم أغراض الصهيونية ، ويحقق أهدافها .

الفصل الثانى

عروبة فلسطين ووعد بلفور

عروبة فلسطين :

عرف التاريخ فلسطين منذ أربعين قرناً قبل الميلاد ، باسم أرض كنعان . والكنعانيون كما أثبت المؤرخ الغربى بريستد ، والمؤرخ العربى ابن خلدون ، وغيرهما من المؤرخين ، من العرب البائدة ، الذين هاجروا إليها من شبه الجزيرة العربية . فهى عربية منذ قدمها إلينا التاريخ ، وفى عام ٢٢٠٠ ق . م نزح إليها من العراق ، سيدنا إبراهيم عليه السلام ، الذى أنجب من جاريته هاجر ، ابنه اسماعيل . ولاسماعيل ينتسب محمد عليه الصلاة والسلام ، ويعتبره العرب جدهم الأعلى . وأنجب إبراهيم من زوجته سارة ابنه اسحق . ولاسحق ولد يعقوب أو إسرائيل ، الذى رحل إلى مصر . وأرسل الله سيدنا موسى إلى بنى إسرائيل فى مصر ، وخرج بهم فراراً من ظلم فرعون ، إلى أرض فلسطين ، أو أرض كنعان . وعرف أتباع موسى باسم اليهود .

ودخل اليهود فلسطين بعد موت سيدنا موسى حوالى عام ١١٨٦ ق . م ، بقيادة يوشع بن نون . وتأسست لهم دولة أيام سليمان وداود ولكن دولتهم لم تدم إلا بضع سنوات . وبموت سليمان عام ٩٣٥ ق . م انتهت عملياً دولة اليهود فى فلسطين وإن ظلت جماعات منهم بها ، إلى أن احتلها الآشوريون عام ٧٢١ ق . م ، ثم البابليون عام ٥٩٧ ق . م وأخذ البابليون إلى العراق خمسين ألفاً من اليهود وظلوا بالأسر البابلى .

وخضعت فلسطين بعد ذلك لحكم الفرس ، ثم الاسكندر ، ثم غزاها الرومان

أوائل القرن الميلادى الأول . وفى عصر الرومان لقى اليهود الباقون بفلسطين اضطهاداً ضخماً ، وتمكن هادريان ، الحاكم الرومانى ، من القضاء على بقايا نفوذهم عام ١٣٥ م . وفى عام ٦٣٦ م أتم العرب المسلمون فتح فلسطين لتصبح عربية لحماً ودماً .

وظلت فلسطين عربية ، رغم ما تعرضت له من غزوات الصليبيين ، والتتار ، والمغول ، ونابليون . واحتلها الأتراك العثمانيون عام ١٤٥٢ م لتصبح جزءاً من ولايتى بيروت ودمشق العربيتين ، حتى نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ حين احتلها الحلفاء . وظلت منذ ذلك التاريخ تحت الانتداب البريطانى ، الذى سلمها ، متآمراً مع الامبريالية الأمريكية ، لعصابات الصهيونية عام ١٩٤٨ ، لتقيم لنفسها عليها دولة أسموها إسرائيل .

من هذه اللمحة التاريخية السريعة نرى أن اليهودية دين سماوى ، مثلها مثل المسيحية والإسلام ، وأن اليهود لم يقيموا لهم دولة فى فلسطين ، إلا لبضع سنوات ، اغتصبوها فيها من أصحابها العرب ، وأن فلسطين طوال تاريخها الطويل ، ورغم ما تعرضت له من غزو أجنبى ، ظلت عربية على مر العصور .

بدأ اليهود منذ وقوعهم فى أسر بابل عام ٥٩٧ ق . م . يحلمون بالعودة إلى جبل صهيون بفلسطين ، وتأصلت هذه الأفكار لديهم ، كلما أنزل الرومان بهم اضطهاداً ، والتلمود ، الذى يمثل بالنسبة لليهود أقدس الكتب الدينية ، رسم لهم طريق العودة . والتلمود رغم قيام جماعة من حاخامات اليهود بتأليفه فى القرن الخامس الميلادى ، ظل سراً لم يذع إلا فى القرن التاسع عشر وقرب نهايته . ومنذ إذاعة تعاليم التلمود ، بدأت اليهودية فى الانتقال إلى مرحلة الصهيونية ، التى تدعو اليهود إلى العودة لفلسطين .

وظلت فكرة العودة إلى فلسطين تداعب خيال يهود العالم كلما نزل بهم اضطهاد ، أو تعرضوا للتشرد ، منذ اضطهدهم الرومان فى فلسطين ، ولكن ذلك

كله لم يتعد مرحلة الأمانى البعيدة التحقيق ، إلى أن كانت نهاية القرن التاسع عشر ، وبدأ بعض المفكرين من اليهود ، فى نشر مؤلفاتهم داعين للعودة إلى أرض فلسطين العربية ، مدعين لأنفسهم حقاً عليها ، وكان انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول فى ٢٩ أغسطس ١٨٩٧ بقراراته العلنية والسرية .

وعد بلفور :

وضعت الحركة الصهيونية نفسها فى خدمة القوى الاستعمارية البريطانية طوال سنوات الحرب العالمية الأولى واستطاعت بفضل تسللها إلى مواقع المسئولية فى بريطانيا أن تحصل على وعد من بلفور « وزير الخارجية البريطانية » فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ لليهودى البريطانى لورد روتشيلد وقد جاء فى نصه ما يلى :

« إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومى فى فلسطين للشعب اليهودى ، وسوف تبذل أقصى جهدها لتحقيق هذه الغاية(١) » .

ترى هل كان يحق لبريطانيا أن تصدر هذا الوعد ؟ وبعبارة أخرى أدق ترى هل كان يحق لوزير خارجية بريطانيا أن يصرح هذا التصريح ويعطى هذا الوعد لأحد رجال المال اليهود وهو روتشيلد ؟

وانتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة ألمانيا وحلفائها وعقد مؤتمر الصلح فى ١٨ يناير ١٩١٩ بقصر فرساى وعلى الرغم من اشتراك سبعين مندوباً عن سبعة وعشرين دولة حققت النصر فى الحرب العالمية الأولى فى هذا المؤتمر إلا أن القوى الاستعمارية والمصالح الاحتكارية كان لها وزنها فى التأثير على المؤتمر ومقرراته .

ومن الجدير بالذكر أن وفوداً عربية ذهبت إلى فرساى أيضاً تطالب الحلفاء باستقلال البلاد العربية فى آسيا ووحدتها ، تحقيقاً لوعود الحلفاء المتكررة إبان سنوات الحرب ، وقد طالب المؤتمر الصهيونى المنعقد آنذاك ، مؤتمر فرساى

---

(١) عمر رشدى : الصهيونية وربيبتها إسرائيل (١٩٦٥) ص ٧٨ النص والترجمة .

بانشاء الدولة اليهودية فى فلسطين وشرق الأردن وجنوبى لبنان، وكان من الطبيعى أن تعمل الدول الاستعمارية المتحالفة مع الصهيونية العالمية على تحطيم آمال العرب وتحرمهم من حقهم فى الحرية والاستقلال والوحدة ، بل أكثر من ذلك تحاول التخطيط لاقتطاع جزء فى قلب الوطن العربى وتقديمه هدية للصهيونية العالمية ، تقيم دولتها فيها ، وتحتوى شذاذ الآفاق والمشردين من اليهود ، وتعتبر ركيزة استعمارية فى منطقة الشرق الأوسط .

وخرجت الصهيونية العالمية من مؤتمر فرساى بنصيب الأسد . ففى ٢٨ يونيو ١٩١٩ ، تم التوقيع فى المؤتمر على ميثاق عصبة الأمم ، ونص على ما عرف باسم « صك الانتداب » ، وفى ٢٥ أبريل ١٩٢٠ انعقد المجلس الأعلى الحلفاء فى سان ريمو ، ووافق على وضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى ، الضالع مع الصهيونية العالمية ، وقد وضعت بريطانيا مشروع صك الانتداب بمعاونة العناصر الصهيونية البريطانية ، وعرضته على عصبة الأمم التى أقرته وقد جاء بهذا الصك .

« إن دول الحلفاء قد وافقت على وعد بلفور وعلى أن تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن تنفيذه إعترافا بالصلة التاريخية التى تربط الشعب اليهودى بفلسطين »(١)

ومن الواضح هنا أن ربط وعد بلفور بصك الإنتداب كان حصيلة تخطيط وتآمر واضح من جانب الصهيونية العالمية مع القوى الإستعمارية العالمية .

ويعترف لوسيان وولف ، المؤرخ اليهودى الإنجليزى نفسه بذلك ، فيقول فى عام ١٩٣٤ فى كتابه « موضوعات فى التاريخ اليهودى » ما يلى : « وكان من الشخصيات اليهودية البارزة بين اليهود ، فى مؤتمر الصلح ، مستر ماندل السكرتير الخاص لمستر كليمنصو ، الذى امتد نفوذه الدبلوماسى على المؤتمر كله ، ومستر هنرى مورجانثو ، والد السكرتير المالى لمستر روزفلت . وكان فى مقدمة المندوبين

(١) المرجع السابق ص (٨٥) النص والترجمة

غير الرسميين، السياسى العسكرى الأمريكى أوسكار شتراوس ، الذى كان متخصصاً فى صياغة ميثاق عصبة الأمم . وفى خاتمة أعمال المؤتمر ظهر عـدد من اليهود البارزين ، كموقعين على معاهدات الصلح ، فقد وقع المعاهدة نيـابة عن فرنسا لويز كلوتز ، وعن إيطاليا البارون سونينو ، وعن الهند أدوين مونتاجو »(١)

نعود مرة أخرى إلى الإجابة على السؤال المطروح :

هل كان يحق لبريطانيا أو لوزير خارجيتها ، أن يصدر وعداً لأحد اليهود البريطانيين فى أرض لا تمت لـكل منهما بصلة ؟

إن هذا التصريح يعد باطلا ، لمخالفته للقانون الدولى العام — إذ أن فلسطين لم تكن ملـكا لبريطانيا ، ولا مستعمرة لها ، تستطيع التصرف فيها ، وانهـا احتلتها باسم الحلفاء الذين كان العرب شركاء لهم ، إذ ساهموا بجيش كان له أثر كبير فى هزيمة الأتراك وتحرير فلسطين وسوريا .

فضلا عن أن هذا التصريح ، يتعارض مع الوعود التى قطعتها بريطانيا على نفسها ، بشأن المحافظة على حقوق العرب .

وقد يقال أن إنتداب بريطانيا على فلسطين ، قد يعطيها حق إصـدار هذا التصريح ، غير أن هذا القول مردود عليه بأن نص المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم ، تنص على أن الأقاليم التى كانت خاضعة لتركيا ، وقد وصلت إلى حالة من الرقى تسمح بالاعتراف مؤقتا بوجودها . كأمم مستقلة ، توضع تحت إنتداب دولة ترشدها فى إدارة شئونها بالنصائح والمساعدات ، إلى أن يأتى اليوم الذى تصبح فيه قادرة على أن تقوم بإدارة شئونها بنفسها ، وأن الغرض من هذا الإنتداب هو أن سعادة الشعوب الموضوعة تحت الإنتداب ورقيها يعتبران أمانة مقدسة فى عنق المدنية وأنه من المتفق عليه أن يتضمن هذا العهد الضمانات اللازمة لأداء هذه الأمانة » .

---

(١) ب . جلسين — مؤامرة فلسطين — كتب سياسة — الـكتاب ١١٩ — ص (٧)

غير أن بريطانيا بتأثير نفوذ الصهيونية العالمية ، اتخذت من الإنتداب سبيلا لتمكين الصهيونية من تنفيذ مخططاتها فى المنطقة العربية ، بانشاء وطن قومى اليهود فى فلسطين ، فسمحت بادخال مهاجرين من اليهود إلى فلسطين .

ومن الجدير بالذكر أنه فى نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ بينما كان ٩٠ ٪ من سكان فلسطين عربا يعيشون فيها منـــذ القرن السابع الميلادى ، ويملكون ٩٧٫٥ ٪ من مساحة أراضيها ، كان عدد اليهود لا يزيد فيها عن ٥٠ ألف نسمة ، معظمهم من العرب الذين يدينون بالديانة اليهودية ، ولا يملكون سوى ٢٫٥ ٪ من مجموع مساحتها .

والواقع أن السماح لمهاجرين من اليهود ـ وفقا لصك الانتداب ـ كان الهدف منه ترجيح كفة اليهود باظهار أن عددهم أكثر من عدد العرب فى فلسطين ، ثم إحلال اليهود محل الشعب العربى الفلسطينى تدريجيا . ويتضح ذلك من بعض النقاط الهامة لهذا النص :

« — أن توضع فلسطين فى ظروف إدارية وسياسية وإقتصادية يضمن معها تأسيس الوطن القومى اليهودى ....

— إن تشجع حكومة الانتداب الهجرة اليهودية إلى فلسطين وإسكان اليهود فى الأراضى الفلسطينية ....

— أن تعتمد الحكومة تشكيل وكالة يهودية ترعى شئون اليهود فى فلسطين وفى أنحاء العالم وتشرف على بناء الوطن القومى اليهودى ....

— أن تفضل الوكالة اليهودية عند منح إمتيازات المشاريع لإستثمار الثروة الطبيعية فى فلسطين .... »

ولقد عين هربرت صمويل مندوبا سياميا على فلسطين فى يوليو ١٩٢٠ بناء على توصية من وايزمان للحكومة البريطانية ، فعمل على تنفيذ ما كان يحلم به الصهاينة ، إذ اعتبر اللغة العبرية لغة ثالثة بجانب اللغتين الإنجليزية والعربية ، إستناداً إلى أن بالبلاد عدد من اليهود لا يتحدثون سوى اللغة العبرية

ومن الواجب إحتراما لهم ، إضافة لغتهم كلغة رسمية ، علما بأن عدد هؤلاء اليهود لم يكونوا يتجاوزون خمسين ألفاً ، وهم من اليهود العرب الذين يجيدون اللغة العربية .

وأخذ صمويل يسهل لليهود سبل الهجرة من أوربا وأمريكا ، بمنحهم جوازات سفر فلسطينية وهم لم يغادروا بعد أوطانهم الأصلية فى أوربا وأمريكا ، تشجيعا لهم على الهجرة إلى فلسطين، باعتبارهم فلسطينيين ، فى حين أنه كان يضع العراقيل أمام العرب الراغبين فى الهجرة إلى فلسطين ، ويعتبرهم غرباء عن هذا البلد ... ثم ملأ دوائر الحكومة بالموظفين اليهود ، حتى فاق عددهم عدد العرب الذين كانوا يمثلون فى الواقع أكثر من ٩٠ ./ من مجموع السكان .

هذا فضلا عن التيسيرات الجمة التى منحها لمشروعات الصهاينة الصناعية ، بفرض رسوم جمركية مرتفعة على الواردات من مثيلاتها ، ولم يكن ذلك بطبيعة الحال بهدف حماية الصناعة اليهودية فحسب من المنافسة الأجنبية ، وإنما كان بهدف استنزاف موارد سكان فلسطين من العرب وهم أغلبية سكانها .

ومن المساخر التى قام بها « صمويل » أنه كان يقطع الأراضى المملوكة للدولة إلى اليهود القادمين من أوربا وأمريكا ، بل إنه عين مشرفا على أوقاف المسلمين من اليهود .

وبصورة عامة إتباع أسلوب للامتياز الصارخ القائم على تفضيل اليهود فى كافة نواحى الحياة على الأرض الفلسطينية ، وحرمان العرب من كافة المجالات التى يمكن من خلالها ، أن تكون لهم سيطرة أو نفوذ .

وامعانا فى طمس الحقائق ، لجأت بريطانيا عن طريق مندوبها السامى إلى تهريب اليهود من أنحاء العالم إلى داخل فلسطين ، ومعنى تهريبهم فى هذا المجال ، هو أدخالهم إلى فلسطين دون أى إجراء رسمى ، أو بجواز سفر ، وإنما كانوا يتسللون ليلا عن طريق البحر ، وفى أعداد ضخمة ، بهدف ترجيح كفة عدد السكان اليهود على عدد السكان العرب .

ولسنا بحاجة الى أن نؤكد،أن سياسة التمييز التى كان يتولى تنفيذها «صمويل» كانت تكريسا للأساس الذى قامت عليه الصهيونية وهو التمييز العنصرى أو التفرقة العنصرية ، وتفضيل اليهود على غيرهم من الأجناس ، باعتبارهم شعب الله المختار . . ! !

ولا نريد أن نستطرد فى هذا الموضوع ، وانما يمكن القول بأنه بالغدر والعدوان والخديعة والمكر والاستكانة والذل وسفك الدماء ، استطاعت الصهيونية العالمية بنفوذها على مستوى الدول المختلفة ، وعلى مستوى الامم المتحدة ، أن تصدر قرارا بمشروع تقسيم فلسطين فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ . ، عارضته الدول العربية ، لأنه يقيم فى قلب الوطن العربى دولة يهودية تهدد الأمة العربية والعالم بدمار محقق . وعند انسحاب بريطانيا فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، سلمت معسكراتها بما فيها من منشآت وأسلحة ومعدات الى اليهود ، كما سلمت لهم أهم المدن العربية وهى . حيفا — يافا — طبرية — بيسان وصفد والأحياء العربية فى القدس الجديدة .

الفصل الثالث

الصهيونية حركة عنصرية

تعتمد الصهيونية فى بقائها وتخطيطها على أساسها العنصرى القائم على الانغلاق العنصرى ، والتفوق العنصرى، والتمييز العنصرى .

لقد بدأت الصهيونية العالمية دعوتها فى مستهل القرن التاسع عشر ، على أساس عنصرى بحت . وهى كحركة سياسية لجأت إلى الدين ، واتخذت منه ستارا تخفى وراءه أطماعها ، وأهدافها القريبة والبعيدة وجذور الصهيونية تمتد إلى قرون طويلة ، سابقة القرن التاسع عشر . فاليهود منذ شردهم الرومان من أرض فلسطين ، التى أقاموا فيها بين سكانها العرب ، قد عانوا من اضطهاد كثير من الشعوب لهم ، كنتيجة حتمية لمسلكهم العنصرى الانعزالى .

لقد انتشر اليهود فى أوروبا ، طوال عصر الإمبراطورية الرومانية ، وزاد عددهم فى القرن الثانى الميلادى وسيطروا طوال عشرة قرون على التجارة فى أوروبا كلها ، عدا اسكنديناوه التى لم يسمح لهم بدخولها . ولم تعارضهم الكنيسة الكاثوليكية إلا فى عام ١٢١٠ ميلادية حين وضعت قيودا ، لمنع احتكارهم للتجارة ، واستغلالهم البشع للمسيحيين . ولكن تلك الاجراءات الكنسية لم تمنع اليهود من مزاولة نشاطهم ضد المسيحيين ، واضطرت كثير من الدول إلى طردهم، فطردتهم انجلترا عام ١٢٩٠ ثم تبعتها فرنسا عام ١٣٠٦ ، وحذت كثير من الدول حذو بريطانيا وفرنسا ، وكانت آخر دولة قامت بطردهم هى إسبانيا عام ١٤٩٢ . وما أن حل عام ١٥٠٠ ، حتى كانت دول أوروبا الغربية ، قد تخلصت منهم عدا

شمال إيطاليا وإقاليم من ألمانيا ولجأالمطرودون إلى أوروبا الشرقية ، وخاصة إلى الروسيا وبولندة .

لقد طردتهم تلك الدول تباعا نظراً لما قاموا به ضدها — حكومات وشعوبا — ذلك أنه رغم إقامتهم بهذه الدول مئات السنين ، فإنهم لم يندمجوا بأهلها ، إذ سيطرت عليهم عصبية عمياء ، جعلتهم يقيمون فى أحياء خاصة بهم أطلق عليها اسم « الغيتو » .

وكان « الغيتو » يمثل فى الواقع دولة خاصة باليهود داخل الدولة — لها شرائعها ومحاكمها ومنشآتها الخيرية ، ومن خلال « الغيتو » كان اليهود يقيمون حول أنفسهم ستارا كثيفا لا يسمح لغير اليهود باختراقه ، خاصة وأن اليهود بطبعهم يبتعدون عن الأعمال التى تحتاج جهداً بدنيا ، وهى أعمال الإنتاج الزراعى والصناعى ، ويفضلون العمل فى تجارة المال والاقراض بالربا ، ومن ثم إستغلال المجتمع الذى يعيشون فى كنفه .

وقد أدى ذلك إلى شيوع لون من العداء بين اليهود وفئات المجتمع التى عاشوا فيها ، لشعور هذه المجتمعات المسيحية بالاستغلال والظلم . مغلفاً فى ثوب من الاستكانة .

وقد ظل اليهود بعد طردهم كما هم لم يتخلوا عن شىء من نظمهم وتقاليدهم ، ولا من عصبيتهم الدينية وعنصريتهم ، وظلوا كما كانوا دائما جماعة مغلقة منعزلة ، لا تتزاوج ولا تختلط بالمسيحيين بالمرة .

والدافع لهذا الانغلاق العنصرى لدى اليهود يرجع إلى عامل هام ، هو اعتقادهم بالتفوق العنصرى . والتفوق العنصرى لدى اليهودية والصهيونية يرجع إلى الكتب المقدسة لديهم ، والتى ملأوها بأحلامهم ، وبنصوص تتفق مع أهوائهم فهم شعب الله المختار ، وكل ما عداهم من البشر أدنى منهم درجات . وتأثر اليهود منذ القرون الأولى للميلاد بهذا الوعم ، مما حدا بهم إلى العزلة عن غير اليهود فى كل الأوطان .

فى القرن الأول الميلادى كتب الفيلسوف اليهودى فيلون ، ما اعتبره اليهود منذ فجر تاريخهم مبدأ لهم فقال : « إن الشعب اليهودى هو الشعب الوحيد ، بل الأوحد ، الذى يجب أن ينعم بكل الخيرات ، هو شعب الله الذى سيختبره الرب أجيالا عديدة يعانى فيها آلاما شاقة .. وهنا ينعم الله عليه بنعمه الجزيلة ، وعلامة رضاه هى عند ما يتم لهذا الشعب الاجتماع فى أرض واحدة ، أرض مقدسة (١) .

وتلمود أورشليم ، الذى كان موجودا بفلسطين عام ٢٣٠ م ، وتلمود بابل ، الذى كان موجودا بمدينة بابل منذ عام ٥٠٠ م ، يفسران تفوق اليهود العنصرى ثم جاءت طبعات تالية من التلمود فى القرنين السابع عشر والتاسع عشر ، تؤكد هذا المعنى ، وتضيف إليه إضافات جديدة . ومن تعاليم التلمود التى تؤكدالتفوق العنصرى لليهود عن البشر جميعا مايلى :

- خلق الله الأجنبى على هيئة إنسان ـ فقط ـ ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من أجلهم .
- يحق لليهودى أن يغش الكفار .
- قتل المسيحى من الأمور الواجب تنفيذها .
- النعيم مأوى أرواح اليهود ، ولا يدخل الجنة إلا اليهود .
- حياة غير اليهودى ملك لليهودى ، فكيف بأمواله .
- من يسفك دم الكافر يقدم قربانا إلى الله .
- نحن شعب الله فى الأرض ... وقد فرقنا الله لمنفعتنا .
- إن نطفة غير اليهودى كنطفة باقى الحيوانات .
- الإسرائيلى معتبر عند الله أكثر من الملائكة . فاذا ضرب أمى (غير اسرائيلى) إسرائيليا فكأنه ضرب العزة الإلهية ويستحق الموت .

---

(١) على أمام عطية — الصهيونية وأرض الميعاد — ص ٩٤

● الفرق بين الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهودى وباقى الشعوب .

● الأمم الخارجة عن دين اليهود أشبه بالحمير ويعتبر اليهود بيوتهم أشبه بزرائب الحيوانات .

● الخارجون عن دين اليهود خنازير نجسه .

● على اليهود أن يعاملوا المسيحيين كحيوانات دنيئة غير عاقلة .

وجاءت المؤتمرات اليهودية، وكان مؤتمر بال بسويسرا عام ١٨٩٧ هو المؤتمر الأول . وقد لخصت قراراته السرية فيما يعرف باسم « بروتوكولات حكماء صهيون »(١) التى ترجمت إلى كثير من اللغات ، ومن بينها العربية . وأكدت بروتوكولات صهيون توكيدا حاسما نظرية التفوق العنصرى لليهود . والخطة التى تضمنتها البروتوكولات ، تؤكد أن هذا العالم لم يخلق إلا لليهود ليقيموا عليه مملكة يهودية تحكم العالم بعد أن تقضى على القوميات المختلفة بالعنف والإرهاب وأكدت البروتوكولات أكثر ما أكدت تفوق اليهود عنصريا فقالت :

● كل تضحية من جانبنا تعادل آلافا من غير اليهود أمام الله .

● بحكمى فليحكم الملوك ، أننا نقرأ فى شريعة الأنبياء أننا مختارون من الله لنحكم الأرض، وقد منحنا الله العبقرية كى نكون قادرين على القيام بهذا العمل.

● حينما نمكن لأنفسنا سنكون سادة الأرض ، لن نبيح قيام أى دين غير ديننا .

● من رحمة الله أن شعبه المختار مشتت ، وهذ التشتت ، الذى يبدو ضعفا أمام العالم، قد ثبت أنه كل قوتنا التى تصل بنا إلى عتبة السلطة العالمية .

● هذا الاختلاف التام فى العقلية بيننا وبين الأميين (غير اليهود) ، هو الذى يرينا بسهولة سر اختيارنا من عند الله ، وأننا ذوو طبيعة ممتازة ، فوق الطبيعة البشرية ، حين تقارن بالعقل الفطرى عند الأميين .

وأدت هذه الخطة الجهنمية للصهيونية إلى مزيد من الانعزالية ، والشعور بالتفوق،

مما أدى إلى مزيد من التمييز العنصرى . ولا زالت إسرائيل كدولة حتى اليوم تؤمن بذلك إيمانا كاملا ، فهى تحرم الزواج بغير اليهود ، وتحاول التخلص من كل العناصر غير اليهودية فى إسرائيل ، سواء كانت عناصر مسلمة أو مسيحية ، بل هى تغالى أكثر من هذا فتستبعد من إسرائيل كل من تشك أو تثبت عليه عدم نقاوته جنسيا ، وتعنى بذلك من لا تكون أمه يهودية ، حتى ولو كان أبوه يهودياً ، وحتى لو كان يقيم باسرائيل نفسها منذ سنوات . ومن هذا المنطلق فإن سياسة إسرائيل اليوم تقوم أساساً على التفرقة العنصرية ، متمثلة فى سياستها الخارجية بمعاونتها لكل حركات التمييز العنصرى فى أفريقيا وأمريكا، وفى سياستها الداخلية بمحاربتها للعرب داخل إسرائيل ، سواء كانوا من المسلمين أو المسيحيين بل هى أكثر من هذا تفرق عنصريا بين اليهود أنفسهم ، فاليهود المستوردون من أوروبا وأمريكا يحظون بالثروات الضخمة والمراكز الممتازة فى الدولة ، واليهود المستوردون من أفريقيا وآسيا، يقاسون شظف العيش ، ولا يعملون إلا بالأعمال التى يترفع الفريق الأول عن القيام بها .

وتكريس اليهودية على أساس من التمييز العنصرى يدفع الصهاينة إلى القول بأن اليهودية تمثل دينا وقومية سواء ، وهذا الإتجاه يكرس لونا من ازدواج الولاء ، فاليهودى الذى يسكن أى بلد فى العالم يعتبر أو يجب أن يعتبر أن إسرائيل وطنه ، يتحدث عن حكومتها على أنها الحكومة التى تمثله ، ويدين لها بالولاء ، ويدفع لها الضرائب ، ويقدم لها الهبات والمعونات . . ومشكلة الولاء المزدوج تصم اليهود بالخيانة للبلاد التى نشأوا فيها بخلاف إسرائيل ، لأنهم حسب دعوة الصهيونية يعطون ولاءهم الكامل لدولة غير وطنهم . . . وهى إسرائيل .

الفصل الرابع

الصهيونية والأديان

الصهيونية واليهودية :

لعل من نافلة القول أن نذكر أن اليهودية دين سماوى ، كالدين الاسلامى والدين المسيحى ، وأن الصهيونية حركة سياسية عنصرية ، غير أن الصهيونية تعتمد فى تنفيذ مخططاتها على اليهود ، أى هؤلاء الذين يدينون بالدين اليهودى .

والواقع أن التفرقة بين اليهودية والصهيونية إذا جازت من الناحية النظرية ، فإنها لاتجوز من الناحية العملية ، إذ أن الذين خطوا خطوط التلمود وبروتوكولات حكماء صهيون ، كانوا يركزون على الديانة اليهودية . ويلصقون بها ظلما وعدوانا كثيراً من المسائل والقضايا التى هى منها براء .

واليهودية كدين ، لها مثلها وقيمها الخاصة بها ، ولكن اليهودى كفرد يعيش فى مجتمع ، نجد أنه مجرد من كل المثل والقيم الإنسانية لأنه يؤمن — فى الأعم الأغلب — بالخطوط العريضة للتلمود وبروتوكولات حكماء صهيون ، وهى تحث على التعامل بالربا ، وإستغلال باقى أفراد المجتمع من غير اليهود ، والإنحلال الخلق بالزنا ، والدعوة إلى العنف مع غير اليهود ، وممارسة كافة الأساليب اللاإنسانية .

ويميل الكثيرون من المتابعين لتاريخ الصهيونية ، إنطلاقا من إعتبار الصهيونية لليهودية أساس قيامها ، ومجال تحركها الرئيسى إلى أنه لافرق بين اليهودية والصهيونية .

والواقع أن هذه النظرة لها مايعززها ويدعمها ، فالصهيونية هى التى تنادى

بأن اليهودى أينما كان يعتبر إسرائيل وطنه الذى يجب أن يدين له بالولاء ويتفانى فى العمل من أجله ، وقد صدرت عدة تصريحات وأقوال عن قادة الصهيونية تؤكد هذا المعنى .

كتب « بن جوريون »(١) يقول « وعندما يتحدث يهودى فى أمريكا أو فى جنوب إفريقيا ، إلى إخوانه اليهود مستعملا عبارة « حكومتنا » فانه يعنى بها عادة حكومة إسرائيل ، وفى الوقت نفسه ، تنظر جماهير اليهود فى مختلف البلاد إلى سفراء إسرائيل على أنهم ممثلوهم » .

وقد كتب المؤرخ الإنجليزى اليهودى « سيسيل روث » يقول « إن اليهود الذين عارضوا قيام دولة اسرائيل يتمنون الآن نجاحها ولاشك بعد أن قامت بالفعل، لأنهم يعرفون أن فشلها سيكون ضربة معنوية لليهود فى كل مكان من العالم، ولكنهم مع ذلك قلقون . فهم يرون أن اليهود فى كل دولة أصبحوا لا يشاركون فى أية مسألة تهم البلاد التى يحملون جنسيتها إلا إذا كانت هذه المسألة تتصل باسرائيل، وهذا يهدد بعزلهم فى المدى الطويل ، ثم أن اليهود الإنجليز كان من السهل عليهم مثلا أن يؤيدوا إسرائيل خلال حرب عام ١٩٥٦ ضد مصر لأن انجلترا كانت ضد مصر ، ولكن ماذا يكون موقفهم لو جد مايجعل اسرائيل كدولة تقف فى لحظة ما ضد مصالح انجلترا الأساسية بصورة أو بأخرى . . . » ؟

ويعمد الصهاينة إلى إيجاد لون من التداخل بين اليهودية والصهيونية، وأظهارهما بأن لهما مدلول واحد ، وكان الهدف من ذلك طبعا أن يظهر الصهاينة أن جميع اليهود صهاينة ، ولذلك يتعين أن يكون كل يهودى صهيونيا .

وقد كان من السهل التفريق بين اليهودى الصهيونى واليهودى غير الصهيونى . إذ أن معتنق الصهيونية من اليهود كان يتلقى مبادئها على أيدى عتاة الصهيونية ومنظماتها فى البلاد المختلفة وذلك بأن يتعلم اللغة العبرية ، ويلقن الثقافة الصهيونية

(١) الكتاب السنوى لاسرائيل : عام ١٩٥٤

القائمة على الخداع والكذب والتلفيق والتحريف ، ويمارس الزراعة ، ويدرب على العمل العسكرى ويعد إعداداً خاصا يؤهله للدخول فى معارك مسلحة . فاذا ماوصل إلى المستوى المطلوب الذى يؤهله لخدمة مصالح الصهيونية وأهدافها ، هاجر إلى فلسطين . ولقد ظلت هذه المقومات الشروط الأساسية الواجب توافرها فى راغب الهجرة إلى فلسطين قبل قيام اسرائيل.

ولكن تشجيع الهجرة قبل انتهاء فترة الانتداب البريطانى ، حتم على الصهيونية العالمية — تكتيكيا — عدم التفريق بين اليهودى والصهيونى فى الهجرة ، ففتحت الباب على مصراعيه ، وأعطت الكثير من التسهيلات التى تيسر عملية الهجرة خاصة بالنسبة لليهود غير الصهاينة .

ولعل هذه الحقيقية دفعت «بن جوريون» إلى القول فى ٢٨ ديسمبر ١٩٦٢ فى احدى خطبه :

« إن ألوفا كثيرة من اليهود الذين هاجروا إلى اسرائيل لم يكونوا صهيونيين» وفى هذا الخطاب أراد أن يشجع اليهود غير الصهاينة على الهجرة ، مستندا إلى أن اليهودى الذى لايهاجر إلى اسرائيل يعد مخالفاً لأحكام التوراة وتعاليمها . وهذا الاتجاه . إقحام التوراة فى هذا المجال هو عادة الصهاينة دائما فى محاولة الربط بين اليهودية والصهيونية ، وعدم التفرقة بينهما .

وفى أغسطس عام ١٩٥٩ تحدث « موسى شاريت » فقال : أن دولة اسرائيل لهذا العصر ، هى القاعدة الأساسية لوحدة اليهود ، وحافزهم إلى العمل والتقدم أينما كانوا ، وهى مفهوم تاريخى عميق ، وتراث تمتلكه الأمة اليهودية كلها ، فاسرائيل ملك ليهود العالم كله ، ولكل يهودى حق المطالبة بنصيبه فيها »

والواقع أن هدف الصهيونية العالمية من ذلك هو عدم ضرب الصهيونية من جانب اليهود الواعين الذين يعرفون حقيقة أهداف الصهيونية العالمية، لأن الهجوم على الصهيونية من قوى وفئات أخرى غير اليهود ، قد يعطى للصهاينة فرصة

إتهامهم بمعاداة السامية ، إلا أن هجوم اليهود على الصهيونية ، لا يمكن إعطاء تبرير معقول له من جانب الصهاينة . . .

وتهدف الصهيونية من مخططها هذا ، إلى أن تغرر باليهود أنفسهم وتضللهم ، بأن تغير بعض المسميات الصهيونيـة إلى اليهودية ، إذ دعا « بن جوريون » فى يونيه عام ١٩٦٢ ،المجلس الصهيونى العالمى إلى أن يستبدل بإسم « المنظمة الصهيونية العالمية » إسم « المنظمة اليهودية العالمية » وشرح تبريراً لذلك بقوله : « إن الصهيونية هى الهجرة إلى إسرائيل وإعادة بنائها . . . وقد كانت هناك إختلافات وجهات النظر بين صفوف اليهود فى العالم لها ما يبررها قبـل تأسيس إسرائيل . . . وكانت تدور حول ضرورة الوطن القومى أو عدم ضرورته . . . أما الآن ، وقد قامت إسرائيل و باركها اليهود أجمعون ... يحدوهم الحب لها — والاعتزاز والفخر بها — فلم يعد هنالك موضع لخلاف » .

غير أنه على الرغم من هذا كله ، فإن الخلاف بين اليهودية والصهيونية لا يزال قائماً .

ويمثل المجلس الأمريكى للدين اليهودى قوة مناوئة للصهيونية ؛ وقد شرح المستر « المر برجر » نائب رئيس المجلس عديداً من الخلافات بين اليهودية والصهيونية فى بيان ألقاه فى مايو ١٩٦١ فى المؤتمر السنوى السابع عشر للمجلس لقد قال المستر « برجر » : « فى عام ١٩١٧ كانت حكومات الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وبريطانيا ، وزعماء الصهيونية — كانوا كلهم يعلمون أن عدداً مهما من اليهود فى العالم يستنكرون الدور الذى تلعبه المنظمة الصهيونيـة بوصفها هيئة عامة تمثل جماعة سياسية اسمها الشعب اليهودى . فمثلا فى سبتمبر ١٩١٧ دعت الحكومة البريطانية رسميا المعادين للصهيونية البريطانيين ليقرروا حقيقة موقفهم ، وهو الموقف الذى نشرت عنـه الصحف البريطانيـة المسئولة الكثير ، ودافع عنه داخل الدوائر الحكومية ذاتها السير أوين مونتاجو ، وفى

أكتوبر ١٩٧١ ، وقبل أقل من أسبوع من إصدار تصريح بلفور، شكت مسز « فيرا وايزمان » زوجة المفاوض الصهيونى الأول ،أنه للمرة الثالثة تدرج مسألة إصدار وعد بلفور فى جدول أعمال وزارة الحرب البريطانية وللمرة الثالثة يؤجل النظر فيها تحت ضغط اليهود الانجليز المعادين للصهيونية .

« وكذلك أيضاً شعر اليهود الأمريكان المناهضون للصهيونية بأن عليهم أن يطلبوا من حكوماتهم حماية مراكزهم من خطر الصهيونية »

ففى عام ١٩١٩ أثناء انعقاد مؤتمر السلام فى باريس ، عندما فكرت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية فى الإرتباط رسمياً بوعد بلفور ، قام عدد من كبار اليهود الأمريكان بتقديم التماس إلى « درو ويلسون » ، طالبين ألا يربط نفسه أو البلاد بوعد بلفور . وقبل ذلك ، قدم « روبرت لانسنج » وزير خارجية أمريكا نصيحة إلى ويلسون جاء فيها : أن اليهود ليسوا كلهم وحدة واحدة فى الرغبة فى تكوين أمة مستقلة من جنسهم .

وفى ١٩٢٢ قدم اليهود والأورثوذكس فى فلسطين التماسا إلى عصبة الأمم ضد وسائل السيطرة الصهيونية .

ولم تكن حكومات الدول ذات السيادة فقط هى التى تعرف موقف مواطنيها اليهود المناهضين للصهيونية ، بل إن الصهيونيين أنفسهم . كانوا يعرفون ولم يكن أحد يعرف أكثر من « وايزمان » نفسه فقد قال فى ١٢ من ديسمبر ١٩٢٧ ، بعد سنتين من إعتراف الحكومة البريطانية بالمنظمة الصهيونية هيئة سياسية تمثل الشعب اليهودى :

« لقد حصلنا دون أن نتوقع على وعد بلفور . أى أننا نحن اليهود أكثر الذين استفادوا من الحرب . . . » .

وقال : « فى كل يوم وفى كل ساعة فى السنوات العشر الماضية ، كنت كلما أفتح الصحف ، أفكر فى أن الحكومة البريطانية ستطلبنى ذات يوم وتسألنى :

« قل لنا ما هى هذه المنظمة الصهيونية وأين هم أتباعك الصهيونيون ؟ » .

« فالانجليز يعلمون أن اليهود ضدنا ، ونحن مجموعة ضئيلة من اليهود ذات ماض أجنبى نقف وحدنا على جزيرة صغيرة » .

والسؤال الذى يطرح نفسه . هل تقف الصهيونية مكتوفة الأيدى ، إزاء هؤلاء اليهود الذين يهاجمون الصهيونية ولايعترفون بها ؟ بعد أن أوضحنا أن طعنة اليهودى للصهيونية طعنة نجلاء .

إن غلاة الصهيونية يردون على هذا السؤال ففى عام ١٩٣١ ذكر وايزمان فى المؤتمر الصهيونى السابع عشر فى بال مايلى :

« والخطة التى تطبقها الصهيونية لتحطيم المعادين لها هى استعمال الأكاذيب والاتهامات واللجوء إلى أسلوب الفضح والتشهير . وقد وصفت تصريحات زعماء الصهيونية ، اليهود المعادين لها بأنهم جماعة من الخونة تنكروا لأمتهم وباعوها للغير ، وهم على كل حال قلة قليلة خرجت على اجماع الشعب اليهودى ولايعتدبهم »

« وحكومة بريطانيا التى تمثل مجتمعا يقوم على احترام حقوق الأفراد عندما أرادت أن تعترف بالحركة الصهيونية ، هيئة سياسية ، أعطت ضمانا باحترام حقوق اليهود المعادين للصهيونية ، وجاء التصريح :

[أنه لايؤتى بعمل من شأنه الاضرار بحقوق اليهود فى أى بلد آخر ولابحالتهم السياسية] .

وهذه الحقوق التى أشار اليها النص تتعلق بقضايا الحرية الفردية التى يقرر لها الدستور الأمريكى الضمانات الكافية » .

* * *

الصهيونية والاديان الاخرى :

يتضح من مخططات الصهيونية ومن أسلوبها فى تنفيذ هذه المخططات أنها تحاول بكل الوسائل أن تقضى على الأديان الأخرى .

والواقع أن هناك عداوة قديمة متأصلة بين اليهود والمسيحيين ، تنبنى على اعتقاد اليهود بأن المسيح عليه السلام سيأتى . ولكنه سيكون يهوديا منهم . ولما جاء عيسى عليه السلام ، ولم يكن يهوديا منهم ، بدأت حربهم ضده ، وضد ديانته . واليهود فى اعتقادهم هذا يعتمدون على نص فى التوراة يفسرونه تفسيراً حرفيا دون تفهم لروحه . والنص من سفر التثنية ، اصحاح ١٨ ويقول . « ولذلك الله أعلن لشعبه مبكرا بواسطة موسى قائلا : يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك، من اخوتك مثلى له تسمعون »

وهذا النص صريح على أن المسيح عليه السلام سيأتى برسالته، ولكن اليهود ترجموا النص ترجمة حرفية قائلين أن التوراة قد نصت على أن المسيح لابد وأن يكون من اليهود . فلما أتى عيسى عليه السلام ، أنكره اليهود ، ولم يتبعوه ، بل آذوه أشد الأذى ، وسبوه وأهانوه ، وأهانوا أمه مريم فى شرفها ، وقالوا إن المسيح عليه السلام ابن زنا . . !!

وجاء التلمود ليضيف أقذع الألفاظ لرسول السلام فنرى فى التلمود نصوصا مهينة للمسيح والمسيحية ننقل منها :

- إن يسوع الناصرى موجود فى لجان الجحيم بين الزفت والقطران والنار وإن أمه مريم أتت به من العسكرى باندارا بمباشرة الزنا .
- إن الكنائس النصرانية بمقام قاذورات ، وإن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة .
- لا يأتى المسيح إلا بعد انتهاء حكم الأشرار الخارجين على دين بنى إسرائيل ، وحينما يأتى المسيح تطرح الأرض فطيرا وملابس من صوف وقمحا كل حبة منه قدر كلية الثور الكبير .
- قتل المسيحى من الأمور الواجب تنفيذها، وإن العهد مع المسيحى لا يكون عهدا صحيحا يلتزم به اليهودى .. إن الواجب أن يلعن اليهودى ثلاث

مرات رؤساء المذهب النصرانى وجميع الملوك الذين يظهرون العداوة ضد بنى إسرائيل . . وإليك النص : ليهلك النصارى وعبدة الأصنام فى لحظة ، ليحذف أسمهم من كتاب الحياة ، وليحسبنهم الرب فى عداد غير الصالحين .

ومنذ انتشار المسيحية واليهود يناصبونهما العداء ، فالقديس يوستينوس الشهيد فى عام ١٦٥ م يقول : « إن اليهود قتلوا المسيحيين كل مرة استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، ويقتلونهم كل مرة يستطيعون ..(١)

وقال القديس باسيلى فى القرن الرابع الميلادى : « كان اليهود والوثنيون يقتتلون فيما مضى ، أما اليوم فكلاهما يحارب المسيحية » وقال رينان : « فى نظر اليهود — المسيحية — هى العدو » .

وفى عام ٦٠٨ م قامت مذبحة فى أنطاكية ذبح وحرق اليهود فيها آلافا من المسيحيين ، خروا شهداء دون ذنب اقترفوه ، إلا أنهم من المسيحيين وكم شهد التاريخ خيانات لهم ضد المسيحيين لمعاونة كل غزو أجنبى .

والواقع أن عداوتهم للمسيحية ما هى إلى جزء من عداوتهم للأديان جميعا ، بما فيها الاسلام ، فالتلمود وبروتوكولات حكماء صهيون تزخر بآلاف الأمثلة كلها تحض اليهود على كراهية غير اليهود وتغريهم بقتلهم وغشهم وخداعهم ، ولنمعن النظر فى هذه النصوص من التلمود لنرى ذلك واضحا :

- يحق لليهودى أن يغش الكفار .
- لا بأس من التظاهر بمحبة الكفار إذا خاف اليهودى أذاهم
- الخارجون عن دين اليهود خنازير نجسه .
- الفرق بين الإنسان والحيوان ، كالفرق بين اليهودى وباقى الشعوب .
- النعيم مأوى أرواح اليهود ولا يدخل الجنة إلا اليهود.. أما الجحيم فأوى الكفار مهما اختلفت أسماء دياناتهم ولا نصيب لهم فيها إلا البكاء لما فيها من الظلام والعفونة والطين .

---

(١) على امام عطية. المرجع السابق . ص ٢٥٢ (والنصوص التاليه)

• أقتل الصالح والمجد من غير اليهود .

وموقف اليهودية من المسيحية هو موقفها من كل الأديان بما فيها الإسلام . والقرآن الكريم في سورة المائدة يحدثنا عن اليهود فيقول : « ولتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . »

ولازالت الصهيونية حتى اليوم تمارس فى إسرائيل تلك الروح التلمودية الشريرة ، لم تغير منها شيئا .

ولقد أدرك المسيحيون فى فلسطين منذ اللحظة الأولى لاقرار مشروع تقسيم فلسطين فى الأمم المتحدة، أدركوا الخطر الذى ينتظرهم إن تمكن الصهاينه من السيطرة على فلسطين . ومذكرة لجنة اتحاد مسيحى فلسطين ، إلى كافة الهيئات الدينية والسياسية فى العالم ، يوم ٣ مارس ١٩٤٨ تقول: « يعلن الإتحاد المسيحى فى تأكيد جازم ، أنه بات ينبذ فكرة التقسيم .. كما يعلن أن أية محاولة لفرض السياسة الخاطئة بالقوة تنتهى إلى فشل لا مفر منه .

ويختم ممثلو الكنائس الارثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية فى فلسطين مذكرتهم قائلين . « ونظرا لاتصالنا الوثيق بمختلف طبقات طوائفنا ، نرى لزاما علينا أن نلفت أنظار جميع الدول المسئولة ، إلى أن الطوائف المسيحية فى فلسطين على اختلاف الملل والنحل ، على اتحاد مكين فى القول والعمل مع اخوانهم المسلمين فى جهودهم التى يبذلونها لمقاومة أى انتهاك لحقوقهم ، وصد أى اعتداء على بلادهم » .(١)

وفى حرب ١٩٤٨ حدث نفس ماحدث فى حربى ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، من انتهاك لحرمات الكنائس المسيحية والأديرة ، ومساجد المسلمين . ويصف لنا بطريرك الروم الكاثوليك فى يافا أحد تلك الاعتداءات فيقول فى خطاب لمندوب الامم المتحدة . « أود أن أحيطك علما بأن كنيستى قد دنسها

---

(١) محنة المسيحية فى اسرائيل – جامعة الدول العربية – إدارة فلسطين ١٩٥٧ – ص ٨ – ٩

اليهود وكان هذا يوم ٢٨ يوليو ، عندما اقتحم جنود مسلحون من اليهود باب الكنيسة ، فسرقوا كأسين مقدسين ، وأوعية مقدسة ، تحتوى على التمثال المقدس ثم ثلاثة صلبان ، وطبق مقدس ، وملعقتين للهيكل ، وعدة أدوات ذهبية ، وشنطة جلد . وهذا ما كان فى مقدورى أن أتثبت به من ضياعه. ثم إنهم ألقوا بأيقونة السيد المسيح والعذراء البتول فى حديقة مجاورة . ولما ذهبت إلى أقرب نقطة عسكرية للشكوى ضحك منى الجنود وسخروا بى ولم يسمحوا لى بمقابلة كبيرهم (١) » .

وقد كتب سيادة المطران فراى البرتو مقالا فى صحيفة ايكليسيا فى البرازيل فى مارس ١٩٥٦ عن حالة المسيحيين فى اسرائيل بعد زيارته لها جاء به : « إن المراقبة الشديدة التى تفرضها اسرائيل على البريد ، من يوم وجودها إلى هذه الساعة ، تمنع المبشرين الذين يعملون هناك من نشر أقوالهم إلى الخارج بصراحة عن الحالة الحقيقية هناك . وهذه المراقبة غاية فى الشدة على المبشرين الذين يبغض اليهود اسمهم ... »

ثم يستطرد المطران قائلا : « إنه حباً للحقيقة ولاخواننا الذين يتكبدون عذاباً منكراً هناك نقول بأن الكنيسة الكاثوليكية فى اسرائيل تعانى أمر أوقاتها. ويقال رسمياً أن هناك تسامحاً دينياً .. ولكن كل هذا إنما هو كذب رسمى تحيك غزله هذه الدولة الضعيفة التى تعمد إلى الكذب لتكسب مساعدة الدول الكاثوليكية .. إن حوادث استخدام القوة كثيرة جداً ، وهى تقترف علناً على ضوء الشمس والقمر (٢) » .

والواقع أن الطوائف الدينية الأخرى من مسيحيين ومسلمين يعيشون فى اسرائيل تحت أبشع ظروف ، إذ يخضعون لقوانين خاصة فرضتها السلطات

---

(١) المرجع السابق — ص ٣٧ .
(٢) المرجع السابق ص ٥٣ — ٥٤ .

الاسرائيلية على الأقلية العربية (كقوانين الحكم العسكرى ، وقوانين الأراضى) ويعاملون معاملة مواطنين من الدرجة الثالثة ، ويتعرض نشاطهم للتضييق والكبت بكل الوسائل .

فهم لا يزاولون نشاطاً سياسياً مستقلا إذ تتقاسمهم الأحزاب الاسرائيلية التى تستغل أصواتهم فى الانتخابات العامة ، ولقد حاول بعضهم إقامة جبهات سياسية فى الداخل ، إلا أن هذه الجبهات منعت بواسطة السلطات الاسرائيلية من مزاولة أى نشاط سياسى ، أو تجمد نشاطها نظراً لضعفها وأهمها(١) :

١ — الجبهة الشعبية ، وهى التى عرفت باسم جماعة الأرض العربية فيما بعد ، والتى حاول بعض الأفراد المسيحيين والمسلمين العرب إقامتها ، ومنعت رسمياً عام ١٩٦٥ من مزاولة أى نشاط سياسى وشتت أفرادها بالنفى والسجن والإبعاد .

٢ — الكتلة العربية الاسرائيلية : ويرأسها المحامى الياس كوسا ، ويرعاها المطران جورج حكيم وتعتبر هذه الكتلة مجمدة ، ولم يكن لها أى وزن سياسى فى أى وقت من الأوقات .

ولا يقتصر التضييق على الأديان الأخرى عند هذا الحد ولكنه يأخذ مظاهر كثيرة أهمها :

- منع إقامة الكنائس أو المساجد بحجة أن إقامة الأماكن الدينية معناه التبشير لأديان أخرى وهو ما يرفضونه فى الأساس .
- الضغط على بعض الشباب المسيحى والمسلم بترك دينه والتحول إلى الدين اليهودى ، واتباع كافة الوسائل لتحقيق ذلك .
- الاعتداءات المستمرة على المدارس الدينية إذ كتبت جريدة نيويورك تايمز فى يونيو ١٩٦١ تعليقاً للكاتب شكرى بابان على إلقاء الحجارة على كنيسة بالقدس فقال إن قضية ايخمان قد بدأت معها موجة من الاضطهاد الدينى للمسيحيين

---

(١) محنة المسيحية فى اسرائيل . مصلحة الاستعلامات ج . ع . م يونية ١٩٦٧ .

لأنه استقر فى أذهان الاسرائيليين اعتقاد بأن النازيين كانوا مسيحيين ومن ثم فقد صبوا لعنتهم على كل المسيحيين وقد حاولت الأحزاب اليهودية الدينية المتعصبة فى اسرائيل استغلال ذلك الاعتقاد .

* * *

على أن الصهيونية العالمية تستغل الدين المسيحى استغلالا سياسياً بشعاً فى بعض بلاد أوربا ، ففى ألمانيا الغربية مثلا تنتشر فى معظم مدنها وعلى الأخص فى جامعاتها ، جمعيات للصداقة الاسرائيلية المسيحية ، وهى فى حقيقة أمرها إحدى وسائل الخداع والتضليل للشعب الألمانى ، وتقوم هذه الجمعيات بالقاء محاضرات وجمع تبرعات فى المناسبات المختلفة لصالح اسرائيل ، كما تنظم رحلات إلى اسرائيل بأجور رمزية قد تصل إلى حد الدعوة أو الرشوة لبعض الشباب الذين أثرت فيهم الدعاية الأمريكية والصهيونية على السواء .

وتحاول هذه الجمعيات فى إطار الجامعات الألمانية ، مستغلة فى ذلك ستار الدين ، الدعاية بكافة وسائل الإعلام لصالح اسرائيل .

ومثل هذا الوضع يدل على أن الصهيونية العالمية ، تغير من وجهها ومن أسلحتها حتى ولو اقتضاها ذلك أن تتعاون مع من تمارس معهم أقسى أنواع الكبت والاضطهاد داخل اسرائيل .

الفصل الخامس

الصهيونية حركة عدوانية استعمارية

تعتمد الصهيونية العالمية في تحقيق أغراضها الاستعمارية على أسلوب الخداع والمداهنة والتسلل بهدف السيطرة على العالم .

الخطوط الرئيسية للخطة :

لقد قسمت الصهيونية خطتها الاستعمارية العدوانية إلى مراحل ثلاث :

١ — مرحلة إنشاء وطن لليهود في فلسطين . وقد نجحت في تحقيق هذا الهدف بمساندة القوى الاستعمارية البريطانية والإحتكارات الأمريكية .

٢ — المرحلة الثانية ، وهي توسيع رقعة هذه الدولة لتمتد من النيل إلى الفرات . وهي دائمة المحاولة لتحقيق هذه الأمنية التي لا تمثل هدفاً للصهيونية بقدر ما تمثل وسيلة لتحقيق السيطرة على العالم . وماحرب ١٩٥٦ وحرب يونيو ١٩٦٧ إلا خطوات في سبيل التوسع الذي يمثل المرحلة الثانية ، ويمهد للمرحلة الثالثة .

٣ — المرحلة الثالثة ، وهي الأهم ، هي السيطرة على العالم بأكمله . وقد رسمت بروتوكولات حكماء صهيون الخطة الكاملة للوصول إلى هذا الهدف النهائي للصهيونية . وبروتوكولات صهيون كتبها كبار حاخامات اليهود في نهاية القرن التاسع عشر ، ولم تنشر إلا عام ١٩٠٢ بالروسية ، ثم تتابعت ترجماتها إلى اللغات المختلفة ومنها العربية(١) .

---

(١) ترجمة البروتوكولات للاستاذ شوقي عبد الناصر بعنوان « بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود » . القاهرة ١٩٦٧ .

والبروتوكولات تقدم لنا خطة شريرة متكاملة لإفساد العالم وتدميره ، حتى يقع تحت براثن الصهيونية العالمية . والبروتوكول الأول يدعو إلى إستخدام القوة فيقول : « يجب ملاحظة أن ذوى الطبائع الفاسدة من الناس أكثر عدداً من ذوى الطبائع النبيلة . وإذن فخير المكاسب فى حكم العالم ما ينزع بالعنف والإرهاب . » ثم يدعو البرتوكول إلى كبت الحريات فيقول : « لقد مضى الزمن الذى كانت فيه الديانة هى الحاكمة . إن فكرة الحرية لا يمكن أن تتحقق ، إذ لا يستطيع أحد أن يحسن استعمالها » .

ولكن البروتوكول يرى استغلال الحريات الممنوحة حالياً للشعوب بقصد إثارة المنازعات والفتن فيقول : « يكفى أن يعطى الشعب الحكم الذاتى ، لفترة وجيزة ، حتى يصبح هـــذا الشعب ، رعاعا بلا تمييز ، وفى تلك اللحظة تبدأ المنازعات والخلافات التى سرعان ما تتفاقم ، فتصير معارك اجتماعية ، وتندلع النيران فى الدول ، ويزول كل أثر لها . وسواء انهكت القلاقل الداخلية الدولة أو أسلمتها الحروب الأهلية إلى عدو خارجى ، فإنها فى كلتا الحالتين تكون قد تخربت نهائيا كل الخراب ... وحينئذ تقع فى أيدينا . »

ثم يمضى البروتوكول الأول مبيناً مبدأ الصهيونية الأصيل فيقول : « إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق فى شىء ، والحاكم المقيد بالأخلاق سياسى غير بارع ، وهو لذلك غير ثابت على عرشه . . . لابد لطالب الحكم من الالتجاء إلى المكر ، والدهاء والرياء ، فإن الصفات الإنسانية العظيمة ، من الإخلاص والأمانة ، تصبح رذائل فى السياسة . »

والبروتوكول الأول ، يوضح أهمية استخدام القوة للوصول إلى السيطرة اليهودية على العالم ، فيقول صراحة : « إن حقنا يكمن فى القوة . وكلمة « حق » هى مجرد فكرة تقوم على غير أساس ، فهى لا تدل على أكثر من : أعطنى ما أريده

لتمكنني من أن أبرهن لك بهذا على أنى أقوى منك . . . إن الغاية تبرر الوسيلة ، وعلينا — ونحن نضع خططنا — ألا نلتفت إلى ما هو خير أو ما هو مبنى على الأخلاق بقدر مانلتفت إلى ما هو ضرورى أو مفيد . »

ويهاجم البروتوكول الأول الديموقراطية والجماهير ، وينادى بالحكم المطلق وكبت الحريات ، فيقول : « إن من يريد تنفيذ خطة تناسبه ، فعليه أن يتذكر دائماً حقارة الجمهور وتقلبه ، وحاجته إلى الاستقرار ، وعجزه عن أن يفهم أو يقدر ظروف معيشته أو سعادته ، وعليه أن يفهم أن قوة الجمهور خالية من العقل المميز ... إن الجمهور همجى بربرى ... فما أن يضمن الرعاع الحرية ، حتى يحولوها سريعاً إلى فوضى . »

ويستنتج البروتوكول الأول أن الحكم اليهودى للعالم فى المستقبل ينبغى أن يكون حكما فرديا فيقول : « إن الحاكم المطلق وحده ، هو الذى يستطيع أن يرسم خططا واسعة ، وأن يعهد بجزء معين لكل عضو فى بناء الجهاز الحكومى . ومن هنا نستنتج أن ما يحقق سعادة البلاد ، هو أن تكون حكوماتها فى قبضة شخص واحد مسئول . وبغير الاستبداد المطلق لا يمكن أن تقوم حضارة ، لأن الحضارة لايمكن أن تنتشر أو تزدهر إلا تحت رعاية الحاكم كائنا من كان ، لابيد الجماهير . »

ويركز البروتوكول الخامس على ضرورة الحصول على إحتكار مطلق الصناعة والتجارة ليكون لرأس المال مجال حر . .

أما البروتوكول السادس فيستهل بالعبارة التالية : « سنبدأ فوراً فى تنظيم إحتكارات عظيمة هى صهاريج للثروة الضخمة .. .. وفى الوقت نفسه يجب أن نفرض كل سيطرة ممكنة على الصناعة والتجارة وعلى المضاربة خاصة ، فإن الدور الأساسى لها أن تعمل كمعاول لهدم الصناعة . . . . وبدون المضاربة ستزيد الصناعة رءوس الأموال الخاصة وستتجه إلى رفع مستوى الزراعة بتحرير الأرض من الديون والرهون العقارية التى تقدمها البنوك الزراعية . . ومن الضرورى

أن تستنزف الصناعة كل خيرات الأرض ، وأن تحول المضاربات ثروة العالم الناتجة عن هذا كله إلى أيدينا .. .. سنزيد الأجور — التي لن تساعد العمال — كما أننا في نفس الوقت سنرفع أثمان المواد الأولية الضرورية ، متخذين سوء المحصولات الزراعية عذرا لذلك — كما سنقضي بكل مهارة أيضا على أسس الإنتاج ببذر بذور الفوضى بين العمال ، وتشجيعهم على إدمان الخمر .. »

ويعالج البروتوكول السابع أسلوب الصهيونية من زاوية أخرى ، ويركز على أوربا « في كل أوربا وبمساعدة أوربا — يجب أن ننشر في سائر الأقطار الفتنة والمنازعات والعداوات المتبادلة ، فإن في هذا فائدة مزدوجة : فاننا أولا — بحكم هذه الوسائل ستتحكم في أقدار كل الدول التي تعرف حق المعرفة أن لنا المقدرة على خلق الاضطرابات كما يزيد ، مع قدرتنا على إعادة النظام ، وكل البلاد معتادة على أن تنظر إلينا مستغيثة عند الضرورة متى لزم الأمر . وأما ثانيا — فبالمكائد والدسائس سوف نصطاد بكل خدعنا وشباكنا التي نصبناها في وزارات جميع الحكومات ، ولم نحيكها بسياستنا فحسب ، بل بالإتفاقات الصناعية والخدمات المالية أيضاً .. .. علينا أن نتصرف بكثير من الدهاء والخبث حتى نظهر بمظهر الحريص الأمين المتحمل للمسئولية . »

أما البروتوكول الثامن فيصور نوعية العناصر التي تعتمد عليها الصهيونية في تنفيذ مخططها : « فسوف نعهد بهذه المناصب الخطيرة إلى الأفراد الذين ساءت سمعتهم وانحطت أخلاقهم — حتى تقف مخازيهم فاصلا بينهم وبين الأمة وكذلك سوف نعهد بهذه المناصب الخطيرة إلى الأفراد الذين عصوا أمرنا وتوقعوا المحاكمة والسجن ، والغرض من ذلك كله أنهم سيدافعون عن مصالحنا حتى النفس الأخير دفاعا عن أنفسهم » .

وينص البروتوكول التاسع « إن لنا طموحا لا يقف عند حد ، وشرها لا يشبع ، ونقمة لا ترحم ، وكراهية لا تحد . . . . إننا مصدر إرهاب بعيد

المدى ... أننا نسخر لخدمتنا أناسا من جميع المذاهب والأحزاب .

لقد خدعنا الجيل الناشىء من غير اليهود وجعلناه فاسدا متعفنا بما علمناه له من مبادىء ونظريات — معروف لدينا زيفها التام — ومع ذلك فنحن أنفسنا معلموها وملقنوها . ولقد حصلنا على نتائج جيدة ومفيدة دون تعديل فعلى القوانين السارية من قبل ، بل بمجرد تحريفها فى هدوء وبساطة ، وبوضع تفسيرات جديدة لها — لم يقصدها واضعوها أبدا . . . »

أما البروتوكول العاشر فيدل بما تضمنه على مدى الاعتماد على الفساد فى تنفيذ خطتهم : « سوف نمنع الرجال ذوى العقول الراجحة من الوصول إلى الصدارة وستعمل الجماهير — بوحى منا إلى عدم تقدم أمثال هؤلاء الرجال. ولن نسمح لهم ابدأ أن يضعوا لهم خططا لكى نصل إلى هذه النتائج سندبر انتخاب رؤساء ممن تكون أخلاقهم ملوثة بفضيحة سوداء من أثر صفقة سوداء مريبة أن رئيسا من هذا النوع سيكون منفذاً وفيا لأغراضنا لأنه سيخشى التشهير وسيبقى خاضعا لسلطان الخوف الذى يسيطر دائما على الرجل بعد وصوله إلى السلطة والذى يتلهف على أن تظل إمتيازاته وأمجاده المرتبطة بمركزه السامى . » . . . « لابد أن تستمر — فى كل البلاد — الاضطرابات فى العلاقات القائمة بين الشعوب والحكومات . . فتستمر العداوات والحروب والكراهية والموت — استشهادا — كما يمتد الجوع والفقر وتتفشى الأمراض ... »

ثم تتحدث البروتوكولات التالية عن أسلوب الصهيونيه فى السيطرة على الصحافة ودور النشر وإصدار صحف متنوعة . . . تعبر عن مختلف الطوائف ... ارستقراطية ... جمهورية ... ثورية ... بل فوضوية وذلك بهدف جس نبض الرأى العام المتقلب ... !! ثم وسائل الوصول إلى السلطة باستخدام كافة الأساليب اللا أخلاقية وإمتداد السلطة واتساعها حتى البروتوكول الرابع والعشرين الذى يصف دولة الملك داوود قائلا :

« الآن سأعالج الأسلوب الذى نقوى به دولة الملك داوود حتى تستمر إلى يوم القيامة . إن أسلوبنا لصيانة الدولة ، سيشتمل على المبادىء ذاتها التى سلمت حكماءنا زمام العالم . أى توجيه الجنس البشرى كله وتعليمه »

أما عن الملك الذى سيعده شيوخ الصهاينة لتلك المهمة الضخمة ، فقد تحدث عنه البروتوكول نفسه قائلا . « سيرى الناس فى شخص الملك ، الذى سيحكم بإرادة لاتلين وسيروض نفسه كترويضه للإنسانية مثلا أعلى القدر . ولن يعرف أحد أهداف الملك الحقيقية حين يصدر أوامره ، ومن أجل ذلك ، لن يجرؤ أحد على اعتراض طريقه السرى . » ثم يمضى نفس البروتوكول فى تعداد صفات ذلك الملك وطريقة إعداده الحكم فيقول : « يلزم أن يكون للملك عقل قادر على تنفيذ خططنا ولذلك لن يعتلى العرش قبل أن يتأكد حكماؤنا من قوته العقلية . »

وهكذا رسمت الصهيونية صورة لما يجب أن تكون عليه الحكومة اليهودية العالمية ، التى جعلتها هدفها الأول ، بل هى بدأت فى إعداد ملك الدنيا اليهودى ، وما يجب أن يتصف به كحاكم مطلق ، يحكم دولة عليها أن تحكم العالم بأكمله حتى يوم القيامة .

* * *

اسلوب تنفيذ الخطة

بعد عرض هذه الصورة العامة لخطة الصهيونية العالمية فى ممارسة الاستعمار بكافة صوره تحقيقا لسيطرتها على العالم ، يثور السؤال التالى :

ماذا كان أسلوب الصهيونية العالمية فى تنفيذ هذا المخطط ؟

إن المؤتمر الصهيونى الأول الذى عقد بمدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ يعتمد فى الواقع بداية عملية لتنفيذ مخطط الصهيونية العالمية .

لجأ هرتزل إلى قيصر ألمانيا ، وسلطان تركيا ، وملك إيطاليا ووزراء قيصر

روسيا ، وتشمبرلين وزير مستعمرات بريطانيا ، عارضا على كل منهم رغبة الصهيونية العالمية فى التعاون مع كل منهم ، مقابل مساعدة كل من الدول الاستعمارية للصهيونية على تحقيق مطامعها . ولمح وصرح لكل منهم ، أن دولة يهودية فى فلسطين ستكون خير دعم للمصالح الاستعمارية فى المنطقة العربية .

وانتهزت الصهيونية العالمية فرصة النزاع الإستعمارى ، الذى بدا بين كل من ألمانيا وبريطانيا ، بسبب خشية بريطانيا من المطامع الاستعمارية الألمانية التى تهدد مستقبل مستعمراتها وامبراطوريتها التى لا تغرب عنها الشمس . واختارت الصهيونية جانب بريطانيا ، خاصة بعد أن تم الاتفاق الودى بين فرنسا وبريطانيا عام ١٩٠٤ على تقسيم مناطق الإستعمار . ونجحت بريطانيا فى تجميع الدول الإستعمارية الأوروبية حولها ضد ألمانيا ونجحت الصهيونية فى دخول ذلك الحلف البريطانى غير المقدس ، كما نجحت فى تسخيره للوصول إلى مطامعها ، بعد أن أشعرته بأهمية كسب ودها كحركة سياسية فتية ، بدأت هى الأخرى تفرض وجودها على مسرح الأحداث .

واستطاعت الصهيونية أن تتسلل إلى لجنة هامة عقدت فى عام ١٩٠٧ ، من الخبراء الممثلين لبريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والبرتغال وأسبانيا وإيطاليا ، والتى تولت دراسة الخطة التى يجب على الدول الإستعمارية اتباعها حتى لا تنهار مستعمراتها ، أو تقع فى يد الدولة الاستعمارية الجديدة ألمانيا . وكتب كامبل بنرمان رئيس وزراء بريطانيا فى توجيهاته إلى اللجنة يقول : « إن الإمبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى ، ثم تستقر إلى حدما ، ثم تنحل رويدا ثم تزول . والتاريخ ملىء بمثل هذه التطورات ... فهل لديكم أسباب أو وسائل يمكن أن تحول دون السقوط أو الإنهيار ، أو تؤخر مصير الإستعمار الأوروبى وقد بلغ الآن الذروة ؟ ... هذه مهمتكم أيها السادة وعلى نجاحها يتوقف رخاؤنا وسيطرتنا . »(١)

---

(١) اسرائيل قاعدة عدوانية ـ أمانة الدعوة والفكر بالاتحاد الاشتراكى العربى ص ١٦ .

وعقد السادة الخبراء عدة جلسات انتهوا فيها إلى تقرير قدموه لوزارة الخارجية البريطانية ، بعد أن لعبت العناصر الصهيونية فى المؤتمر دورها فى توجيهه لصالحها وتضمن التقرير النقط التالية :

١ — أهميـة السيطرة على البحر المتوسط ، شريان المواصلات بين الشرق والغرب .

٢ — استبعاد أى خطر على الإستعمار فى أى من المستعمرات ، عدا منطقة البحر الأبيض المتوسط ، التى يكمن فيهـا كل الخطـر على الإستعمار لأنهـا مهد الحضارات ويسكنها شعب له مقومات الوحدة . فإذا تجمعت هذه المقومات مع نزعة هذا الشعب للتحرر ، فسيكون فى ذلك الضربة القاضيـة على الإستعمار . ولذلك فإن على الدول الإستعمارية ذات المصالح المشتركة ، أن تبقى وضع هذه المنطقة المجزأ المتأخر ، وأن تبقى شعبها على ماهو فيه من تفكك وجهل .

٣ — لمواجهة هذا الخطر يجب فصـل الجزء الأفريقى ، عن الجزء الآسيوى من هذه المنطقة ، وذلك بإقامة حاجز بشرى قوى وغريب فى منطقة الجسر البرى الذى يربط آسيا وأفريقيـا ، على مقربة من قناة السويس ، لتكون قوة صديقة للإستعمار وعدوة لسكان المنطقة .

وهكذا التقى الإستعمار الصهيونى بالإستعمار الأوربى ، واضعـا نفسه فى خدمته ، ومتخذا منه مطية للوصول إلى أهـدافه التوسعية الإجرامية . وقامت الحرب العالمية الأولى فزادت فرصة التفاهم بين بريطانيا ، عدوة تركيا المسيطرة على أرض فلسطين ، وبين الصهيونية العالميـة المتطلعة إلى التهام أرض فلسطين ، وسلبها من أهلها . ونجحت الصهيونية خلال سنوات الحرب فى إقناع بريطانيا بأهمية استيلاء الصهيونية على فلسطين ، مما سيكون له أكبر الأثر على حماية مصالح بريطانيا الإستعمارية . فى المنطقة العربية . واستجابت بريطانيا للاغراء ،

وأصدر بلفور . وزير خارجيتها ، تصريحه المشئوم يوم ٢ نوفمبر ١٩١٧ مبينا عطف حكومته على إنشاء وطنى قومى لليهود فى فلسطين .

وتوالت المجاملات الرقيقة ، بين الإستعمار البريطانى والإستعمار الصهيونى الحليف ، على حساب شعب فلسطين العربى ، طوال سنوات الانتداب البريطانى والحرب العالمية الأولى . ودخلت الإمبريالية الأمريكية هى الأخرى فى المباراة تعاون الإستعمار الصهيونى بالمال والنفوذ والسلاح . واستغلت الصهيونية سنوات الحرب العالمية الثانية فى الاستفادة من الصداقة البريطانية الأمريكية ، فتدفق سيل المهاجرين اليهود إلى فلسطين ، وتطوع الكثيرون فى الجيش البريطانى للتدرب على القتال وأساليبه ، ونما الجيش اليهودى فى فلسطين تحت سمع وبصر دولة الانتداب بريطانيا ، فى الوقت الذى حرم فيه على العرب حمل السلاح .

وانتهت الحرب العالمية الثانية وبدأت الامبريالية الأمريكية تتبنى الحركة الصهيونية بصورة علنية . ومارست أمريكا ضغطها على الأمم المتحدة ، حتى أصدرت قرار تقسيم فلسطين . وما أن انتهى الانتداب البريطانى يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ حتى أعلنت العصابات الصهيونية مولد اسرائيل .

ومنذ ذلك التاريخ ، دخلت الصهيونية العالمية طورا جديداً ، فبعد أن كانت مجرد دعوة عنصرية استعمارية ، تسير فى ركب القوى الإستعمارية وجيوشها ، أضحت هى نفسها قوة إستعمارية ، تملك الجيوش والأساطيل والطائرات ، وتشن هى بنفسها حروبا لصالح الإستعمار العالمى حينا ، ولصالحها هى حينا آخر .

واقع سيطرة الصهيونية العالمية :

مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين اليهود كان يسيطرون على مقدرات الحياة الاقتصادية والسياسية فى معظم دول أوربا وأمريكا(١)

● سيطرت أسرة روتشيلد المنتشرة فى كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا

---

(١) عبد الله التل « خطر اليهودية على الاسلام والمسيحية » دار القلم ـ ١٩٦٤

والولايات المتحدة الأمريكية على مصادر الذهب ومناجم الماس والفضة والنحاس فى العالم ، وكذلك أصحاب الملايين مثل :

ماندلسون — باروخ — فرانكفورتر — لازارد — شيف — مورجانتو — جافت — سليجمان — شتراوس — روكفلر .

- قامت البنوك اليهودية فى معظم دول أوربا وأمريكا بتمويل مشروعات السكك الحديدية ، لأن هذه البنوك كانت تملك من إمكانيات التمويل مامكنها من ذلك .
- عملت الصهيونية العالمية بواسطة آل ساسون على احتكار تجارة الأفيون فى العالم .
- استحوذت الصهيونية العالمية على صناعة الانتاج السينمائى والتوزيع بهدف توجيه هذا الإنتاج الوجهة التى تحقق أهداف الصهيونية فى تحطيم الأخلاق ونشر الرذيلة .
- استولت الصهيونية على بيوت الأزياء العالمية هادفة بذلك تدمير الحياة الزوجية كنتيجة طبيعية للأسراف من جانب والخلاعة والمجون ومنافاة القيم الأخلاقية من جانب آخر .
- مولت الصهيونية الحروب الاهلية والثورات فى روسيا وأسبانيا وإيطاليا وألمانيا وفرنسا وكذلك الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وخرج العالم منها — منتصراً أو مهزوما — منهك القوى ، واستفادت الصهيونية من هذه النكبات .
- وقفت وراء إيجاد عصبة الأمم ثم هيئة الأمم المتحدة بهدف تحقيق مطامعها فى السيطرة على العالم .
- سيطر اليهود على جميع الأحزاب الشيوعية والحكومات .

ففى بريطانيا : كانت أسرة بليشا وصموئل وساسون .

وفى أمريكا : موورجانتو — بركنز — باروخ فرانكفورتر .

وفى فرنسا : بلوم — ماندل — زيس دينز — زيروميسكى .

وفى بلجيكا : وايشتاين — هيمان .

وفى إسبانيا : زامورا — أزاناس — روزنبرج

وفى روسيا : كاجانوفيتش — ليتفينوف — كاراجانز — تروتسكى .

• سيطرت على الصحافة وأجهزة الإعلام المختلفة من إذاعة وتليفزيون ودور الطباعة والنشر والمكتبات العامة ومصادر الإعلان .

وإذا كانت هذه هى أهم المجالات التى سيطرت عليها الصهيونية فى دول أوربا وأمريكا ، فان معنى ذلك أنه ما من مجال نجا من التسلل الصهيونى

وقد توضح الصورة أكثر من ذلك إذا ما استعرضنا مدى السيطرة الصهيونية على مستوى بلدان أوربا المختلفة ثم أمريكا .

ففى بريطانيا وفى أواخر القرن التاسع عشر استخدم اليهود سلاح المال وكان روتشيلد خير منفذ للخطة الصهيونية لا فى بريطانيا وحدها ولكن فى ألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة أيضا وقد زاد تسللهم إلى مناصب الدولة حتى أصبح منهم رئيس الوزارة البريطانيه فى عهد الملكة فيكتوريا وهو دزرائيلى ومع بداية القرن العشرين كان اليهود يسيطرون على مقررات البلاد الاقتصادية ممثلة فى البنوك والشركات الصناعية والتجارية والمناجم وأسهم شركات البترول البريطانية فى إيران والعراق والكويت — وفى المجال السياسى وصلوا إلى مناصب عليا وحساسة فى الدولة حتى مجلس الشورى للبلاط الملكى البريطانى ، حدث فى إحدى السنوات أن كان معظم أعضائه من اليهود .

هذا فضلا عن مجلس العموم ومجلس اللوردات والمجالس البلدية والجمعيات الخيرية والأحزاب البريطانية بمختلف اتجاهاتها وميولها (من محافظين وعمال وأحرار وشيوعيين) .

وإذا انتقلنا إلى قطاع الصحافة والاعلام لوجدنا أن جريدة التايمز اللندنية وهى التى أسست عام ١٧٨٨ كانت هدف روتشيلد ، ومنذ تأسيسها حتى اليوم وهى لم تخل من يهود يحتلون بها مراكز ثقل لها وزنها فى تسيير دفة سياسة الجريدة حتى آلت ملكية التايمز إلى شركة فى عام ١٩٠٨ أبرز أعضائها من اليهود (١) .

وقد أنشأ اليهود جريدة الديلى تلجراف ، وفى عام ١٨٥٥ اشتراها اليهوديان موزس ليفى وليفى لاوش ، ونهجت نهج جريدة التايمز فى أداء واجبها كصحافة عميلة للصهيونية العالمية .

وهكذا كان الحال بالنسبة لمعظم الصحف البريطانية الحالية سواء بطريق مباشر أو غير مباشر عن طريق الاسهام فى رأسمالها أو الهيمنة على المراكز الحساسة فيها والتى تمكنهم من تسخيرها لخدمة مصالحهم .

وفى فرنسا : يكفى لابراز مدى السيطرة الصهيونية أن نذكر أن اليهود كانوا أداة اللهو والدعارة والانحلال والاباحية فى باريس التى أصبحت بفعل اليهود مدينة الأزياء والترف وأدوات الزينة وأنواع الخمور المختلفة . . .

ويرجع مخططهم إلى أعقاب الثورة الفرنسية التى قامت عام ١٧٨٩ ، بل إن بعض المؤرخين يذهبون إلى أن تمويل الثورة الفرنسية كان بواسطة يهود من انجلترا (٢) ومن ألمانيا (٣) .

---

(١) منهم الفيكونت نور تكليف — السير جون إلرمان — أرنهولز — السير بومرى بيرنون .

(٢) منهم : بنيامين جولد سمد وأخيه ابراهام وموسى موكاتا وصهره السيرموسى مونتفيورى .

(٣) منهم : دانيال اتزك وديفين فرايد لاندر وهرتز شربير

وبدا واضحا تغلغل اليهود فى مناصب الدولة فى فرنسا إذ احتلوا فى النصف الأول من القرن العشرين عدة مناصب هامة حتى رئاسة الجمهورية(١) ورئاسة الوزارة (٢) ورئاسة الحزب الشيوعى (٣) والوزارة (٤) والطاقة الذرية(٥) والمناصب الأخرى الهامة فى الدولة . كالصحافة والمباحث والمحاكم ، ومما يدعو للعجب والسخرية أن ممثل فرنسا فى محاكمات نورمبرج التى عقدت لمحاكمة مجرمى الحرب من النازى كان يهوديا (روبرت فالكو) .

وفى مجال الصحافة كانت الصورة مشابهة للصورة فى بريطانيا ، فقد لعبت أموال روتشيلد دورا فعالا فى وصول اليهود إلى رئاسة تحرير عدد كبير من الصحف والاسهام فى رأس مال عدد آخر ، بل كان تحركهم أكثر إيجابية فى أنهم أنشأوا جرائد يوميه يهودية ومجلات أسبوعية وشهرية كانت تنطق باسمهم

ولقد لعبت الصحافة الصهيونية التى سيطرت على الرأى العام الفرنسى دورا كبيرا فى ابراز كثير من الشخصيات اليهودية والدعاية لها حتى وصل عدد كبير من اليهود إلى كثير من مناصب الدولة الحساسة ، بل إن هذه الصحافة كانت تمارس فى الواقع دورا مضللا للشعب الفرنسى .

وفى المانيا : سيطر اليهود على المناصب الحساسة فى الدولة إذ سيطروا على الوزارة عن طريق شغل مناصب الوزارات الهامة كالمالية والداخلية والحكومات المحلية — وقد كان مدير بوليس برلين وفرانكفورت وميونخ وآسن من اليهود وكان رؤساء مجالس العمال والجنود من اليهود .

---

(١) فنسان أوريول

(٢) ليون بلوم — منديس فرانس — ادجار فور

(٣) م . توريز

(٤) ريلية مابر — جول موخ — رواف — دانيال مابر — موريس شومان

(٥) جاسنون بالوسكى — لف كوفارسكى

كان هذا هو الوضع قبل الحرب العالمية الأولى ، وكان ذلك سببا رئيسيا فى أن تخسر ألمانيا تلك الحرب ، واستمرت سيطرة اليهود على ألمانيا إلى أن جاء هتلر فى عام ١٩٣٣ وشرع فى تحرير ألمانيا من تسلط النفوذ الصهيونى ولم يكن هذا ليرضى الصهيونية العالمية المتمركزة فى فرنسا وانجلترا والولايات المتحدة . .

ومن المعلوم أن تخطيط الصهيونية يقوم على إشاعة الفرقة وبث بذور الفتنة داخل المجتمعات التى يعيشون فيها ، وقد اتبعوا هذا الأسلوب فى كل بلد حاولوا السيطرة على مقدراته وتطويع سياسته للرضوخ لأهوائهم وتنفيذ مخططاتهم وتحقيق أحلامهم فى السيطرة الكاملة على العالم .

ومن المعروف أن جوبلز كان يحتل مكانة خاصة عند هتلر ، بل كان رجل دعايته الأول الذى ذاع صيته فى الآفاق أثناء الحرب العالمية الثانية .

لقد حاول اليهود الايقاع بين هتلر وجوبلز عن طريق اشاعة ذلك فى صحافتهم التى تصدر فى ألمانيا ، مما دعا أدولف هتلر إلى أن يصدر بيانا(١) فى ٢٥ يونيو ١٩٢٧ جاء فيه : « شاءت بعض الصحف الألمانية أن تنشر أنباء وقوع صراع أخوى فى بيت هتلر » وأن تتحدث عن « العداء بين الأخوة » فقد رددت هذه الصحف وقوع قطيعة بين هتلر وجوبلز فى الحزب الوطنى الاشتراكى للعمال الألمان ، وأننى أنبت الدكتور جوبلز تأنيبا حادا ، وأننى قد أبلغت زعيما معروفا من زعماء الحركة الوطنية بعدم رضاى عن الأساليب التى يتبعها الدكتور جوبلز فى الدعاية .

« وإننى لأعلن هذا أن جميع هذه المزاعم ليست إلا إختلاقا من الصحافة اليهودية القذرة ، تهدف إلى غايات معروفة تماما ، ولم يقع أى تبدل مهما كان طفيفا فى طبيعة العلاقات وبينى وبين الدكتور جوبلز فأنا مازلت كما كنت دائما أثق فيه ثقة مطلقة كاملة » .

(١) يوميات جوبلز : اعداد هلمت هايبر ترجمة خيرى حماد (مجموعة كتب سياسية ١٩٦٣) .

ولقد اتخذ اليهود من موقف النازى حيالهم سبيلا إلى إطلاق سيل أكاذيبهم من أن هتلر قضى على ستة ملايين يهودى، وعلى الرغم من نظرة هتلر إلى اليهود واعتبارهم من جنس منحط ووعيه لخططاتهم ومحاولته انقاذ ألمانيا من شرورهم ، واتباعه أسلوب العنف فى القضاء على عدد كبير منهم ، إلا أن هذا العدد مبالغ فيه ، والدليل على ذلك أن جريدة نيويورك تايمز اليهودية ذكرت فى عام ١٩٤٨ أن عدد اليهود فى العالم خمسة عشر مليونا وسبعمائة ألف ، وكان كتاب التقويم السنوى اليهودى لعام ١٩٤٧ قد نشر أن عدد اليهود فى العالم على ١٩٣٩ كان حوالى خمسة عشر مليونا ونصف ، فإذا أخذت الدعاية اليهودية مأخذ التصديق فإن معنى ذلك أن عدد اليهود المتبقين أحياء بعد الحرب العالمية الثانية لايتجاوز تسعة ملايين ونصف وهو تناقض يحمل فى طياته معنى الكذب والتضليل ، والهدف منه واضح هو استدرار عطف الشعوب عليهم ، وإظهارهم بمظهر المعتدى عليهم .

أما فى روسيا : فإن اليهود فى العهد القيصرى كانوا ينظرون إلى روسيا على أنها حصن من حصون المسيحية نظراً لأن اليهود لم يتمكنوا من التغلغل فى كيان الحكم أنذاك فضلا عن أنه لم يسمح لليهود بالسيطرة على مقدرات الشعب الروسى ، بل إن اليهود كانوا يواجهون باستمرار لعمليات قمع مستمرة كلما بدرت منهم بادرة لمحاولة لتخريب الاقتصاد الروسى أو التسلل إلى مركز من المراكز الحساسة .

والواقع أن الصهيونية العالمية كانت تنظر إلى روسيا القيصرية باعتبارها حصنا من أعتى حصون المسيحية نظرة عداء مستمر ، وكان تخطيطها مبنياً على ضرورة الإطاحة بالنظام القيصرى وإحلال نظام آخر محله تستطيع الصهيونية العالميه أن تتحرك فيه بلون من الحرية ، ولم يكن هناك من فرصة أسنح لهم من قيام الثورة الروسية فى عام ١٩١٧ التى كان وراءها فى الواقع مجموعة من عتاة

اليهود والصهيونية (١) ، وكان الممولون الرئيسيون للثورة من الشركة اليهودية الأمريكية فى نيويورك . Kuhn Ioeb & Co » واستولى اليهود على الثورة عن طريق النسبة الكبيرة لليهود فى المكتب السياسى وفى مجلس إدارة الحرب والثورة ، وبعد عام واحد من قيام الثورة كانت نسبة اليهود فى الوظائف الهامة حوالى ٨٠ ٪ (٢) .

والواقع أن تأثير اليهود على ستالين كان تأثيرا بالغا الغاية ، عن طريق زوجته اليهودية ، إذ ظل نفوذهم واضحا وموجها للسياسة العليا للاتحادالسوفيتى طوال حكمه « إلى أن تولى الحكم فى روسيا « نيكيتا خروشوف » الذى أراد أن يوجه دفة الحكم لصالح روسيا لا لصالح الصهيونية العالمية ، فكان موضع هجوم باستمرار من جانب الصهاينة وصحافتهم وإذاعاتهم ، واتهم بمعاداته للسامية على الرغم من أن اليهود كانوا يحتلون مناصب هامة فى الدولة تبدأ من عضوية مجلس السوفييت الأعلى وتنتهى بعضوية مجالس المدن فضلا عن مناصب الجيش والصحافة .

إلا أن الصهيونية العالمية كانت تنظر إلى خروششوف على أنه عدو من أعداء الصهيونية العالمية ، لا لشىء إلا لأنه كان يعمل لصالح روسيا ، ويحول دون استمرار تغلغل النفوذ الصهيونى فى مجالات الحياة السوفيتية ، وحيلولته دون هجرة اليهود الروس إلى إسرائيل صنيعه الصهيونية العالمية . .

وقد تلى حكم خروششوف حكم يعتبر امتدادا لهذه السياسة فى الوقوف فى وجه التغلغل الصهيونى ، تجلى ذلك فى موقف الاتحاد السوفيتى من عدوان الصهيونية العالمية متمثلا فى أمريكا وإسرائيل فى ٥ يونيو على الدول العربية .

---

(١) أمثال : تروتسكى — زفرديلوف — كاميليف — سوكولنكوف — رادك — أورتسكى — لتفينوف — كاجانوفتش وكان ستالين متزوجا من يهودية

(٢) عبد الله التل : خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية .

تلك هى الصورة فى دول أوربا ذات الوزن الهام فى السياسة الدولية ،عملت الصهيونية العـــالمية بكافة الوسائل والأساليب على السيطرة عليها وعلى مقدرات شعوبها .

غير أنه لايفوتنا فى هذا المجال أن نؤكد أن خطر الصهيونية العالمية الماثل أمام كل ذى عينين ، هو خطر يهدد البشرية جميعا ، وقد تمكن الحكم فى روسيا السوفيتيه أن يضع حدا لاستشراء هذا الخطر فى مجال روسيا ليقظة الحكم ووعيه بأخطار الصهيونية العالمية ونواياها العدوانية .

إلا أن الصهيونية العالمية لم تيأس من إمكان فرض سيطرتها على كثير من الدول الاشتراكية عن طريق التسلل إلى أحزابها الشيوعية واحتلال مراكز هامة فى لجانها المركزية ، غير أن فطنة ووعى أغلبية هذه الاحزاب كفيل بتبديد حلم الصهيونية فى منطقة شاسعة من مناطق العالم وهى الكتلة الشرقية .

وإذا انتقلنا إلى أمريكا لوجدنا أن الصورة تختلف عن أى بلد آخر سيطرت عليه الصهيونية العالمية ويرجع ذلك فى الواقع إلى أسباب تاريخية فى المقام الأول ترجع إلى تدفق عدد كبير من اليهود إلى أمريكا فى القرن التاسع عشر ، واستمر هذا التدفق حتى وصل عددهم الآن حوالى ستة ملايين يهودى . ويعيش نصف هذا العدد فى نيويورك .

وقد استطاع اليهود فى أمريكا السيطرة على مصادر الذهب والمعادن والبترول والشركات التجارية والصناعية والبنوك وسوق الاوراق المالية ، والتحكم فى أرزاق الناس عن طريق السيطرة على الاسواق والمواد الغذائية فضلا عن تغلغلهم فى مجالات الاعلام المختلفة (صحافة ـ إذاعة ـ تليفزيون ـ سينما مسارح ـ ملاهى)

وقد توجوا سيطرتهم هذه بالالتفاف حول البيت الأبيض ومختلف وظائف الحكومة الرئاسية حتى أصبحت أمريكا اليوم تعيش تحت سيطرة الصهيونية العالمية توجهها كيف تشاء وتستغلها كيف تشاء لصالحها وفى سبيل تحقيق أهدافها .

ولقد كان هذا الخطر الجاثم على صدر أمريكا اليوم وعلى صدر الشعب الأمريكى ماثلا أمام الرئيس « بنيامين فرانكلين » فى عام ١٧٨٩ ، إذ أعلن فى المؤتمر الذى انعقد لإعلان الدستور الأمريكى عام ١٧٨٩ ما يلى(١) :

« هناك خطر عظيم يهدد الولايات المتحدة الأمريكية وذلك الخطر هو « اليهودية » .

أيها السادة: حيثما استقر اليهود نجدهم يوهنون من عزيمة الشعب، ويزعزعون الخلق التجارى الشريف ، إنهم كونوا حكومة داخل الحكومة ، وحينما يجدون معارضة من أحد فإنهم يعملون على خنق الأمة ماليا كما حدث للبرتغال وإسبانيا ومنذ أكثر من ١٧٠٠ سنة وهم يندبون مصيرهم . . لا لشيء إلا إدعاؤهم أنهم طردوا من الوطن الأم .

ولكن تأكدوا أيها السادة أنه إذا أعاد إليهم اليوم عالمنا المتمدين فلسطين فإنهم سيجدون الكثير من المبررات لعدم العودة إليها أو الاكتفاء بها .

لماذا ؟ لأنهم مثل الطفيليات التى لا تعيش على نفسها ، أنهم لا يستطيعون العيش فيما بينهم ، أنهم لابد أن يعيشوا بين المسيحيين وبين الآخرين الذين هم ليسوا من جنسهم .

إذا لم يمنع اليهود من الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية بموجب الدستور . . فنى أقل من ١٠٠ سنة سوف يتدفقون على هذه البلاد بأعداد ضخمة تجعلهم يحكموننا ويدمروننا ويغيرون شكل الحكومة التى ضحينا وبذلنا لإقامتها دماءنا وحياتنا وأموالنا وحريتنا الفردية .

إذا لم يمنع اليهود من الهجرة فإنه لن يمضى أكثر من ٢٠٠ سنة ليصبح أبناؤنا عمالا فى الحقول لتوفير الغذاء لليهود الذين يجلسون فى البيوت المالية مرفهين يفركون أيديهم غبطة . .

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيونية وتعاليم التلمود شوقى عبد الناصر ص ٢١٥ — ٢١٧

إنى أحذركم أيها السادة ، إذا لم تمنعوا اليهود من الهجرة إلى أمريكا . . . . إلى الأبد ... فسوف يلعنكم أبناؤكم وأحفادكم فى قبوركم . . أن عقليتهم تختلف عنا ، حتى لو عاشوا بيننا عشرة أجيال فإن النمر لا يستطيع أن يغير جلده .

اليهود خطر على هذه البلاد ...وإذا سمح لهم بالدخول إليها فسوف يخربون دستورنا ومنشآتنا، يجب منعهم من الهجرة بموجب الدستور ».

وإذا كانت هذه النبوءة قد صدقت وبصورة أشد فإننا نجد أن رئيس الولايات المتحدة « ويلسون » وكذلك « روزفلت » أحاطت بهما ثلة من اليهود كمستشارين يوجهون سياسة الولايات المتحدة .

وقد قيل إن روزفلت نفسه كان يهوديا إذ أمكن فى حكمه أن تسيطر (النجمة السداسية) كشعار للدولة فى كثير من مناطق الولايات المتحدة .

أما ترومان ، فيروى أنه من أصل يهودى يدعى أنه مسيحى ، على الرغم مما كان يردده باستمرار من أن كتابه المفضل « التلمود » . . ! وفى عهد ترومان تمت السيطرة الكاملة لليهود على كافة مجالات الحياة الأمريكية .

لقد كتب ترومان ضمن ما كتب :(١)

« ان مصير ضحايا الهتلرية من اليهود كان أمرا يشغلنى ويثير اهتمامى ، فان مآسى أولئك الذين يحيلهم عدم التسامح والتعصب الى ضحايا بسبب جنسهم أو لونهم أو دينهم كانت تهيج خاطرى ،وهذه الأمور لاينبغى السماح بها فى مجتمع متحضر . . . لقد اضطهدت روسيا وبولندا فى التاريخ الحديث اليهود اضطهادا كبيرا ،وكان تخصيص أحياء لسكنى اليهود فيها — ومنها أحياء ترجع الى العصور الوسطى أمرا مألوفا .

ولكن وحشية النازيين المنظمة ضد اليهود فى ألمانيا كانت من أفظع جرائم التاريخ كله ، وكان لابد لمأساة الضحايا الذين خلفتهم حرب الإبادة الجنونية

---

(١) امبراطورية إسرائيل : صلاح دسوقى (١٩٦١) (ص ٧٩ — ٨٥)

التى شنتها المانيا الهتلرية على اليهود أن تهز ضمير الحضارة الغربية ، فكان على كرئيس الجمهورية الأمريكية أن أفعل شيئا من أجلهم . . . وكان ضمن الحلول المقترحة إقامة وطن قومى يهودى . . . »

ثم قال :

« إن وجهة النظر الأمريكية بالنسبة لفلسطين هى أننا نرغب فى أن يدخل فلسطين أكبر عدد ممكن من اليهود . ثم أن المسألة ينبغى أن تتم بالطرق الدبلوماسية مع البريطانيين والعرب ، بحيث يمكن لهم (أى اليهود) إنشاء هذه الدولة إذا كان من الممكن أن تنشأ على أساس سلمى فلست أزعم إرسال نصف مليون جندى أمريكى لإقرار السلم فى فلسطين . . . »

وجاء إيزنهاور خلفا لترومان ، وكان هو الآخر من سلالة يهودية كسلفه ، كان عضوا مؤازرا للجمعية الارهابية اليهودية بنادى برث ، وصديقا لجماعة شهود يهوه ، وكانت مناصرة اليهود له فى إنتخابات الرياسة الأمريكية أساس فوزه بمقعد الرئاسة ومن ثم فلم يكن غريبا أن يمنح ولاءه الكامل لمن ساندوه فى الحصول على منصب الرئاسة ، بل كان عليه أن يكون منفذا لسياسة الصهيونية العالمية كجزء من رد الجميل الشخصى الذى أسدوه له ، وكوسيلة لاستمراره فى المقعد الذى تتطاحن للفوز به الاحزاب الأمريكية وعلى الأخص الحزب الديموقراطى والجمهورى .

لقد استطاعت الصهيونية العالمية « صهينة » الولايات المتحدة الأمريكية بسيطرتها على كافة مجالات الحياة الأمريكية ، وبذلك تمكنت من تسيير دفة الحكم وتوجيه رؤساء أمريكا إلى ما يخدم أغراضها ، وينفذ تخطيطها .

حركة الصهيونية فى المنطقة العربية :

اتضح لنا من عرض الظروف التى خلقت اسرائيل « كرأس جسر للاستعمار » فى المنطقة العربية ، كيف حاولت الصهيونية العالمية متعاونة مع الاستعمار ، أن

تمهد لهذا المخلوق الدخيل بعمليات ارهاب متواصلة على أرض فلسطين العربية وارتكاب فظائع يندى لها جبين الإنسانية .

ولم يكن الأسلوب الارهابى قاصراً على فترة الانتداب بل امتد إلى ما بعد إعلان قيام اسرائيل منعكساً على محاولات الاستفزاز المتكررة ، والعدوان السافر المدعوم بالبطش الاستعمارى ، هادفة بذلك تحقيق الحلم فى أن تتسع اسرائيل لتسمى نفسها امبراطورية تمتد من « النيل إلى الفرات » .. !

وترى قوى الاستعمار العالمى وعلى رأسها أمريكا أن قيام اسرائيل ، بتعكير صفو الأمن بالمنطقة العربية ، يتيح لأمريكا فرص التدخل فى هذه المنطقة ، وفرض شروطها لإدخال المنطقة ضمن دائرة نفوذها ، واشعار المنطقة العربية أن حالة الاستقرار المنشودة إنما تكمن فى أن ترتمى الدول العربية فى أحضان أمريكا .

إن هدف الاستعمار العالمى من ذلك هو ضرب المد الثورى التحررى العربى الذى امتد تياره إلى مناطق أخرى فى العالم .

ترى هل تعمل اسرائيل ، أداة الصهيونية العالمية على تنفيذ مخطط الاستعمار فى المنطقة العربية لأنها ترغب فقط فى اذلال العرب ، واشعارهم بالضعف أمام قوتها المزعومة ، أم أنها ترمى من وراء ذلك إلى أهداف أبعد من ذلك .

إن ما تقوم به اسرائيل من عدوان مستمر على الدول العربية المجاورة لها ، يهدف إلى جانب ذلك كله إلى محاولة ترقيع الوضع الشاذ فى داخلها سواء بجمع الفلول الداخلية من شذاذ الآفاق حول عمل عسكرى ، أو استغلال الوضع المتوتر فى المنطقة للحصول على مزيد من المساعدات والمعونات ، سواء من الصهيونية العالمية أو من القوى الاستعمارية العالمية التى يهمها دعم وجود اسرائيل .

لقد كانت اعتداءات اسرائيل قبل ١٩٤٨ ، جزءاً من الخطة الموضوعة لتشريد شعب فلسطين ، واقامة الدولة العنصرية الاستعمارية الإرهابية . ولعل أبشع تلك المذابح هى مذبحة دير ياسين (١) التى حدثت يوم ٩ أبريل ١٩٤٨ .

فنى مساء يوم ٩ أبريل فوجئت قرية دير ياسين ، التى تقع فى ضواحى القدس ، بأصوات مكبرات الصوت تدعو الأهالى لإخلاء القرية ، وما أن تجمع الأهالى ليستطلعوا الخبر ، حتى هجم عليهم رجال الهاجاناة اليهود ، وأعملوا فى الجميع ذبحاً وتقتيلا ، لم يفرقوا بين رجل وسيدة . ولا بين طفل أو شيخ عجوز ، حتى الحبالى من النساء تم الاجهاز عليهن . لقد ذبحوا مايزيد عن ٢٥٠ شخصاً ، أمكن حصرهم ، ومثلت بأجسامهم .

ولم يكن من بقى على قيد الحياة بأسعد حالا . لقد جمع اليهود من بقى على الحياة من النساء والفتيات العربيات ، ثم جردوهن من ملابسهن ، ووضعوهن فى سيارات نقل مكشوفة ، وطيف بهن وهن عرايا ، من كل ما يستر حرماتهن ، فى الشوارع اليهودية من القدس ، حيث عرضن على الجماهير الصاخبة ، لتلتقط لهن الصور الفوتواغرافية .

وهكذا بدأ اليهود فى ذلك اليوم طريق الإرهاب فى فلسطين العربية ، وطريق الإرهاب طويل . لقد تعرضت بعد ذلك عشرات من القرى العربية فى فلسطين لمثل ما تعرضت له دير ياسين . فنى ١٣ أبريل ١٩٤٨ هوجمت قرية ناصر الدين ، بالقرب من طبرية ، بنفس الطريقة تقريباً . وفى أول مايو ١٩٤٨ قبضت دورية يهودية فى قرية القبو على ثلاثة من العرب وأدخلتهم إلى كوخ شيخ جاوز السبعين ، ثم ذبحتهم أمام عينيه الواحد تلو الآخر .

---

(١) عن مذبحة دير ياسين والاعتداءات الاسرائيلية — اكتوبر ١٩٥٦ راجع : اعتداءات اسرائيل - صدر عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية — القاهرة ١٩٥٧

وفى يوم ٥ مايو ١٩٤٨ هاجم ارهابيو الهاجاناة بعض القرى على ضفاف نهر الأردن بالقرب من بيت الحوزى وقتلوا برشاشاتهم الكثيرين ، وجرحوا المئات . كما أشعلوا النار فى بعض المنازل ، وقذفوا بالشباب المكبل ، لتشوى أجسامهم وهم أحياء ، أمام أعين من تبقى على قيد الحياة من سكان تلك القرى .

وفى ٦ مايو ١٩٤٨ جمع اليهود ، عدداً من الرجال والنساء والأطفال فى جامع قرية الزيتون بالقرب من صفد ، وبثوا الألغام فى جوانب بيت الله ونسفوه على من فيه فلم ينج منهم أحد .

وفى يوم ١٣ مايو ١٩٤٨ هاجم الارهابيون قرية بيت دراس ، فى منطقة غزة فأعملوا فى الأهالى تقتيلا ، مثلما حدث فى دير ياسين ثم هدموا جميع بيوت القرية نسفاً بالديناميت أو قصفاً بالمدفعية .

وبعد إقامة الدولة الصهيونية فى الأرض العربية ، امتدت الأعمال الإرهابية ، بل زادت مع مر السنين وأصبح هدفها ، علاوة على كل الأهداف السابق ذكرها هو دفع العرب المقيمين باسرائيل لتركها ، وذلك انسجاماً مع نظرتهم العنصرية ، فهم فى القرن العشرين يريدون تنقية اسرائيل من كل العناصر غير اليهودية ، التى يعتبرونها منحطة . حتى ولو كانت هذه العناصر هى صاحبة البلاد منذ فجر التاريخ .

وبدأ اليهود سلسلة من الجرائم الوحشية ضد العرب داخل اسرائيل فكم جمعوا أعداداً منهم فى بقاع قاحلة لا ماء فيها ولا زرع ولا حياة ، وأجبروهم على البقاء بتلك البقاع بغية القضاء عليهم وإبادتهم جماعياً . فعشيرة الشبلى على سبيل المثال كانت تعد نحو ١٥٠٠ نسمة ، هبط عددها نتيجة لأساليب الإرهاب الصهيونية إلى ٥٠٠ نسمة . وكذلك فعل اليهود بعرب بئر سبع ، وغيرها من القرى العربية التى ما زالت تحتفظ بطابعها العربى .

وأقام اليهود معسكرات الإعتقال الواسعة فى جميع انحاء اسرائيل ، وقد حدثنا عما يرتكب من جرائم وحشية داخل تلك المعسكرات ، أفراد من المواطنين العرب الذين هربوا من تلك المعسكرات إنقاذاً لحياتهم من ارهاب فاق كل ما يمكن أن تتفتق عنه عقول الشياطين أنفسهم .

وكانت النتيجة الحتمية لكل تلك الأعمال الإجرامية قبيل اعلان قيام اسرائيل فى ١٥ مايو ١٩٤٨ وبعد اعلانها ، أن خرجت قوافل الفلسطينيين الفارين من الإرهاب الصهيونى ، ولتخلق الصهيونية العالمية مشكلة انسانية هى مشكلة اللاجئين . وتحاول الصهيونية أن تبرىء نفسها من مسئولية ذلك التشريد لمئات الألوف من العرب ، ولكن الحقائق والأرقام وتقارير هيئة الأمم المتحدة وقراراتها ، تدمغهم بجرمهم ، وتدمغ معهم الاستعمار البريطانى والامبريالية الامريكية .

ويعترف زعماء الصهاينة أنفسهم بجريمتهم فنرى وايزمان يكتب فى مذكراته أنه : « اتفق مع الحكومة البريطانية ، التى تبنت الحركة الصهيونية على تسليم فلسطين لليهود ، خالية من سكانها العرب » . ويعترف أيضاً .. بأنه « كان مقدراً لذلك الاتفاق أن يتحقق فى عام ١٩٣٤ ، لولا أن الثورات التى قام بها عرب فلسطين عاقت ذلك(١) » .

وجاء فى خطاب الزعيم الصهيونى فلاديمير جابوتنسكى : « إننا سنطرد العرب من فلسطين وشرق الأردن ، وسنقذف بهم فى الصحراء العربية ، وسنقيم الدولة اليهودية على ضفتى الأردن .

وأدرك المؤرخ البريطانى الكبير أرنولد توينبى أبعاد المشكلة وحقيقتها فكتب فى مقال له فى فبراير ١٩٥٥ ما يلى : « إن مستقبل اسرائيل الروحى

(١) اللاجئون الفلسطينيون — عن الأمانة العامه لجامعة الدول العربية — إدارة فلسطين — المقدمة .

والسياسى ، مرتبط بمستقبل اللاجئين الفلسطينيين العرب . وأن إلغاء المظالم التى حلت بهؤلاء اللاجئين هى ، على ما أعتقد ، أساس واجبات اسرائيل وأسمى مصلحتها .. إن الطريق الوحيد لوضع حد لأية مأساة ، هو فى القضاء على سلسلة الإثم والألم القاتلة . والطريق الوحيد للقضاء عليها هو اعتراف المرء بذنبه ، وفى أن يعمل كل شىء فى حدود أحكامه ليكفر عنه . وهذه هى الطريقة الوحيدة لاسرائيل ولبريطانيا(١) » .

أما عمليات النهب والقرصنة التى مارستها الصهيونية فى فلسطين ، فهو أمر ليس بالغريب عليها وفق مخططها ، لقد استولت عصابات الصهيونية على أراضى العرب وأملاكهم بعد أن طردتهم ، ولقد قدر الخبراء ما استولوا عليه بحوالى ٢٠٠٠ مليون جنيه استرليني تقريباً . لقد كانت هذه الممتلكات أساساً لترغيب المهاجرين إلى داخل اسرائيل ، إذ وزعت على اليهود المهاجرين مساحات من الأراضى ومنازل سكنية .

إن سلطات إسرائيل لم ترع حرمة الأديان فلم تنج المساجد والكنائس من دنسهم وارهابهم بل امتدت إليها يد التخريب والإزالة ، ولم ينج رجال الدين من عنتهم واضطهادهم(٢) .

هذه أمثلة من الإرهاب الإسرائيلى فى القرى العربية داخل اسرائيل ، وعلى حدودها ، نعرضها على سبيل المثال لا الحصر ، ولو شاء مؤرخ أن يكتب عن تلك الأحداث وأمثالها لاحتاج إلى مئات المجلدات . وكان عدوان اسرائيل عام ١٩٥٦ على مصر ثم عدوانها فى يونيو ١٩٦٧ على الدول العربية واستخدامها النابالم ، وكل الأسلحة المحرمة دولياً ، ضد السكان العرب العزل

---

(١) المرجع السابق

(٢) راجع اسرائيل : قيامها ـ واقعها ـ مصيرها ـ د. كمال الدسوقى ـ عبدالتواب سلمان ص ٩٦ ـ ٩٧

من السلاح ، أكبر دليل على أن هذه الدولة قد آلت على نفسها ، ألا تتخلى أبداً عن الإرهاب أسلوباً لتحقيق أهدافها فى السيطرة على العالم ، تماماً كما تعلمت من النازية طوال سنوات الحرب العالمية الثانية .

والصهيونية تسعى منذ سنوات إلى اشعال حرب عالمية ثالثة وهى لا تتورع عن ذلك ولن ترتدع ، بل هى ترى فى اشتعال مثل هذه الحرب ، خدمة لمصالحها وخطوة إلى الأمام ، فى سبيل القضاء على الدول الحالية ، تمهيداً لقيام الحكومة العالمية اليهودية . وفى اجتماع سرى صهيونى عقد فى مدينة بودابست بالمجر عام ١٩٥٤ ، حضره جميع حاخامات أوروبا ، شرح الحاخام عمانويل ايفانوفتش الخطة الصهيونية الجديدة لإشعال حرب عالمية ثالثة . وقد تمكنت صحيفة كومن سنس الأمريكية من الحصول على نص خطاب الحاخام ونشرته مما أثار زوبعة فى الأوساط الصهيونية(١) .

وقد قال الحاخام فى خطابه :

« نحن نرجو أن تنقضى عشرون عاماً على الحرب العالمية الثانية ، قبل نشوب الصراع المقبل ، فإن هذه الفترة سوف تتيح لنا الجمع بين المصالح الكبرى ، التى حصلنا عليها فى أعقاب الحرب الأخيرة . إلا أن ازدياد عدد الاسرائيليين فى بعض المناطق الحيوية من العالم ، قد أثار عدة حركات عدائية ، ومن ثم يتعين علينا العمل على اشعال نار حرب عالمية ثالثة ، فى غضون السنوات الخمس المقبلة » .

ومضى الحاخام يتحدث عن أحلامه الصهيونية فيقول : « وفى وسعى أن أعدكم بأن جنسنا لن يلبث أن يحتل المكانة الجديرة بنا فى العالم ، قبل انقضاء عشرة أعوام ، وسيغدو كل اسرائيلى ملكا ، وغير الاسرائيليين عبيداً .

---

(١) ترجم الخطاب بالعربية للاستاذ عبد المنعم شميس - كتب سياسية - الكتاب ٧٦ - ص ٤ - ٧

وختم الحاخام هذا الحديث الإجرامى مبيناً أن الحرب فظيعة ، ولكنها السبيل الوحيد لوصول الصهيونية إلى السيطرة على العالم بعد تحطيم قوة روسيا وأمريكا معاً ثم قال : « والآن عودوا إلى بلادكم ، واثقين من النصر مؤمنين بالمجد الذى ينتظركم ، وضاعفوا من جهدكم ، إلى أن يأتى اليوم الذى تستطيع فيه اسرائيل أن تزيح النقاب عن وجهها ، وأن تغمر العالم بنورها وإشراقها » .

الفصل السادس

الصهيونية والعالم

زعمت الصهيونية أن اليهود فى جميع أنحاء العالم من أصل فلسطنى ، أى أنهم جنس له وطن هو فلسطين . والحقيقة أن هذه الاكذوبة كانت ولاتزال أساس الدعوة الصهيونية فى مطالبتها بفلسطين وهذا الزعم لايمكن تفنيده إلا بالرجوع إلى الأسس العلمية التى تبحث فى أصول الشعوب والاجناس وتاريخها .

إن الإنغلاق العنصرى لليهود وشعورهم بالتميز عن سائر البشر ، جعل سكان أوروبا ينفرون من اليهود ، والديانة اليهودية معا . وكان لانعزال اليهود فى أحياء خاصة بهم ، وعدم إختلاطهم بسكان البلدان التى نشأوا وعاشوا بها أكبر الأثر فى زيادة الهوة والخلاف ، بينهم وبين شعوب تلك الأوطان من المسيحيين وظل اليهود على عاداتهم وتقاليدهم دولة داخل الدولة مروجين لإشاعة ،لانصيب لها من الصحة ، هى إنهم جميعا من نسل إسرائيل أى يعقوب بن اسحق بن سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام . وأنهم لذلك غرباء فى أوروبا ، وأنهم شعب بلا وطن ، يستحق من البشرية أن تعطف عليه فتعطيه فلسطين ليقيم بها دولة تنقذ يهود العالم من التشرد .

والحقيقة التى لاتقبل الجدل والتى يرويها لنا التاريخ فى صدق وحزم ودون تردد أو مواربة ، هى أن يهود أوروبا من أصل أوروبى ولاصلة لهم البتة ببنى إسرائيل نسل إبراهيم عليه السلام . وأنهم فى غالبيتهم أوربيون ، اعتنقوا الدين اليهودى على أيدى مبشرين من اليهود فى القرن الثالث قبل الميلاد ،

وفى القرون التالية ، وبعضهم كان مسيحيا ، واعتنق اليهودية . وقد كانت لهم مستعمرة كبيرة فى المنطقة الشمالية والوسطى من حوض نهر الراين بألمانيا ، ومن هذه المنطقة انتشروا فى جميع أنحاء أوروبا .

ولو كان اليهود جميعا من نسل إبراهيم لرأيناهم اليوم متشابهين إلى حد ما ، ولما رأينا بينهم فى أوروبا ألوفا من ذوى الشعر الأصفر والعيون الزرقاء ، وفى الحبشة مثلا ألوفا من ذوى البشرة السوداء والشعر المجعد ، ولما رأينا بينهم فى الصين الصفر المغول . هل يصدق عاقل أن كل أولئك اليهود باختلاف سحنهم وطولهم وأشكالهم من سلالة جنسية واحدة ؟ لقد أجمع على ذلك كل علماء الأجناس المتخصصين ، وأجمعوا كذلك على أن يهود أوروبا الذين يكونون أغلبية يهود العالم ليسوا من أهل فلسطين مطلقا إلا فيما ندر ، وأنهم من أصل جرمانى أو سلافى أو بلقانى .

وينتمى يهود العالم إلى كل جنسيات العالم ، وهم لايكونون جنسا قائما بذاته ، وإدعاء ذلك محض كذب وإفتراء . وواجبنا أن نفرق بين انتشار الديانة اليهودية بين أجناس أخرى وبين الجنس اليهودى المنحدر من سلالة إبراهيم ، والذى تفرق فى كل أنحاء الأرض ، وضاعت معالمه بمرور الزمن ، وأصبح لايمكن العثور عليه أو تحديده . والديانة اليهودية انتشرت فى أنحاء عديدة من العالم ، قبل أن يطرد الرومان البقية الباقية من اليهود من أرض فلسطين .

ويقول فى ذلك الأستاذ أوجين بيتار أستاذ علم الانثروبولوجيا فى جامعة جنيف(١) : « إن جميع اليهود بعيدون عن الانتماء إلى الجنس اليهودى » . ثم

---

(١) *Eugene Pittard , Les Races et l'Histoire , P. 313*

راجع الدكتور محمد عوض محمد — الاستعمار والمذاهب الاستعمارية دار المعارف ١٩٥٧ ص ١٤٧ .

يقول فى موضع آخر من كتابه « إن اليهود يؤلفون جماعة دينية اجتماعية قوية جدا ، من غير شك ، شديدة التماسك ، ولكن العناصر التى تتألف منها متنوعة تنوعا عظيما . »

وعلى هذا فيهود ألمانيا ألمان ، ويهود فرنسا فرنسيين ، ويهود الصين صينيين ويهود أفريقيا أفريقيين ، وهكذا فى كل قطر من أقطار العالم . وقد جنت الصهيونية على يهود العالم ، حين حاولت الادعاء بأنهم أبناء جنس واحد ، فشطرت ولاءهم لدولهم التى هم من صميم رعاياها ، وشككت فى مسالكهم كافة الشعوب . ولعل فى كراهية النازية لليهود خير دليل على ذلك ، فلو أن يهود ألمانيا عاشوا بها كبقية المواطنين الألمان ، ولم يسلكوا مسلكا انتهازيا معاديا لجموع الشعب لما نمت النازية ولا ترعرعت بمثل تلك السرعة ولما أنزلت النازية بالبشرية كثيراً من المظالم التى أنزلتها ولتغير وجه التاريخ ، ولكنها الأكذوبة الصهيونية قادت إلى الأكذوبة النازية وعانت البشرية من خداعهما حربا عالمية ثانية ، خسرت فيها البشرية مايزيد عن الخمسين مليونا من البشر الأبرياء ، ذهبوا نتيجة لصراع استعمارى رهيب بين القوى الاستعمارية المختلفة ، ولعب الدور الرئيسى فى حدوث كل تلك الفظائع البشرية كل من الصهيونية والنازية . ولقيت النازية نهايتها المحتومة ، وبقيت الصهيونية عدو البشرية ومحطمة الحضارات ليعانى منها العالم لسنوات أخرى .

أما عن كذب الصهيونية على التاريخ ، وادعائها حقا تاريخيا فى فلسطين ، وتسميتها بأرض الميعاد ، فخير من ترد عليه هى الكاتبة الأمريكية إيلين بيتى ، التى تسرد لنا تاريخ فلسطين أيام الكنعانيين ، ثم تحدثنا عن فلسطين العربية على مر العصور ، رغم ماتعرضت له من غزو أجنبى . والكاتبة الأمريكية تحلل تاريخ فلسطين تحليلا تاريخيا رائعا ، تصل إلى النتيجة التالية : « على أساس هذا السجل التاريخى نرى أنه ليس للأردن ولا لإسرائيل أية ذرة من الحق القانونى

فى فلسطين ، مما يجعل دعاواهما مضحكة ، كدعاوى موسولينى منذ خمسة عشرة عاما ، عندما قام يطالب بإمبراطورية روما الإستعمارية القديمة ... من هو إذن صاحب الحق القانونى فى فلسطين ؟ هناك شعب واحد ، لايكاد يذكره أحد ، مهمل ، يكاد يكون منسيا من الجميع — ونعنى به شعب فلسطين نفسه — أهالى فلسطين ؟ ...(١)

هاهو العلم يكذبهم ، والتاريخ يكذبهم ، والواقع يكذبهم ، وكل منصف من كتاب العالم يكذبهم ، ويدينهم ، حتى بعض اليهود الذين تزعم الصهيونية أنهم يدينون بالولاء لها يطعنون وجود اسرائيل من الناحية العلمية ، ويعتبرونها تجنيا على العلم والحق والتاريخ .

(١) إيلين بيق — ازيلوا إسرائيل — كتب سياسية — (الكتاب ١٥) — ص ٦٠-٦١

الباب الثانى

النازية

الفصل الأول

ماهية النازية وتطورها

يرتبط تاريخ النازية التي طبقت شهرتها الآفاق في مرحلة من مراحل الإنسانية بتاريخ أدولف هتلر مؤسسها وراعيها ، بل أن النازية انتهت بسطوتها وقوتها بنهاية أدولف هتلر ، ولهذا كان علينا أن نقدم لنشأة النازية وتطورها بنشأة أدولف هتلر ومراحل حياته المختلفة لنلقى ضوءا على البيئة التي ترعرع فيها والظروف المحيطه به ، حتى أدت إلى خلق مايسمى بالنازية .

* * *

ولد أدولف هتلر مساء يوم ٢٠ إبريل ١٨٨٩ فى مدينة براوناو بالنمسا ، وتقع على الحدود بين النمسا وبافاريا الألمانية ، وكان أبوه موظفا صغيراً بالجمارك النمسوية ، على حدود ألمانيا ... وكانت براوناو مدينة صغيرة يقطنها ألمان صميمون ، ذلك أن النمسا نفسها كانت طوال تاريخها أرضا ألمانية ، وهى وإن كانت تتكون من مملكتى النمسا والمجر ، إلا أن سكانها من الألمان كانوا لايزالون يرتبطون عاطفيا بألمانيا ، أكثر من إرتباطهم بالمجر ، بل أن عداء الألمان النمسويين للتشيك والسلاف عامة كان قد بلغ عند مولد هتلر درجة كبيرة جعلت الحركات السياسية النمسوية المؤيدة للانضمام إلى ألمانيا ، تحظى بتأييد الجماهير الغفيرة وفى هذا الجو المنادى بالوحدة الألمانية النمسوية ، ولد أدولف هتلر .

وكان هتلر منذ أن التحق عام ١٩٠٠ بمدرسة فنية فى لينز ، حيث كان يعمل أبوه بالجمارك ، ميالا أشد الميل إلى دراسة تاريخ ألمانيا . وكانت مدرسة لينز

المتوسطة تؤهل طلبتها للأعمال الفنية والتجارية . وفى عام ١٩٠٣ مات والد هتلر واستمرت والدته على أية حال تتقاضى معاشا ضئيلا ، وترك هتلر المدرسة لأن تقاريره بها كانت ضعيفة ، لا تسمح له بالاستمرار . ثم التحق بمدرسة شتير ، وهى بلدة قريبة من لينز ، وقد تركها هتلر وهو فى السادسة عشرة من عمره ، دون أن يحصل منها على الشهادة المتوسطة .

ويصور لنا هتلر فى كتابه كفاحى ، تلك المرحلة من حياته ، ومدى البؤس الذى عانى منه ، ويبرر لنا سبب فشله فى دراسته بميله الشديد لدراسة الفنون لكى يصبح رساما . وقد أثارت زيارة هتلر لڤيينا ، فى مايو ١٩٠٦ حبه الشديد للمدينة ، ومبانيها الفخمة ، ومتاحفها ومسارحها . وعند عودته إلى لينز ، كان قد فقد كلية أى رغبة فى البحث عن عمل يرتزق منه ولم يعد له أمل فى الحياة إلا أن يعود إلى ڤيينا، ليلتحق بأكاديمية الفنون الجميلة ورغم قلق أمه على مستقبله وعدم موافقتها ، فقد استسلمت لرغبته . وفى خريف ١٩٠٧ رحل هتلر ثانية إلى ڤيينا ، يحدوه أمل باسم بمستقبل سعيد .

وفى ڤيينا فشل هتلر فى الالتحاق بأكاديمية الفنون الجميلة ، لأن رسوماته فى إمتحان القبول بها كانت غير مرضية. وكانت النتيجة كما ذكر فى كتابه كفاحى صدمة مريرة ، ولكنه رفض أن يستسلم لليأس ، فلم يرجع إلى لينز رغم مرض أمه التى كانت تعانى سكرات الموت من سرطان أصابها . ولم يعد هتلر إلى لينز، إلا فى ديسمبر ١٩٠٧ ، ليشيع جنازة أمه ، وليعود ثانية إلى ڤيينا فى فبراير ١٩٠٨ ، ليواصل فيها حياة التشرد .

وعاش هتلر فى ڤيينا منعزلا عن الناس ، لا يكترث بمباهج المدينة ، يتجول طوال يومه فى الشوارع والحدائق ، ليشاهد المبانى والآثار ، التى كان شديد الإعجاب بها ، أو يختفى فى إحدى دور الكتب باحثا عن شيء جديد مثير . وفى كثير من الأمسيات كان يتردد على المسرح أو الأوبرا ، بقدر ما تسمح به ميزانيته

المحدودة ، والتى كانت تتمثل فى معاش ضئيل عن والده ، وميراث بسيط عن والدته .

وبدت ڤيينا لهتلر الوحيد ، برغم جمالها ورونقها ، مدينة كئيبة ، فاقامته بها عاطلا لم تكن أبدا بالمتعة ، التى داعبت خياله حين لجأ إليها . وظل هتلر بها حتى عام ١٩١٣ . وهو يعد تلك السنوات أتعس سنوات حياته . ولكن تلك السنوات التعسة كانت رغم ذلك هى السنوات الحاسمة فى تشكيل شخصية هتلر ، وبلورة أفكاره . ولم يقم هتلر طوال تلك السنوات بأى عمل منتظم فى مصنع أو مؤسسة ، بل كان يكسب قوت يومه من ثمن ما كان يبيعه من رسومات بسيطة يقوم باعدادها . والواقع أن هتلر كان يقوم إلى جانب ذلك ببعض الأعمال اليدوية البسيطة ، كتنظيف السجاد فى البيوت ، أو حمل الحقائب للمسافرين فى المحطة ، أو كنس الشوارع ، وتنظيفها من الجليد المتراكم . وكثيرا ما عانى هتلر من الجوع والبرد(١) .

وفى هذه الفترة البائسة ، بدأ هتلر يهتم بالسياسة ، شأنه شأن غالبية سكان ڤيينا ، الذين لعبت الندوات والمناقشات السياسية دورا كبيراً فى حياتهم اليومية وبدأ هتلر يثقف نفسه بنفسه ، وأخذ يقضى الساعات الطوال فى المكتبات العامة يقرأ عن روما القديمة ، والديانات الشرقية ، واليوجا ، والتنويم المغناطيسى ، والفلك ، كل فرع منها يستحوذ على تفكيره لفترة قصيرة . وحاول هتلر أعمالا كثيرة ، ولكن لم يستمر فى أى منها طويلا ، فكان دائم العودة لسيرته الأولى فى معيشته من اليد إلى الفم . وقد قضى هتلر السنوات الثلاث الأخيرة له بڤيينا ، فى ملجأ للرجال ذوى الدخل المحدود ، نظير أجر بسيط ، وكان هذا الملجأ (أو

---

(١) *Alan Bullock, Hitler, Eine Studie über Tyrannei , S 20 - 25 .*

آلان بولك . هتلر ـ دراسة عن الدكتاتورية = ص ٢٠ ، ٢٥

الهايم على حد قولهم) يقع فى الحى العشرين من ڤيينا فى الجانب الآخر من المدينة قرب نهر الدانوب .

وبمرور الزمن ، اعتاد هتلر تلك الحياة ، وأصبح أكثر شذوذا ورأى فيه الناس شخصية غريبة . وأطلق هتلر لكراهيته العنان ضد اليهود ، والقساوسة والديموقراطيين الاشتراكيين فى النمسا ، وعائلة هابسبرج الحاكمة .

وكان كانيا مدير (الهايم) ، الذى أقام به ، يعتبر هتلر من أكثر العملاء غرابة وشذودا . ولكن أيام ڤيينا تلك ، تركت فى شخصية هتلر آثارا لاتمحى . فنجده يقول عنها : « تكونت فى ذهنى خلال تلك السنوات صورة للحياة ، ونظرة محددة للعالم ، وكانت هى أساس تصرفاتى ، ومنذ ذلك الحين ، لم أضف لذلك الأساس سوى القليل ، ولم تضطرنى الحاجة لتغيير شيء . . . ولكن ڤيينا كانت وظلت أصعب وأوطد مدرسة فى حياتى(۱) .

ويحدثنا هتلر بنفسه عما تعلمه فى الملجأ بڤيينا فيقول : « إن فكرة النضال قديمة قدم الحياة نفسها ، فالحياة تستمر فقط لأن كائنات حية أخرى تهلك خلال الصراع .. وفى هذا النضال يكسب الأقوى والأكثر قدرة ، بينما يخسرها الأقل قدرة الأضعف قوة ، إن الإنسان لايعيش أو يمنح القدرة لحفظ نوعه فوق مستوى عالم الحيوان بواسطة القيم والشعارات الإنسانية ، وإنما يتمنى له ذلك بواسطة القتال القاسى العنيف »(۲) .

ورغم أن هتلر يصف فى كتاب « كفاحى » البؤس الذى كانت تعيشه

---

(۱) *Adolf Hitler, Mein Kampf, München, 1925, S. 20*

أدولف هتلر . كفاحى . ميونيخ ١٩٢٥ . ص ٢٠

(۲) *G. W , Prange , Hitlers words , washington 1944,*

برانجا — كلمات هتلر — واشنجطن ١٩٤٤ — ص ٨ (خطبة هتلر يوم ٥ فبراير ١٩٢٨) .

الطبقة العاملة فى ڤيينا فى ذلك الوقت ، إلا أنه يتضح من خلال كل سطر من صفحاته ، أنه لم يكن يحمل لتلك الطبقة أية مشاعر من العطف . « أنا لا أدرى ما الذى راعنى أكثر حينئذ : وضع زملائى الاقتصادى السيء ، أم عاداتهم وأخلاقهم الفجة ، أم انخفاض مستواهم الفكرى »(١) .

ولم يشعر هتلر البتة ، بأى عطف على محاولات الفقراء ، الذين أسيء إستغلالهم ، لتحسين وضعهم بمجهودهم الشخصى . ولم يكن عداء هتلر موجها للمجرمين والمتسولين ورجال الأعمال ، أو أولئك السادة الأغنياء المترددين على الملجأ ، بقدر ما كان موجها ضد العمال المنتمين للمنظمات كالحزب الاشتراكى الديمقراطى أو الاتحادات العمالية ، والذين كانوا يدعون للإخاء والمساواة بين الطبقات العاملة . فالاخاء فضيلة لم يعرفها هتلر أبدا ، والطبقات العاملة المكافحة تعارضت مع أفكاره عن تفوق الآرى .

ولم يكن غريبا أن تتأصل فى ڤيينا كراهية هتلر لليهود الذين لم يعرفهم فى مدينته « لينز » والذين كانوا فى ڤيينا يتسلطون على كل نواحى الحياة الاقتصادية ، والذين كانوا فى ڤيينا محط كراهية غالبية السكان . ويحدثنا هتلر عن مقابلته الأولى لرجل يهودى فيقول : « إنه فى يوم أثناء تجولى فى قلب المدينة ، شاهدت فجأة شخصا يلبس قفطانا طويلا ، وقد تدلت سوالفه السوداء . هل هذا يهودى ؟ كانت هذه أول فكرة طرأت على ذهنى . بالتأكيد أنه فى لينز لم يكونوا يظهرون بهذه الصورة . وتلصصت لأراقب الرجل باحتراس عن كثب ، وكنت كلما تفحصت جزءا من وجه الرجل الغريب ، كلما راود فكرى سؤال آخر تماما : هل هذا الرجل ألمانى ؟ وكعادتى فى مثل تلك الظروف لجأت إلى الكتب أستوضحها . واشتريت لأول مرة بعض المجلات المعادية لليهود نظير دريهمات قليلة »(٢)

(١) أدولف هتلر — المرجع السابق — ص ٢٩

(٢) نفس المرجع السابق — ص ٥٦

واتسمت لغة هتلر فى حديثه عن اليهود بنفس اللون العنيف الذى اتسمت به الكتب المادية لهم فى ڤيينا فنراه يقول عنهم فى موضع آخر من كتابه «كفاحى» ما يلى:

«هل توجد خيانة أو فضيحة فى أى مجال وخاصة فى المجال الفكرى لم يشترك فيها على الأقل يهودى؟ إن كل إنسان يدقق البحث بشرطه فى أمثال تلك الجروح القذرة، سيجد يهوديا يعميه الضوء المفاجىء بها كالدودة التى تعيش على الأجسام المتعفنة»(١)

وكانت التفرقة بين الأجناس والأفراد، فى نظر هتلر من قوانين الطبيعة. إن الشيطان الفقير العاطل، الذى عاش غالبا نصف جائع، لا منزل ولا عائلة له، قد تشبث بكل فكرة تحقق له اعتقاده فى امتيازه وتفوقه. لقد كان يرى أنه ينتمى بحق إلى طبقة السادة، فهو يخشى المساواة التى كانت تتعارض جذريا مع اعتقاده الدائم بتفوقه عن كل العمال والمتشردين واليهود والسلاف، الذين عاش معهم أو صادفهم فى ڤيينا.

ولم يكن هتلر يعترف بشىء من مظاهر الديمقراطية، كحرية الكلام، أو حرية الصحافة والبرلمان. كما أولع طوال حياته بالمناقشات، ولم يكن يستطيع أن يتمالك شعوره مع معارضيه فى الرأى، فى المقاهى أو فى «المايم» الذى كان يسكنه، فكثيرا ما كان يبدأ فى الصياح بصوت عصبى، ويصب على معارضيه سيلا من الشتائم. إنه نفس سلوكه حين وصل إلى السلطة، عندما يواجه معارضة أو رأيا مخالفا لرأيه. واعتقد هتلر بعدم المساواة بين الأجناس، إعتقادا أكبر من اعتقاده بعدم المساواة بين الأفراد. ولقد أصبح هتلر منذ كان بالمدرسة وطنيا ألمانيا متحمسا ... !!

والواقع أن تعصب هتلر لقوميته وألمانيته طوال حياته، يعكس فى الواقع صورة حية لنشأته فى النمسا.

---

(١) نفس المرجع السابق — ص ٥٨

لقد أثرت ڤيينا وحياتها فى هتلر أكبر الأثر ، ولكن ما شاهده من تسلط يهودى على مصير الشعب الألمانى فى النمسا ، أثار حفيظته ضد اليهود ، ومخاوفه من أن تجر النمسا ألمانيا لنفسها إلى هذا المصير المؤلم . وملأت الرغبه نفس هتلر ، فى أن يعيش فى أرض ألمانيا ، داخل حدود ألمانيا نفسها ، التى أحبها من كل قلبه ، وكان يرى فى وحدتها مع النمسا أمل حياته . لقد كانت ڤيينا لهتلر مدرسة شقاء وعذاب ، إلا أن السنوات التالية لها ، جعلته يذكرها كما يذكر الإنسان شيئا عزيزا مرتبطا بالطفولة ومطلع الشباب .

وفى ربيع ١٩١٣ غادر هتلر ڤيينا ليقيم إقامة دائمة فى ميونيخ بجنوب ألمانيا . ويتحدث هتلر بنفسه فى كتابه عن تلك الفترة فى ڤيينا ، فيبرز كراهيته لذلك الخليط العجيب من الأجناس بها ، من التشيكيين ، والبولنديين والصربيين ، والكرواتيين وغيرهم ، ويخص بالذكر اليهود ثم يضيف قائلا : « وكلما سرت فى هذه المدينة ، كلما زاد حقدى على هذا الخليط الغريب من البشر الذى بدأ يقضى على حضارة تلك المدينة العريقة »(١) ثم يعدد هتلر الأسباب التى دفعته إلى ترك ڤيينا واللجوء إلى ميونيخ ، وفى مقدمتها حبه الشديد لألمانيا ، ورغبته للعمل بها على قيام الوحدة بينها وبين النمسا ، وطنه الأصلى . أما ما يزعمه بعض المؤرخين من أن هتلر غادر النمسا هربا من الجندية ، فلا أساس له من الصحة ، لأنه تقدم بنفسه للجندية متطوعا فى ألمانيا ، وخاض الحرب العالمية الأولى ، بل ونال وسام الصليب الحديدى من الدرجة الأولى ومن الدرجة الثانية مكافأة له على شجاعته .

وانتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة ألمانيا ، وفرض الحلفاء عليها شروطا قاسية للصلح ، وقضت معاهدة فرساى عام ١٩١٩ على كل أمانى الشعب الألمانى ، ومزقت بلاده شر ممزق .

---

(١) نفس المرجع السابق — ص ١٢٨

لقد أخذت دول الحلفاء التى حضرت مؤتمر فرساى تصب جام غضبها على ألمانيا المهزومة ، وتمزق أرضها لتوزعها أسلابا وغنائم على كل من ناصر الحلفاء فى الحرب ، وجردت ألمانيا من السلاح ، وحددت عدد قواتها بمائة ألف ، وفرضت عليها تعويضات ضخمة تثقل كاهلها ، وتفوق قدرتها وإمكانياتها المالية والاقتصادية كبلد هزم فى الحرب وأصيبت كل مرافقه .

ثارت ثائرة الألمان ضد معاهدة فرساى التى كانت تمثل فى نظرهم أقسى ألوان الظلم ، ولكنهم قبلوها على مضض لأنهم لم يكونوا يملكون غير التسليم بما ورد فى المعاهدة ، وما اتخذ ضد ألمانيا من إجراءات عنيفة ...

وإذا كانت ألمانيا قد قبلت هذا الوضع على مضض ، إلا أن شبابها كان يشعر بجرح عميق لكرامة بلاده ، يتطلب منه أن يعد العدة لاسترداد الكرامة وإزالة عار الهزيمة والتسليم بنصوص معاهدة فرساى .

وقد انعكست هذه الظروف على هتلر فانضم إلى جماعة صغيرة مكونة من ستة أفراد ، كانت تسمى نفسها حزب العمال ، وكانت هذه المجموعة تستفيد من الإجحاف الوارد فى نصوص فرساى ، فى كسب الأنصار للحزب ، واستقطاب عناصر جديدة ، مما أدى إلى نمو الحزب وكثرة عدد أعضائه .

وفى فبراير ١٩٢٠ ، أعلن هتلر برنامج الحزب الذى كان أحد مؤسسيه ، والذى اشترك فى وضعه ؛ فخرج فى صورة تتفق مع طريقة تفكيره ، وعكس بذلك صورة لشخصية هتلر ، بعداوته لمعاهدة فرساى ، وعداوته المتأصلة ضد اليهود . وتضمنت النقطة الأولى فى البرنامج ، مطالبته باتحاد جميع الألمان فى دولة واحدة تدعى ألمانيا الكبرى .

وفى يوليو ١٩٢٠ . أصبح هتلر زعيما للحزب ، الذى أصبح يسمى « حزب العمال الألمانى الاشتراكى الوطنى » أو « حزب النازى » .

وكانت النظرة إلى هذا الحزب على أنه حزب ثائر نشأ فى ظروف يفكر فيها الشعب الألمانى فى تخطى الهزيمة والقضاء على نتائج معاهدة فرساى ، لذا كانت الظروف ممهدة لانضمام عدد كبير من الألمان للحزب الثائر ، وتدفقت الأموال على خزائن الحزب ، وتكونت منظمات الشباب العسكرية للدفاع عنه ، وأضحى هتلر وحزبه فى موقف يتمكن منه من أن يدلى بكلمته ، ويصبح صاحب وزن يخشى منه على النظام القائم فى ألمانيا .

وكانت خطة هتلر أن يصل على رأس حزبه إلى السلطه ليتمكن من تنفيذ مخططاته ، ووصل هتلر فعلا إلى الحكم فى يناير ١٩٣٣ ، فبدأ فى تنفيذ مخططه لتحطيم معاهدة فرساى والانتقام من كل القوى التى عملت على إذلال ألمانيا ، وكان هتلر يعى دور اليهود فى فرساى ؛ من هنا كان أساس الصراع بين النازية ، والعناصر اليهودية المرتبطة بالصهيونية العالمية . ومن هنا كانت النازية مرتبطة بأفكار هتلر العنصرية ومن هنا كانت رغبة النازية فى التسلط والسيطرة والاستعمار ، ومن هنا حملت النازية بذور نهايتها .

الفصل الثانى

النازية حركة عنصرية

استندت النازية كحركة سياسية إلى أساس عنصرى . . . تفوق عنصرى الجنس الآرى على غيره من الأجناس . . . وتمييزا لهذا الجنس على ماعداه من أجناس .

لقد أرجعت النازية كل القيم الانسانية والدولية إلى أصل عنصرى .وأذكت فى الشعب الألمانى عصبية الجنس الآرى ، وأخذت تمجد له خصائصه وصفاته الموروثة ، ثم دفعته للاعتقاد بأهمية تفوق هذا العنصر الآرى ، على غيره من العناصر ، مما يؤهله للسيادة عليها .

إن النازية فى سبيل الوصول إلى هدفها مارست كل ألوان التمييز العنصرى ، وسعت جهد طاقتها على هذا الأساس لتوسيع رقعة الأرض التى تقدم خيراتها لهذا الشعب الآرى ، ودعت أفراد الشعب إلى تفضيل المنفعة الجماعية للشعب وللدولة العنصرية على منفعتهم الخاصة .

ولكى تستطيع الدولة النازية ممارسة مخططاتها بنجاح يحقق لها أهدافها، دعت إلى تجميع كل السلطات فى يد رأس النظام النازى« أدولف هتلر » بوصفه الزعيم المختار الذى وهبته العناية الألهية للشعب الألمانى ، ليقوده إلى مكانته اللائقة به ، كعنصر ممتاز عن كافة شعوب العالم . وصار شعار النازيين فى ألمانيا : أمة واحدة — ودولة واحدة — وزعيم واحد . . وكان نداؤهم ونشيدهم : ألمانيا فوق الجميع .

وجهت النازية كل همها واهتمامها إلى تمجيد العنصر الآرى ، ومن المفروض

أن الشعب الألمانى ممثل لهذا العنصر ، والشعب الألمانى ينتسب إلى العنصر النورديكى المعروف قديما بالشجاعة والبسالة .

لقد سارت النازية — كحركة عنصرية — مسار غيرها من الحركات العنصرية ، وأخصها الحركة الصهيونية .

نادت بالتفوق العنصرى ، وما يتبعه من تمييز عنصرى ، وجد ضد كل الأجناس غير الألمانية ، وضد اليهود بالذات فنشأت الحركة المعادية للسامية « اللاسامية » واعتبر الجنس السامى أحط الأجناس ، وتبع ذلك محاولة للانغلاق العنصرى المستند إلى ضرورة تنقية الدم الألمانى وتخليصه من كل ما علق به من شوائب وعوارض بفعل اختلاطه بأجناس أخرى على مر العصور .

ورغبة من النظام النازى فى تعميق جذور العنصرية ، فإنه كان يعزى كافة أسباب النكسة والإنحطاط التى مر بها الشعب الألمانى ، إلى ما أصاب الجنس الآرى الذى يمثله الشعب الألمانى ، من إهمال وإغفال لصفات الجنس الآرى المتوارثة من ناحية ، وسماح هذا الجنس بقبول الدخلاء عليه للاختلاط به ، والالتحام معه ، والاندماج فيه . . . إن ذلك قد أدى إلى تلوث الجنس الآرى وأفقده صفاته المميزة له على سائر البشر ، ومكن منه العناصر الأخرى الأقل منه إمتيازاً ، ومن ثم فإنه من الضرورى — فى رأى النازية — تنقية العنصر الآرى باعتباره سيد العناصر البشرية جمعاء .

ونصت التعاليم النازية على أن الجنس الجرمانى هو أرقى الأجناس البشرية وأنقاها ، ثم وزعت النازية أجناس البشر إلى مراتب ، فوضعت فى الطبقة العليا الجرمان أهل الرايخ الألمانى ، يليهم الجرمان الذين لا يعيشون فى الرايخ الألمانى ، ويأتى بعدهم النورديون الخلص كالنرويجيين والدانماركيين والسويديين ، ثم الانجلوسكسون والنورمانديون ، وغيرهم من الأقرباء التيوتون . أما الطبقة السفلى فقد وضعت النازية الزنوج فيها ثم وزعت بقية الأجناس فيما

بين هاتين المنزلتين .(١)

ودعتهم هذه النزعات العنصرية إلى محاولة الاكتفاء الذاتى داخليا فى ألمانيا قدر المستطاع ، وإلى محاولة الاستيلاء على أقصى ما يستطيعون من أراضى الدول الشرقية ، التى كانوا يرونها مملوكة لشعوب اقتنعت النازية بحقارتها ودعت للقضاء عليها . كما حتمت النازية عدم المزج بين الأجناس ، لأنه على حد قول هتلر فى كتابه « كفاحى » : « عمل ضد الطبيعة . . . وماهو ضد الطبيعة فهو ضد الخالق » وروجت النازية فكرة أن الخلط بين الأجناس يؤدى إلى انقراض العنصر القومى تدريجيا ، ، وضعف النسل .

ومن هذا المنطلق ولتوجيه الجماهير الألمانية لعدو مشترك ، شنت النازية حربا لاهوادة فيها ضد اليهود . واللاسامية قديمة فى أوروبا ، بل هى قد ولدت وترعرعت قبل أن يولد هتلر نفسه ، وقد رأينا كيف أنه تشرب روحها أيام إقامته فى فيينا فى شرخ شبابه ولكن هتلر جدد شبابها ، وأشعل نيرانها ، وصب جام غضبه ، وغضب حزبه على اليهود ، محملا إياهم مسئولية كل مالحق البشرية من مصائب فهم يشاطرون شعوب أوربا خيراتها دون أن يشاركوها آلامها . وهم باحتكاراتهم المالية يسومون الشعب المسيحى العذاب .

ويصف هتلر مشاعره تجاه اليهود فى خطاب ألقاه يوم ٢٨ يوليو ١٩٢٢ فيقول : « اليهودى لم يؤسس أبدا حضارة واحدة ، ولكنه دمر المئات إنه لا يملك شيئا يخصه ويستطيع إثبات ملكيته له . ان كل ما يملكه قد سرقه . انه يدع الشعوب الغريبة تبنى له ، والعمال الأجانب يبنون له حتى معابده . الأجانب والأجانب فقط يعملون من أجله ، والأجانب والأجانب فقط تسيل دماؤهم من أجل راحته .. ليس لليهودى فن خاص به ، ان كل ما يملكه فى هذا المجال أيضا قد سرقه أو نقله من شعوب أخرى . . . الآرى فقط هو الذى بنى

---

(١) دكتور محمد فؤاد شكرى — ألمانيا النازية — ص ١٥ ، ١٦

الدول ، وحدد طريق مستقبله ، وهذا مالا يستطيعه اليهودى . ولما كان اليهودى لا يستطيع شيئا من ذلك فقد لجأ للثورات العالمية . إن اليهود ينتشرون بسرعة كما تنتشر الأوبئة . . . ، لقد دمروا روسيا وجاء دور ألمانيا .(١)

ولقد تحدث هتلر فى كتابه « كفاحى » عن اليهود وهجرتهم للمجتمعات الأوروبية ، ثم تسللهم للمراكز التجارية الحساسة إلىأن يسيطروا على مقدرات الدولة ، ثم على ساستها أنفسهم . ولقد أدرك هتلر إلى حد كبير خطر الصهيونية العالمية على فلسطين ، فقال إنهم لا يطالبون بفلسطين ليتخذوها بلدا يهاجرون إليها فحسب ،وإنما لتكون مستعمرة تضم المنبوذين منهم والفاشلين . . ولتكون مدرسة لخلق الجيل الجديد من اليهود الذين سيدربون على التسلل إلى أوربا والسيطرة عليها(٢) .

واحتلت اللاسامية خمسة بنود من برنامج الحزب النازى الذى أعلن فى ٢٥ فبراير ١٩٢٠ . وقد قصرت هذه البنود جنسية الدولة الألمانية على المواطنين الذين ينحدرون من دم ألمانى نظيف ، مع إستبعاد اليهود منها . وحرمان غير الألمان من حق الإنتخاب أو شغل وظائف الدولة . كما نصت على منع هجرة غير الألمان الى ألمانيا ، وابعاد كل من دخلوها بعد ٢ أغسطس ١٩١٤ منتهزين فرصة انهماك البلاد فى الحرب العالمية الأولى .

وما أن تولى هتلر الحكم حتى سن من التشريعات ما يكفل له تحقيق مخططه العنصرى . فبعد شهر من توليه السلطة فى أوائل عام ١٩٣٣ ، أصدر قانونا يحرم تشغيل اليهود فى المدارس والجامعات حتى لا يتلف عقول الأجيال المقبلة . وفى ١٥ مارس ١٩٣٥ ، صدرت مجموعة أخرى عرفت بإسم « قوانين نورمبرج لحماية العنصر » . وقد قضت تلك القوانين بحرمان اليهود من الجنسية الألمانية ،

(١) آلان بولك . المرجع السابق . ص ٤١٥

(٢) دكتور عادل محمد شكرى . النازية ـ ص ٥٣ ، ٥٤

واعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية . كما منعت زواج اليهودى بألمانية ، أو استخدامه لخادمة ألمانية تقل عن ٤٥ سنة . وما أن قامت الحرب ، حتى بدأ هتلر حملة ابادته لكثير من اليهود ، ومن لم يقتل منهم استضافته المعتقلات .

ولقد كان هتلر يهدف من تعميق جذور النزعة العنصرية فى نفس الشعب الألمانى ، إلى بناء داخلى لألمانيا يكون منطلقا لمد نفوذه إلى المناطق المجاورة له ، وفرض سيطرته فى النهاية على العالم . وأسلوبه فى ذلك كان بطبيعة الحال الاعتماد على القوة العسكرية وإشاعة الروح العسكرية وامتدادها إلى كافة المجالات .

الفصل الثالث

الأساس الاقتصادى للنازية

يعتبر الاقتصاد عصب الحياة ، وإذا كانت وجهة الحياة وأسلوبها يتجه إلى الحرب ، فإن النازية كانت تستمد أساسها الاقتصادى كأساسها السياسى من الاعتماد على النزعة العنصرية واذكائها نعرتها ، والتعصب للعنصر ، وإنماء الروح العسكرية التى طبعت الشعب الألمانى بطابع النظام الصارم والخضوع الكامل لسيطرة الدولة ، ووضع مصلحتها فى المحل الأول ، حتى ولو كان ذلك يتعارض مع المصالح الشخصية .

وإذا كان للاقتصاد القائم على هذه الأسس أهميته فإننا نرى من المهم أن نعرض بإيجاز لملامح السياسة الاقتصادية النازية(١) .

تقوم الفكرة الاقتصادية للنظام النازى على أساس احترام الملكية الخاصة ودعمها ... هذا من جانب ، ثم الرقابة الصارمة من جانب الدولة على شئون الصناعة لا إدارتها أو تملكها من جانب آخر ...

ولهذه الفكرة أساسها المنبثق من الفكر العام للنازية إذ ترى أن رب العمل الرأسمالى ، والعامل ، وكافة المواطنين إنما يخدمون الدولة ... يعملون لها ... ويتفانون فى خدمتها، والدولة بما لها من سلطان وسلطة ، لها أن تفرض على كل منهم أوامرها ، وتملى إراداتها ومشيئتها ، فى سبيل تحقيق صالح المجتمع .

ويقوم رب العمل — فى نطاق عمله — بدور الزعيم والقائد والممثل للاقتصاد القومى ، ومن ثم تمنحه الدولة سلطات خاصة فى علاقته مع العمال ،

---

(١) فؤاد محمد شبل : عصب الحرب — مطبعة المعارف — القاهرة .

الذين ينحصر واجبهم الرئيسى فى الإذعان لأوامره دون اعتراض ، ولهذا فإن وجود أى نوع من أنواع التمرد أو الاضراب ، يعد عملا ضاراً بالدولة ، وتحدياً لهـا ، يحق لها مقاومته بكافة أساليب العنف والقهر .

وإذا كان صاحب العمل يملك هذه السلطة المطلقة فى إدارة شئون العمل ، وبالنسبة للعمال ، فإنه يكون ملتزماً أمام الدولة بعدم تعطيل العمل ، لمـا يؤدى إليه ذلك من إلحاق الضرر بالاقتصاد القومى .

وإذا ما حدث نزاع بين العمال وأصحاب الأعمال فإن الدولة تتدخل للتوفيق بين الجانبين عن طريق محاكم خاصة يلتزم الطرفان المتنازعان بالنزول عن رغبتها والرضوخ لحـكمها .

إن القائد الصغير أى صاحب العمل يمارس السلطة الـكاملة نيابة عن الدولة فى مجال عمله ، وله مطلق التصرف فى الإنتاج والعمل بما يتفق مع سياسة الدولة وخاصة سياستها الحربية .

والحق أن الاقتصاد النازى يمـكن أن يطلق عليه اقتصاد حربى لأنه كان يوجه توجيهاً كاملا لخدمة أغراض الحرب . . إن تجارة ألمانيا الخارجية كانت تأخذ مسارها فى الطريق الذى تحدده خطة الحرب ، والصناعة الألمانية كانت تؤائم انتاجها بما يتفق ومتطلبات الحرب ، وتحقيق الاكتفاء الذاتى لألمـانيا ، مع الاعتماد على الخارج فى أضيق الحدود ، كان يتحدد وفقاً لمـا تتطلبه الحرب كذلك .

وكانت هذه السياسة مصحوبة بنظام دقيق للرقابة على كافة المجالات ، كان يمتد إلى محاولة عزل الاقتصاد الألمانى عن المؤثرات الخارجية بقدر الإمـكان ، تمثل ذلك فى تقييد التبادل التجارى مع العالم الخارجى حتى تقلل ألمانيا من اعتمادها على الخارج .. وقد استوجب ذلك — تفاديا لحدوث أى تضخم فى الداخل تثبيت مستوى الأجور من ناحية ، والحد من تصدير رءوس الأموال إلى الخارج ، وهو ما كفله إحكام رقابة الدولة .

ولقد كان للنظام النازى نظرته الخاصة إلى الزراعة تمثلت فى العمل على خلق عدد كبير من الملكيات الزراعية من الأب إلى الابن ، وفقا لقانون الوراثة الزراعية ، الذى أصدره النازى انسجاما مع ايدلوجيته فى الحفاظ على نقاء السلالة الألمانية .

ولقد كانت هذه النظرة تأخذ فى الاعتبار الظروف السياسية والاجتماعية ، ومقتضيات الحرب ، ولذا اعتبرت الزراعة طريقة للحياة لا وسيلة من وسائل عدة لاكتساب العيش ، ومن ثم عملت الحكومة على حماية الزراع من تقلبات أسعار الحاصلات الزراعية ، وكفالة لون من الاستقرار والطمأنينة لهم حتى يقوموا بواجبهم فى تزويد الشعب الألمانى بمطالبه الغذائية الأساسية وعلى الأخص فى وقت الحرب .

أخذ الحزب النازى على نفسه عهداً بأن يوفر العمل لكل مواطن ألمانى ، وانطلاقاً من التزام الدولة بايجاد عمل لكل مواطن ، أعطت الدولة لنفسها الحق فى الزام كل فرد بالعمل الذى تحدده له وكذلك قبول الأجر الذى تحدده له ، مهما كان ذلك معارضاً لمصالحه الخاصة أو مخالفاً لميوله ورغباته .

وإذا كان العمل حقاً للمواطن ، فان للمواطن حريته وكرامته ، وصيانة هذه الحرية والحفاظ على هذه الكرامة يدفع العامل إلى بذل أقصى الجهد فى الإنتاج .

ولاشك أن قيام النازى باغفال هذه الحقيقة كان يستند إلى الاستعدادات للحرب التى أخذت شكلها الواضح منذ عام ١٩٣٣ ، إذ وجد النظام نفسه أمام مشكلة البطالة المتفشية ، مما حدا بها إلى خلق مجالات عمل كثيرة للقضاء على هذه المشكلة .. ولم يكن أمام العمال العاطلين من سبيل سوى قبول الأعمال التى دبرتها لهم الحكومة لعدة اعتبارات منها أن هذه الأعمال وإن كانت لا تتناسب مع

كفايتهم فضلا عن ارهاقها ، إلا أنها كانت تدر عليهم دخلا أعلى من إعانة البطالة الضئيلة التى كانوا يتقاضونها بصفتهم عاطلين .

إن هذا الاستعداد للحرب الذى كان يسيطر على كافة مجالات الحياة فى ألمانيا ظهرت مبرراته فى صيف عام ١٩٣٨ ، فالتوتر الذى ساد الموقف السياسى فى أوربا نتيجة للنزاع بين ألمانيا وتشيكوسلوفاكيا دفع ألمانيا إلى الاسراع فى زيادة برامج التسلح ، لتحصين جبهة البلاد الغربية بأسرع وقت ممكن ، ولما كانت الدولة قد أوجدت عملا لكل عاطل فإن تنفيذ هذا البرنامج كان يقتضى أن ينقل العمال من مجالات عملهم إلى المجال الجديد — مجال التسلح — الذى تفرضه الضرورة التى تواجهها البلاد ، لذا صدر فى ٢٨ يونية ١٩٣٨ قانون يخول للدولة الحق فى دعوة أى مواطن ألمانى ليعهد إليه بأعمال تعتبرها الدولة ذات أهمية خاصة وعاجلة بالنسبة لها ، وفى ظل قوة هذا القانون نقل مئات الألوف من العمال من أعمالهم إلى المجال الجديد .

ولقد قضى النازى على نقابات العمال وأنشأ ما سمى بجبهة العمل ، وبذلك مارس دور الرقابة الصارمة على العمال وعلى أجورهم ، لخفض نفقات الإنتاج وزيادة قدرة الصناعة الألمانية على المنافسة الأجنبية .

ولقد أعلن الحزب النازى قبل أن يتولى السلطة أنه عدو المشروعات الكبيرة والاحتكارات وصديق المشروعات الصغيرة ، ولكنه بعد أن تولى الحكم أخذ يدعم المشروعات الرأسمالية الضخمة التى تتولى تنفيذ سياسة الحزب الاقتصادية . ولم ينتفع من الصغار سوى المزارعين لرغبة النازى فى دعم المزارعين بهدف تزويد ألمانيا بما يكفيها من المواد الغذائية ، ولم يكن ذلك ميسراً إلا برفع أسعار المحاصيل الزراعية .

والزارع الألمانى فى أيديولوجية النازية يعد عماد الدولة من الناحية الاقتصادية ورمز تفوق العنصر الجرمانى من الناحية الاجتماعية ، ولذلك كان لابد

من تضافر كافة الجهود لمساندته من جانب كل طبقات الشعب فرواج الصانع والتاجر يتوقف فى الحقيقة على رواج الزراع ، ولهذا اتخذت الحكومة كثيراً من الإجراءات لحماية الملكيات الزراعية الصغيرة وحصر الإرث الزراعى فى الابن الأرشد وليس بالضرورة فى الابن الأكبر ، بل الابن الأقوى على إدارة واستغلال الملكية الزراعية .

ولقد بذل النازى جهداً ضخماً فى تنفيذ الكثير من المشروعات الصناعية الحربية ومشروعات المنافع العامة ذات المساس بالمجهود الحربى كالطرق والمطارات .

ولقد كان طابع السياسة الاقتصادية النازية هو تحقيق الاكتفاء الذاتى ، تجلى ذلك فى مشروع السنوات الأربع الذى قدمه هتلر إلى مجلس الرايخستاج فى سبتمبر ١٩٣٦ معلناً أن الهدف منه هو أن تكتفى ألمانيا نفسها تماماً من جميع المواد الأولية اللازمة فى غضون أربعة أعوام دون اللجوء إلى الاستيراد من الخارج ، وفى أكتوبر عين « جورنج » مسئولا عن تنفيذ المشروع وأعطى له الحق فى إصدار ما يشاء من القوانين واللوائح لتحقيق هذا الهدف . كما عين « فاجنر » مشرفاً على جهاز الأسعار حتى لا يؤدى تنفيذ المشروع إلى ارتفاع فى الأسعار . وقد صحب تنفيذ هذا المشروع تخفيض الإنتاج من بعض المنتجات وتخفيض الاستهلاك من بعضها خاصة تلك التى تستورد من الخارج وتتحمل الدولة مقابل الحصول عليها عملات أجنبية ، بل صحب هذا البرنامج برنامج لتنظيم هيكل الاستهلاك ذاته بما يتفق مع ظروف البلاد وإمكانياتها واحتياجاتها لبعض السلع لدعم الاستعدادات العسكرية .

من هذا يتضح أن السياسة الاقتصادية النازية كانت سياسة تقوم على الاستعدادات الحربية وفى خدمتها .

وإذا كان قد قدر لهذا النظام أن يستمر لسنوات بهدف إنشاء المعدات الحربية فانه لم يكن هناك مفر من استخدام هذه المعدات فى أحد مجالين :

الاول : إما فى شن الحرب .

الثانى : أو فى بيعها الدول الاخرى .

غير أن التعبئة الكاملة لأغراض الحرب أدت إلى أن يحرم الشعب الألمانى نفسه لتحقيق هذا الهدف غير أن وضع الحرمان الذى كان يعانى منه الشعب الألمانى لم يكن وضعاً سليماً فى وقت السلم ، واستمرار هذا الوضع لم يكن محتملا لعدد كبير من السنين ولهذا كانت الحاجة الملحة للتوسع الخارجى عن طريق شن الحرب ، ولقد كان هذا اللون من التفكير يحقق لوناً من الإشباع النفسى لهؤلاء الذين يقدسون القوة ومنطقها ، كما كان يكفل لوناً من العزاء لهؤلاء الذين يتحملون تبعات الاستعداد للحرب ، كمبرر مؤقت تستطيع به سياسة الحرب أن تمتد لتكتسح مناطق جديدة يمكن عن طريقها تعويض هؤلاء عما تحملوه من حرمان .

الفصل الرابع

النازية حركة استعمارية

الدافع للاستعمار :

كان لابد لسياسة التسلح التى تحتل المرتبة الأولى فى برامج النازية ، أن تجد لها متنفسا ، بعد التعبئة النفسية الكاملة التى قام بها الحزب النازى وعلى رأسه هتلر ، ولم يكن هذا المتنفس ليجد طريقه إلا عن طريق الإمتداد الأفقى على الأراضى المجاورة ، لينعم بها الشعب الآرى العظيم ، سيد العالم ...

ولم يكن هتلر ليتخذ خطوة نحو التوسع إلا بعد الرجوع إلى بعض الدول الضالعة فى الإستعمار ، يكسبها إلى صفه ، أو يتفق معها على تنفيذ مخططه . حاول أن يكسب إلى جانبه كلا من فرنسا وبريطانيا ، ليحتل أراضى شرق أوربا ويتولى « جرمنتها » .

ولم يكن هتلر ليستخدم كلمة الإستعمار وهى كلمة شائعة تنم عن محاولات السيطرة بالقوة والخديعة على مقدرات الشعوب الأخرى وإستغلالها ، لهذا ابتكر لمطامعه الإستعمارية لفظاً بديلا لم يسبق للإستعماريين تداوله ، وهو استعمار فى ثوب جديد ، وأسلوب جديد أطلق عليه « المجال الحيوى للشعب الألمانى » والمجال الحيوى فى حقيقته وواقعه ، منطقة يتم احتلالها ، واستغلال خيراتها وإمكانياتها لصالح ألمانيا النازية .

والإستعمار النازى فى هذا الإطار — شأنه شأن الإستعمار الصهيونى — لم يكن ليقنع باحتلال الأرض واستغلال خيراتها ، وإنما كان ذلك كله فى إطار النزعة العنصرية القائمة على التمييز والتفرقة والتعصب الأعمى .

كان السلاف واليهود فى رأيه أقواما دون البشر لاحق لهم فى الحياة ، وعليهم أن يعملوا خدما وعبيداً لسادتهم الألمان .

خطة النازى الاستعمارية :

وضع زعماء النازى خططهم ومشاريعهم ، لاستعباد مواطنى دول أوروبا الشرقيـة ، وقد أوضح هتلر فى جلسات كثيرة معهم ، مخططه ضـد كل من تشيكوسلوفاكيا وبولندا وروسيا بالذات ففى يوم ٢ أكتوبر ١٩٤٠ ، تحدث هتلر للمقربين من أعوانه ، عن خطته بالنسبة لبولندة بعد احتلالها . وتنقل لنا مذكرة لبورمان نائب هتلر عن محضر هذه الجلسة مايلى(١)

« لقد أكد الفوهرر أن البولندى على عكس العامل الألمانى ، قد ولد للقيام بالأعمال الحقيرة . ويجب علينا أن نؤمن لعمالنا الألمان فرص الترقى ، أما العامل البولندى فلا حق له فى ذلك البتة . فمستوى المعيشة فى بولندا يجب أن يبقى على ماهو عليه ، بل يجب أن ينخفض عن ذلك . إن بولندا يجب أن تظل المخزن الاحتياطى الدائم لإمدادنا بالعمال اللازمين للأعمال الحقيرة ... ويجب اتخاذ كل مايلزم من خطوات لعدم وجود طبقة سيدة من البولنديين . وحيث توجد طبقة من البولنديين السادة فيجب أن يؤخذوا بمنتهى الشدة ويبادوا . »

ثم يمضى محضر الجلسة قائلا : « لقد أكد الفوهرر مرة أخرى ، أن على البولندى ، أن يعرف بوضوح ، أن له سيدا واحدا هو السيد الألمانى . يجب ألا يوجد هناك سيدان ، ولا يصح ذلك أيضا ولهذا يجب إبادة الطبقة المثقفة البولندية . إن هذا يبدو قاسيا ولـكنه قانون الحياة . »

ويمضى التقرير موضحا أن واجب رجال الـكنيسة الكاثوليـكية هو معاونة

---

(1) *Der Prozess gegen Hauptkriegsverbrecher, Nürnberg 1947 - 1949*

محاكمات نورمبرج ــ المجلد السابع ـ ص ٢٥٢ ــ ٢٥٤ (محضر الجلسة)

النازية على تنفيذ ذلك فيقول : « إن القساوسة البولنديين يتلقون معاشهم منا ، وواجبهم فى مقابل هذا هو أن يربوا رعايا الكنيسة ، بالطريقة التى نرغبها نحن. فعليهم أن يبقوا البولنديين أغبياء ، حمقى ، وهـــذا يتفق مع مخططنا ، لأن البولنديين إن ارتفعوا إلى طبقة أعلى فإننا سنخسر الأيدى العاملة البسيطة التى نحتاجها .. إن أقل عامل أو فلاح ألمانى يجب أن يكون فى مستوى معيشى أعلى من أى بولندى بعشرة فى المئه على الأقل . »

وبعد أسبوع واحد من هذا الحديث ، بحث هتلر مسألة مستقبل سكان تشيكوسلوفاكيا ، بعد احتلالها أيضا . ويقول تقرير لفرانك ، سكرتير محميتى بوهيميا ومورافيا التشيكيتين ، عن محادثات هتلر تلك فى يوم ٩ أكتوبر ١٩٤٠ ، أن هتلر أمر بإدماج نصفهم فى ألمانيا ، بنقلهم إليها للعمل كالرقيق ، أما النصف الثانى فقد نص التقرير على وجوب ابادتهم وخاصة المثقفين .(١)

وفى جلسة يوم ٣٠ مارس ١٩٤١ ، وقبل الهجوم على روسيا ، أعلن هتلر لمعاونيه عن نيته تجاه الشعب الروسى فقال : « إنه صراع بين عقيدتين . الشيوعية خطر على المستقبل . يجب أن نتخلص من فكرة شهامة الجندى ازاء زميله الجندى : ان الشيوعى ليس بزميل لنا ولن يكون زميلا . ستكون الحرب حرب ابادة وفناء . »(٢)

ونشط أعوان هتلر فى تنفيذ ما أمر به والاستعداد لحرب الفناء ضد روسيا كما وعدهم زعيمهم . وفى ١٣ مايو صدر توجيه خاص يعهد إلى الارهابى الأكبر

(١) محاكمات نورمبرج — وثيقة رقم PS – 862

(١) *1939-1945, Der zweit weltkrig in Chronik und Dokumente, Darmstadt , 1961 , Dok - 56 .*

وثائق الحرب العالمية الثانية — وثيقة رقم ٥٦

(محضر الجلسة — كتبه بنفسه الفريق هالدر — رئيس أركان حرب الجيش الألمانى)

هملر ، قائد قوات الحرس النازى الاجرامية ، باعداد ما يلزم للادارة السياسية فى روسيا ، بعد إحتلالها . وفى نفس الفترة أعد روزنبرج ، الذى عينه هتلر مفوضاً عاما على منطقة شرق أوربا المحتله ، أعد خطة لتقسيم روسيا الاوروبية إلى ما سماه بمفوضيات . وقد نصت على أن تتحول بولندة الروسية إلى محمية ألمانية يطلق عليها اسم « أرض الشرق » ، بينما تعلن أوكرانيا دولة مستقلة متحالفة مع ألمانيا ، ويتولى مفوض ألمانى حكم بلاد القوقاز الغنية بمواردها البترولية ، على أن تؤلف دويلات البلطيق وروسيا البيضاء محميات ألمانية ، تمهيدا لضمها مباشرة إلى الرايخ الألمانى الأكبر . وقد بنيت كل تلك الخطة على أساس تشريد أهالى البلاد الأصليين ، ليحل الألمان محل الذين يتم إبعادهم عن بلادهم(١) .

أما جورنج ، الساعد اليمنى لهتلر ، والذى عهد إليه باستغلال روسيا إقتصاديا بعد احتلالها ، فقد كان أكثر وضوحا من روزنبرج ، ففى ٢٣ مايو ١٩٤١ أصدر مكتب جورنج للشئون الإقتصادية التعليمات الخاصة باستغلال المناطق الروسية . وجاء بها أن المناطق الشرقية من روسيا ، ستخصص أثناء الحرب وبعدها ، لتوريد المواد الغذائية اللازمة لألمانيا خاصة ، وأوروبا الواقعة تحت السيطرة الألمانية عامة . وقد جاء بتلك التعليمات المتعلقة بالمجاعة التى ستقع فى روسيا نتيجة سوء استغلالها ما يلى :

« إن الإدارة الألمانية فى هذه المناطق ، يمكنها على أية حال أن تحاول تلطيف آثار المجاعة التى ستقع فيها حتما ، وأن تعجل بالعودة إلى الأوضاع الزراعية البدائية . وهذه الاجراءات لن تحول دون المجاعة . عشرات الملايين من البشر فى هذه المناطق سيموتون أو ينقلون إلى سيبريا » .

ثم يمضى التوجيه السرى قائلا . « إن محاولة إنقاذ هذه الجماهير من خطر

---

(١) وليم شيرر تاريخ المانيا الهتلرية — الجزء الثالث — ص ٣٩٢ (ترجمة الأستاذ خيرى حماد) .

الموت جوعا عن طريق استيراد الفائض من المناطق الروسية الخصبة ذات التربة السوداء ، لن يكون إلا على حساب المواد الغذائية المرسلة إلى أوربا . وهذا يؤدى إلى تحطيم قدرة ألمانيا على مواصلة الحرب ، ويدعم الحصار المفروض على ألمانيا وأوروبا على الجميع أن يدركوا هذه الأمور بوضوح وصراحة»(١)

تنفيذ المخطط :

إن هتلر لم يشتبك فى صراع مع بريطانيا وفرنسا إلا بعد أن يئس من التحالف معهما . ضد روسيا ودول أوروبا الشرقية ، التى تمثل المناطق المرغوب الاستيلاء عليها . وهى الخطة التى قدمها فى كتابه « كفاحى » حين قال: سنضع نهاية للزحف الجرمانى الدائم نحو الجنوب والغرب ، وسنلقى بنظرنا نحو بلدان الشرق ، سننهى السياسة الاستعمارية والتجارية ، التى كانت متبعة قبل الحرب ، ونتبع سياسة المستقبل ، سياسة كسب الأرض . وإذا كنا اليوم نتحدث عن أرض جديدة فى أوروبا ، فإننا نعنى فى الواقع أول ما نعنى روسيا والبلدان التى على حدودها والخاضعة لها . »(٢)

والواقع أن الإستعمار البريطانى والفرنسى شجع هتلر على مسلكه هذا ، ضد روسيا ، لكى يقيم حاجزا فى وجه الخطر الشيوعى ، المهدد للاحتكارات الغربية ، والرأسمالية المستغلة. وانسحب هتلر من عصبة الأمم بعد توليه السلطة مباشرة ، كما أعاد التجنيد الإجبارى فى مارس ١٩٣٥ ، وبدأ يبنى قواته المسلحة بعزيمة لا تلين كل ذلك ودولتا الاستعمار بريطانيا وفرنسا تقفان ، مكتوفى الأيدى أمام ضرباته السريعة . بل ان بريطانيا عقدت معه فى يونيو ١٩٣٨ ، معاهدة بحرية ، سمحت لألمانيا فيها بناء السفن الحربية التى حرمتها معاهدة فرساى .

(١) نص التوجيه . محاكمات نورمبرج وثيقه رقم *EC-126*

(٢) أودلف هتلر . المرجع السابق — ص ٧٤٢

وكسب هتلر كذلك صداقة موسولينى ، ديكتاتور ايطاليا ، ذو الأطماع الاستعمارية الواسعة . وشجعه هتلر على تحقيق مطامعه فى البحر الأبيض المتوسط فكسبه بذلك حليفا إلى جواره ، يؤيده فى كل خطواته ، لكسب المجال الحيوى لألمانيا . وهكذا اتحدت أهداف هتلر وموسولينى ، وكان اختلاف مجال توسع كل منهما ، سببا زاد من فرصة التقارب بينهما . وهكذا نشأ محور برلين — روما .

وصفقت إيطاليا لهتلر يوم قرر ضم النمسا فى مارس ١٩٣٨ ، وإقليم السوديت التشيكوسلوفاكى ، إلى ألمانيا فى أكتوبر ١٩٣٨ . ورحبت كل من بريطانيا وفرنسا بذلك ، بل وضغطتا على تشيكوسلوفاكيا لقبول مطالب هتلر ضدها ، أما موسولينى فقد رحب بخطوات حليفه ، فى ضم النمسا ، ثم ضم أرض السوديت ، ثم احتلال تشيكوسلوفاكيا كلها . ذلك إنه هو نفسه كان قد حدد مطامعه بعيدا عن المناطق الشرقية فى أوروبا التى كانت مطمعا للنازية .

كانت مطالب موسولينى ومطامعه لاتقل بأى حال من الأحوال عن مطامع هتلر إن لم تزد . لقد طالب فى حالة نصر المحور بضم نيس وكورسيكا ومالطة إلى إيطاليا ، وبوضع تونس وجزء من الجزائر تحت الحماية الإيطالية . وأن ترتبط كل من سوريا ولبنان وشرق الأردن وفلسطين بمعاهدات مع إيطاليا تجعل من حق إيطاليا إحتلال الأماكن الاستراتيجية بتلك البلاد . أما فى مصر والسودان فقد طالب موسولينى أن تحل إيطاليا محل بريطانيا فى البلدين ، كما طالب بأخذ كورفو والكيا موريا من اليونان على أن تعوض اليونان عن ذلك بأخذ قبرص . وطالب الدويتشى أيضاً لايطاليا بالصومال وجيبوتى وأفريقيا الإستوائية حتى بحيرة تشاد ، كما طالب بعدن وبريم وجزيرة سوقطرى .(١)

---

(١) *M, K, El Dessouki , Hitler und der Nahe Osten, Phil, Dis, Berlin 1963 ,S. 43 - 44 ,*

دكتور محمد كمال الدسوقى — هتلر والشرق الأدنى — برلين ١٩٦٣ ص ٤٣ — ٤٤

وأيد هتلر مطالب حليفه بصفة عامة ، ذلك أن هتلر كان قد قرر تخصيص الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية ، بعد هزيمة انجلترا لتصبح أسلابا يرضى منها كل الأطراف المتعاونة معه . ويعيد تقسيمها بينهم بما فيهم فرنسا بصورة ترضى الجميع .

وهكذا كانت النازية نفسها حركة إستعمارية تؤيد فى نفس الوقت كل قوى استعمارية أخرى ، لاتتعارض مع مطامعها .

لقد حاولت النازية الإستفادة من ماضى الاستعمار لحلمها بتحقيق إمبراطورية واسعة الأرجاء كان يرجع إلى اعتقاد زعماء النازى بأن عظمة بريطانيا ترجع فى الأساس إلى إمبراطوريتها التى لاتغيب عنها الشمس إن انشاء إمبراطورية استعمارية يحقق لألمانيا النازية تفوقها المنشود من الناحيتين المالية والإقتصادية ، ويفتح لها أسواق منتجات الصناعة الألمانية ، ويزودها بالمواد الأولية المنخفضة الثمن ، ولتعود كافة المزايا والأرباح من هذا الاستغلال الاستعمارى على الشعب الألمانى الشعب الممتاز على غيره من الشعوب المفضل بجنسه على سائر البشر .

إن اسلوب النازية فى فرض السيطرة كان أسلوبا لم تشهد له البشرية مثيلا إلا فى فلسطين ، على أيدى الصهيونية العالمية المدعمة بالاستعمار والضالعة معه .

ولعل وثائق الحرب العالمية الثانية تلقى ضوءا على هذا الأسلوب الأرهابى ..

بعد أقل من شهر من بدء الغزو الألمانى لروسيا ، وبالتحديد فى يوم ١٦ يوليو ١٩٤١ ، جمع هتلر أعوانه ليرتب مستقبل روسيا ، التى بدا أنها يمكن أن تستسلم لألمانيا فى خلال بضعة أسابيع . وفى وثيقة كتبها بورمان نائب هتلر عما دار فى تلك الجلسة (١) ، نرى هتلر يقول لهم : « لسنا فى حاجة إلى إعلان مانود عمله ، فالمهم هو أن نعرف ما نريد . . . ولكن هذا لايتطلب منا أن

---

(١) محضر الجلسة - وثائق الحرب العالمية الثانية - وثيقة رقم ٧٣ ، ومحاكمات نورمبرج - وثيقة رقم L – 221

يمتنع عن اتخاذ جميع الاجراءات اللازمة من قتل وإعادة إسكان وماشابه ذلك »
ثم مضى هتلر يشبه روسيا بالكعكة الضخمة فيقول ، « أما من ناحية المبدأ
فعلينا أن نواجه مهمتنا ، فى قطع الكعكة الكبيرة ، على النحو الذى نحتاجه لنتمكن
أولا من السيطرة عليها وثانيا من إدارتها وثالثا من استغلالها . .

وقال هتلر فى تلك الجلسة أنه لايجد ضررا فى أن الروس قد بدأوا حرب
الفدائيين فى مؤخرة القوات الألمانية لأن هذه الأعمال « يمكن أن تستخدم
كمبرر لإبادة كل من يجرؤ على الوقوف فى طريقنا » .

وشرح هتلر لقادته ومعاونيه خطته ، لاستغلال الأقاليم الروسية ، وضمها
للرايخ الألمانى ، وتشريد سكانها وإحلال الألمان محلهم فقال : « ستضم كافة
أراضى البلطيق إلى ألمانيا ... أما القرم ، فيجب اخلاؤها من جميع السكان غير
الجرمان ليحل الألمان وحدهم فيها ، ولتصبح جزءا من أراضى الرايخ ... ويجب
ضم جميع شبه جزيرة كولا إلى ألمانيا ، بسبب المناجم الضخمة للنيكل بها . ومن
الواجب الاعداد بحذر لضم فنلندا كدولة داخلة فى اتحاد مع ألمانيا » .

ويتمادى هتلر الاستعمارى فى مطالبه الارهابية من روسيا فيطالب قادته
بإزالة مدينة ليننجراد من الوجود ثم بضمها لفنلندا . ويأمر بأن تصبح حقول
بترول باكو امتيازا لألمانيا ، وأن تضم الاراضى التى تضم أقليات جرمانية ،
والواقعة على نهر الفولجا إلى الرايخ الألمانى .

وشرع أعوان هتلر وزبانيته فى تنفيذ ذلك المخطط الارهابى ضد روسيا ،
وكل البلدان المحتلة بصور متفاوتة . وصار شعار الجميع ما قاله لهم جورنج :
« إذا لقيتم شيئا قد يحتاجه الشعب الألمانى ، فعليكم أن تجروا وراءه ككلاب
الصيد . وعليكم أن تنتزعوا ذلك الشىء ، وتحملوه الى المانيا » .(١)

---

(١) محاكمات نورمبرج — مجلد ٩ — ص ٦٣٢ . راجع وليم شيرر — المرجع السابق —
الجزء الرابع — ص ٦٣٤.

وتنفيذا لهذا المخطط قام النازى بعمليات سلب لكل البلدان التى احتلها - بولندا وتشيكوسلوفاكيا وهولندا وبلجيكا ولوكسمبورج والنرويج والدانمارك ودول البلطيق وروسيا وفرنسا . نهبوا وسلبوا كل ما استطاعوا حمله إلى ألمانيا على أن إرهابهم الأكبر تمثل فيما سلبوه من الأرواح البشرية .

ولعل السبب الرئيسى فى فشل النازية فى حملتها ضد روسيا ، هو موقفها من شعوب المناطق الشرقية فى أوروبا عامة وروسيا خاصة . لقد عاملت النازية سكان تلك المناطق باحتقار كامل لآدميتهم ؛ بل انها اعتبرتهم عبيدا لا يصلحون الا لخدمة الشعب الألمانى . ويصرح كوخ حاكم أكرانيا السوفيتية فى يوم ٥ مارس ١٩٤٣ فى مدينة كييف لمستمعيه النازيين قائلا : « اننا فى الحقيقة لم نأت الى هنا لنوزع المن والسلوى . اننا هنا لكى نضع أسس النصر . اننا شعب سيد . ويجب أن نعرف تمام المعرفة أن أقل عامل ألمانى ، هو جنسيا وبايولوجيا أكثر قيمة ألف مرة من سكان تلك البلاد » .(١)

لقد بدأ النازيون يتحكمون فى مصير البشر ، بصورة بشعة ، ولم يعد لهم من هم فى كل البلاد المحتله ، الا السلب والنهب ، وجمع الألوف ، وشحنهم فى قطارات البضائع والحيوانات ، بل ومع الحيوانات فى نفس العربات . والوثائق الالمانية لتلك الفترة تحفل بالآف من الصفحات المخزية ، التى تحكى ما أصاب سكان البلدان المحتله . وحملت القطارات تلك الالوف المؤلفة من بلادها كأسرى وساقوها سوق الانعام الى ألمانيا ، ليعملوا أرقاء فى المصانع الالمانية ، وليزيدوا إنتاجها الحربى . وخالفت النازيه بهذا المسلك كل القوانين الدولية ، التى تنص على طريقة معاملة الاسرى .

وكلما زادت غارات الحلفاء على المدن الالمانية ، كلما زاد ارهاب النازى لهؤلاء المستضعفين من الاسرى وحتى نهاية عام ١٩٤٤ كان الالمان قد جمعوا

---

(٢) محاكمات نورمبرج ـ وثيقة رقم PS — 1130

من البلدان المحتلة أكثر من أربعة ملايين ونصف عامل ، وأرسلوهم الى المانيا للعمل بها . وقد صرح ساوكل المشرف على تشغيل الاجانب بألمانيا قائلا : « من الخمسة ملايين عامل أجنبى ، الذين قدموا الى ألمانيا للعمل بها ، لايوجد ٢٠٠ ألف قدموا الينا بمحض ارادتهم » . (١)

لقد تسلطت على النازية نعرتها العنصرية ، فسامت الشعوب المقهورة كل أنواع الظلم . ويتحدث هملر قائد الحرس النازى فى ذلك مع أعوانه يوم ٤ أكتوبر ١٩٤٠ فيقول : « ان مايحدث للروسى أو التشيكى سواء بالنسبة لى ، ولايهمنى أبدا . لايهمنى بالمرة ان كانت الشعوب الاخرى تعيش فى رغد من العيش أو تموت جوعا ، أن هذا لايهمنى الا بالقدر الذى يسمح باستخدامهم كعبيد لحضارتنا أن سقوط عشرة آلاف امرأة روسية أعياءا ؛ أثناء حفر خندق لدبابة لايهمنى مادام الخندق للدبابة الالمانية قد أصبح معدا ... آمل أن يتخذ رجال الحرس النازى هذا أساسا لمعاملتهم لكل الشعوب غير الالمانية وخاصة الروس » . (٢)

ثم يتحدث هملر فى تلك الجلسة عن اليهود فيقول : « ان لدينا الحق ، بل ان واجبنا تجاه شعبنا ، يحتم علينا ان نقتل هذا الشعب الذى يريد قتلنا » والواقع ان هملر لم يقل عن اليهود فى هذا التقرير ، ولا فى غيره ، ما قاله عن الشعوب الاخرى فى روسيا وبولند وتشيكوسلوفاكيا بل هو لم يقل عنهم سوى لمحة بسيطة ، وسط فيض من الاجرام ضد غيرهم . ولكن المؤرخين وجلهم قد وقعوا تحت براثن الدعايات الصهيونية قد جعلوا من مشكلة اضطهاد النازية اليهود مشكلة أكبر بكثير مما كانت ، واستغلوها أبشع استغلال للتسول باسمها ، وارتكاب أبشع جريمة عرفها التاريخ الحديث فى سلبهم لفلسطين العربية .

---

(١) محاكمات نورمبرج — وثيقة رقم FS — 2520

(٢) محاكمات نورمبرج — وثيقة رقم PS 1919 (نص التقرير)

إن ما حل باليهود من اضطهاد كان مجرد جزء من اضطهاد كبير أوقعه هتلر بكل الأجناس غير الألمانية .

ويمضى هملر فى حديثه فى ذلك اليوم ليتلو على رجاله خطط المستقبل قائلا : « يجب أن ندرك أننا يجب أن نخرج من هذه الطبقة الألمانية العليا أكبر عدد من النسل ، ويجب علينا فى فترة تتراوح بين ٢٠ و ٣٠ سنة أن نقدم الطبقة الحاكمة لأوربا كلها » . انها عصبية للجنس موجهة ضد الأجناس والأمم الأخرى ، وليست للوطن ، وهدفها الأول السيطرة على أوربا كلها مهما اختلفت الأجناس أو الديانات .

وكان هملر منذ أشهر قليلة فى أبريل ١٩٤٣ قد ألقى على ضباط الحرس النازى فى شاركوف بروسيا مثل تلك المحاضرة فقال : « نحن نعلم أن صدامنا مع آسيا ومع اليهود سيصبح حتميا مع التطور . . . انكم لجنسنا ودمائنا فى غاية الأهمية لكى نستطيع فى سنوات السلم وحيث يجب أن نعمل ونعيش أن نعيد بناء أقليم الهجرة هذا كما فعل الاسبرطيون لنصب دماءاً جديدة فيه مثلما يفعل البستانى . . . فليسمونا فى العالم كيف شاءوا ، أن المهم هو أن نكون للأبد مخلصين ومطيعين وأقوياء لا نقهر فى خدمة الشعب الألمانى والفوهرر . أننا حرس الرايخ الألمانى . »(١)

وبدأ رجال الحرس النازى فى تنفيذ مهمتهم وان لم يستطيعوا ، مع تغيير الموقف لصالح الحلفاء ، من اتمام ماخططوه ، وأخذ عدد الحرس النازى يتزايد مع ازدياد المهام الملقاة على عاتقه . لقد كان عدد كتائبهم عند بداية الحرب لايتجاوز ثلاث فرق بلغوا عند نهاية الحرب ٣٥ فرقة تضم أكثر من نصف مليون جندى . وكان رجال الحرس النازى فى الواقع بالنسبة لهتلر هم الصفوة الممتازة الذين يستطيع الاعتماد عليهم فى كل ارهاب . ومن الغريب أن رجال

(١) محاكمات نورمبرج — وثيقة رقم : Str - 17

الحرس النازى ضموا اليهم أعداداً كبيرة من الألمان ، الذين كانوا يعيشون فى المناطق المحتلة بل ومن الاجانب .

كانت المعتقلات قبل بدء الحرب تستخدم فى ألمانيا للتحفظ على أعداء النظام النازى ، ولكن مع سنوات الحرب أصبحت تستخدم كمخزن يوضع به احتياطى القوى البشرية من مواطنى المناطق المحتلة ومن بينهم اليهود ، وبطبيعة الحال نال اليهود من قسوة تلك المعتقلات تماما مثلما نال غيرهم من أبناء الشعوب المحتلة .

ثم بدأ هملر منذ عام ١٩٤٢ فى انشاء مصانع خاصة لتشغيل هؤلاء المعتقلين علاوة على تشغيلهم فى المصانع الموجودة وبدأت سياسة « فلنفنهم عن طريق العمل » وبدأ أطباء الحرس النازى فى استغلال هؤلاء المعتقلين مثل فئران التجارب يجربون عليهم ما شاءوا من الأدوية والعقاقير ليروا تأثيرها أو يضعونهم فى الثلج لاجراء تجارب على وسائل شفاء قرحة البرد . ومات الألوف تحت تأثير تجارب ضغط الجو ، كما أجريت على المعتقلين تجارب الخصى ، وأجريت على النساء المعتقلات تجارب التلقيح الصناعى والاجهاض . ولقد شهدت محاكمات نورمبرج العديد من الأطباء الذين قصوا بالتفصيل تلك الأقاصيص التى هى أعجب من الخيال التى لا يتصور انسان حدوثها فى القرن العشرين بل ومن أطباء عملهم هو تخفيف الآلام عن المرضى واحترام القيم الانسانية .

وأسوأ من معسكرات الاعتقال كانت معسكرات الافناء ، فتبعاً للأرقام الرسمية الالمانية أنشىء فى ماوس هاوزن بالنمسا ثلاثون معسكراً فيما بين عامى ١٩٤١ ، ١٩٤٥ أفنى فيها أكثر من مليونين من البشر يدعى كثير من المؤرخين أنهم من اليهود ، والواقع انهم كانوا من شعوب البلاد المحتلة جميعاً وكان بينهم يهود أيضاً ويذكر روزفلت هوس قائد معسكر اعتقال فى بولندا فى شهادته فى نورمبرج مايلى : « إننى أعتقد بالتقريب أننا أفنينا فى أوس شفيدز ما يقرب من مليونين ونصف عن طريق الغاز والحرق وأن ما يقرب من نصف مليون قد ماتوا نتيجة سوء التغذية

والأمراض فيصبح العدد بالتقريب ثلاثة ملايين . وهؤلاء هم فى الواقع ٧٠ أو ٨٠ ./ من كل من اعتقلوا وأرسلوا إلى أوس شفيدز أما الباقى فقد استغلوا فى العمل الاجبارى فى المصانع الملحقة بمعسكرات الاعتقال . . . ويبن عدد الضحايا حوالى ١٠٠ الف يهودى ألمانى »(١) .

ومن هذا يتضح لنا أن عدد اليهود لم يكن يمثل النسبة الضخمة التى روجتها الدعاية الصيهيونية واستغلتها أسوأ استغلال . فالنظام النازى قد أجرم فى حق البشرية جميعاً ، وما أصاب اليهود إلا ما أصاب غيرهم من أسرى البلاد المحتلة ثم يمضى هوس أمام محكمة نورمبرج ليسرد التفاصيل المتبعة فى ازهاق الأرواح بالغازات السامة وبالحرق فى الأفران ثم يستطرد : « وتبعاً للظروف كان يلزمنا ما بين ثلاثة دقائق وربع ساعة للقضاء على الناس وعندما تسكن أصواتهم كنا نعرف أنهم ماتوا ثم ننتظر عادة حوالى نصف ساعة قبل أن تفتح الأبواب لتخرج الجثث وبعد اخراج الجثث كان رجالنا ينزعون خواتمهم وينزعون الذهب من أسنانهم وقد تميز معسكرنا عن معسكر توبلانكا بأننا قد بنينا حجراً للغاز كنا نستطيع ادخال ألفين من البشر فيها فى وقت واحد »(٢) .

والواقع أن كل تلك الحوادث الإجرامية لم يكن يدرى عنها الشعب الألمانى شيئاً أثناء الحرب اذ لم يقم بها الا حفنة من رجال الحرس النازى خاضعين لهملر مباشرة ولكن الأكيد أن كل ذلك قد تم بموافقة هتلر الكاملة تمهيداً لسيادة الجنس الآرى على أوروبا كلها .

ولو علم الشعب الألمانى بتلك الفظائع — شأنه شأن كل شعب — لما رضى عنها . ولكن النظام النازى بما فرضه من قبضة حديدية على الشعب، وبما استخدمه من أساليب الدعاية والاعلام ، وبث الروح العنصرية بين أفراد الشعب، واشاعة

(١) محاكمات نورمبرج — وثيقة رقم PS—3868 .

(٢) المرجع السابق .

ضرورة سيادة الجنس الآرى على غيره من الأجناس ، كان يغطى على هذه الفظائع .

وفرق كبير بين فظائع النازية والصهيونية ، فبينما لجأت النازية الى اخفاء جرائمها طوال الحرب العالمية الثانية ، فإن أسلوب الصهيونية فى هذا المجال ابراز هذه الفظائع مدّعية — فى اطار من الاستكانة والمذلة — أن العرب هم المعتدون وأن الصهاينة ما قاموا بتلك الفظائع الا لرد العدوان ...!

الفصل الخامس

النازية والأديان

لم تكن النازية كحركة عنصرية تستند إلى التمييز العنصرى والتفوق العنصرى والتفرقة العنصرية ، وأسلوب العدوان والتوسع الاستعمارى ، لتسير على خط يتفق مع القيم الروحية ورسالات السماء .

وإذا كانت النازية قد مارست كافة وسائل الضغط والعدوان استناداً إلى عقيدتها العنصرية ، فإن رسالات السماء القائمة على شريعة العدل ، ترفض هذه الأسس البعيدة عن شريعة العدل .

وإذا كانت النازية قد أعلنت على لسان هتلر احترامها للمعتقدات الدينية ومذاهبها فإنما كان ذلك لتلافى الصدام مع رجال الدين ولهم سطوتهم وتأثيرهم وسط الجماهير .

لقد أعلن هتلر رأيه فى المسيحية والأديان فى صدر شبابه حين كتب « كفاحى » فقال فيه : « إننا نحترم حرية المعتقدات الدينية ومذاهبها ، ولكنه إذا اختلفت نظرتنا إلى العالم مع المفاهيم الدينية الكنيسة فيجب على هذه الأخيرة أن تسير معنا فى دعوتنا الوطنية العنصرية » .

ولم يهاجم هتلر الكنيسة بأكثر من هذه الكلمات ولكنه هاجم رجال الكنيسة الذين كانوا يؤيدون أحزاباً سياسية معينة ووصفهم بأنهم يتخذون الدين ستاراً للوصول إلى مطامع دنيوية . ولم يكد هتلر يتولى السلطة فى يناير ١٩٣٣ حتى بدأ الصراع بين النازية العنصرية ، وبين الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية ، وفى هذه الحرب استخدمت النازية كل وسائل القمع والاضطهاد

مع رجال الدين بل ومع الراهبات . وشهرت النازية بوسائل دعايتها الضخمة بكل من أرادت أن تنزل به غضبها من رجال الدين فلفقت له تهماً أخلاقية معيبة وشهرت به فى الصحف .

وكان صراع النازية والكنيسة أمراً متوقعاً ، ذلك أن الكنيسة لم تكن لترضى عن عنصرية الحركة النازية وتعصبها الأعمى ، واتخاذها الإرهاب وسيلة لتحقيق أهدافها . ولقد هاجمت الكنيسة الكاثوليكية : وهى التى تمثل ١٣ ٪ فقط من سكان ألمانيا ، كل القوانين الهتلرية المخالفة للدين ، كقانون التعقيم ، وقانون الخصى ، لأنها اعتبرت ذلك اخلالا بحقوق الخالق وتدخلا فى ملكوته وكانت النازية تتهم الكنيسة الكاثوليكية بعدم الوطنية والإخلاص للنازية ، وذلك لأنها تخضع لسلطة البابا ، وهو شخص كرهت النازية المتعصبة أن تخضع لسلطانه ، وهو الأجنبى ، غير الألمانى ، الذى لا ينتمى للعنصر السيد . وبدأت النازية فى مهاجمة شخص البابا . وتحفل الوثائق الألمانية ومحاضر الجلسات للاجتماعات الهتلرية بسخرية مريرة على البابا والكنيسة .

ولما كان ٧٥ ٪ من الشعب الألمانى يتبع الكنيسة البروتستانتية فقد عملت النازية على كسب هذه الكنيسة . ولكن ذلك لم يمنع النازية من الضغط عليها ، لقبول القيام بالدعاية للحزب وقبول مبادئه . ونجح النازيون فى تقليد المؤيدين لهم من رجال الكنيسة أرفع المناصب الكنسية . على أن رجال الكنيسة البروتستانتية لم يرضخوا لهذا التدخل فى شئونهم الكنسية وتزعم معارضتهم أسقف يدعى نويميلر .

وفى مايو ١٩٣٧ وقع نويميلر ومعه ٧٩ أسقفاً على عريضة احتجاج قدموها لهتلر . وردت النازية عليهم بحملة من الاعتقالات والارهاب وظل نويميلر فى المعتقل حتى نهاية الحرب . بل إن رجال الجستابو قتلوا أحد المتزعمين لتلك الحركة واسمه الدكتور فايزلر .

الفصل السادس

النازية والعلم

ادعت النازية . زوراً وبهتاناً ، تماماً كالصهيونية ، اعتمادها على العلم ، كتؤيد لنظريتها العنصرية ، القائلة بتفوق الجنس الآرى على سائر أجناس البشر . والواقع أن العلم برىء مما ادعته ، نفس براءته من ادعاء الصهيونية ، إن اليهود جنس وإن اليهودية جنسية ، وليست بديانة فحسب ، وأن الجنس اليهودى المزعوم هو أرقى أجناس البشرية ، ومن حقه أن يسود عليها ويسيطر على مقدراتها .

وقامت النازية بناء على ذلك الادعاء على العلم ، بمحاولة للحفاظ على نقاء الجنس الألمانى ، بإبعاد العناصر التى يمكن أن تلوث هذا النسل الممتاز . والعجيب أن النازية ، نادت بتفوق الجنس الآرى ، فى حين أن علماء الأجناس أثبتوا فى أبحاثهم الدقيقة أن نسبة الدم الآرى فى الشعب الألمانى لا تزيد عن ١٣٪ ، بينما ترتفع هذه النسبة فى إيران مثلا إلى ٣٨٪ ، ولم يحدث أن نادت إيران مثلا بمثل تلك النظرية النازية العنصرية ، ولم تقل بتفوق الجنس الايرانى على سائر البشر . إنها أكذوبة لا أساس لها علمياً(١) .

وقد أجرمت النازية فى حق البشرية حين ادعت بالمثل أن اليهود جنس . فالادعاء بأن اليهود عنصر مردود عليه ، وأثبت عشرات المؤرخين وعلماء الأجناس كذبه ، فاليهود ما هم إلا أتباع الديانة اليهودية ، تماماً مثل المسيحيين الذين هم أتباع الديانة المسيحية ، والمسلمين الذين هم أتباع الديانة الإسلامية .

---

(١) دكتور عادل محمد شكرى — المرجع السابق — ص ٧٢ .

وهم ليس بجنس ولا بأمة فلم يناد أحد بقيام دولة مسيحية تضم مسيحى العالم ، أو دولة إسلامية تضم مسلمى العالم . والعلم برىء من كل ذلك . والصفات التى أبرزتها النازية لتمييز اليهودى بأنه ذو شعر مجعد أسود ، وأنف طويل ، وبشرة تميل إلى السمرة ، لا يمكن أبداً الالتفات إليها ، لأنها لا توجد إلا فى مخيلة مخترعيها من النازيين .

وبناء على رغبة النازية فى المحافظة على نقاوة الدم الألمانى ، فقد بدأوا بسلسلة من الإجراءات العلمية فى ظاهرها واللا إنسانية فى حقيقتها ، لقد أصدر هتلر فى عام ١٩٢٣ قانوناً استطاعت به النازية أن تعقم فى خلال ست سنوات ٣٧٥ شخصاً ألمانياً عرف باسم « قانون منع المصابين بالأمراض الوراثية من التناسل » وكان من بين تلك الأمراض ضعف العقل والصرع والصم والعمى الوراثيان والعاهات الجثمانية والجنون والإدمان على المسكرات . وبلغ عدد من خصوا من الرجال الألمان بمقتضى القانون فى عامى ١٩٣٤ و ١٩٣٥ فقط حوالى ألف رجل ، واستمرت عملية الخصى بمعدل ٣٠٠ رجل كل سنة(١) .

ولم يقنع النازيون بخصى وتعقيم المرضى لحسب بل جعلوا من تلك القوانين سيف إرهاب ، سلطوه على رقاب كل من يعارض النظام النازى . ومع هذا برر النازيون كل تلك الإجراءات على أساس علمى ، هدفه أن ينشئوا مجتمعاً من السادة الصالحين لممارسة شئون الحكم على الأجناس الأقل درجة من العنصر الآرى .

---

(١) دكتور محمد فؤاد شكرى — المرجع السابق — ص ١٧١ .

الفصل السابع

النازية والسيطرة على العالم

لم تختلف النازية عن الصهيونية كثيراً فى هذا المجال ، فقد نادت أيضاً بضرورة السيطرة على أوروبا . ومن ثم السيطرة على العالم ، وتوجيه مقدرات البشرية لصالحها ، على أن النازية على أية حال لم تغال غلو الصهيونية فى مطالبتها بالسيطرة على العالم كله ، عن طريق حكومة يهودية واحدة . على رأسها ملك مطلق ، تحكم العالم حتى يوم القيامة . لقد اقتصرت النازية على المطالبة بسيطرة الجنس الآرى على أوربا الشرقية واستعمارها ، وعلى أوروبا كلها وتوجيه سياستها ، ومن ثم السيطرة على مصير البشرية كلها . وكان أمل هتلر آن تستمر النازية فى حكم أوروبا ألف عام .

قامت النازية أيضا على أساس فكره القيادة المطلقة ، متمثلة فى هتلر كزعيم يحمل لقب الفوهرر ، ومتمثلة فى كبار رجال الحزب النازى المعاونين له، باعتبار أن الزعيم ورجال الحزب ، هم خير عناصر الشعب وممثلى طبقاته الواعية .

ويفسر لنا الكاتب النازى هوبر فى كتابه .« الحقوق الدستورية للرايخ الألمانى الكبير » ذلك فيقول : « وجد مبدأ الزعيم ، على أساس أن الارادة الحقيقية للشعب الألمانى لا يمكن أن تعبر عنها أصوات برلمانية ، أو استفتاءات شعبيه .٠. . والزعيم هو حامل إرادة الشعب ، ومستقل عن مختلف الجماعات والجمعيات ذات المصالح ، ولكنه مقيد بالقوانين العرفية لشعبه » (١)

---

(١) *Huber, Ernst, Verfassungsrecht des, Grassdeutsches Reiches, Hamburg 1939, P. 194*

دكتور عادل محمد شكرى ــ المرجع السابق ــ ص ١٠٧

وما أن انفرد هتلر السلطة فى ألمانيا ، حتى بدأ فى ممارسة سلطاته على أوسع نطاق ، مكمما كل الأفواه المعارضة . وكان هتلر وقادة حزبه يعللون تلك الزعامة الاستبدادية ، بالرغبة فى إجراء تغيير جذرى فى المجتمع الإنسانى كله ، تمهيداً لسيادة الجنس الألمانى على بقية شعوب العالم . ويعلق على ذلك فريدريك سيبورج الفيلسوف النازى فيقول : « ان الجرمانى يتميز فقط بمقدار الخدمة التى يؤديها للدولة ، فلا ينبغى أن يوجد بألمانيا مجرد أفراد عاديين من البشر ؟ وإنما المطلوب هو وجود جرمانيين يفنون أنفسهم فى تأدية هذه الخدمة . والدولة التى من هذا النوع تعرف باسم دولة الزعامة ، وشعارها : أمة واحدة ، ودولة واحدة ، وزعيم واحد . »(١)

وهكذا أكسب هتلر نفسه حقا مقدسا ، وباتت كلمته هى مشيئة الشعب ، الذى بدأ يقدس كل ما يقوله الزعيم . وزرع النازى فى نفوس الشعب الألمانى الاعتقاد بأن القوى الإلهية قد اختارت الشعب الألمانى ، وميزته عن سائر الشعوب ، وأن من واجب هذا الشعب المختار أن يسود العالم . وترتب على هذا أن أصبح من الواجب على الألمانى عدم إحترام أى قانون غير جرمانى بدعوى أن تلك القوانين والنظم غير الجرمانية ، من مخلفات الحضارتين الرومانية والمسيحية ، وكلاهما حضارة منحلة تمسكت بها أجناس وضيعة الشأن . وآن لكل الحضارات أن تخضع للحضارة الألمانية ، وعلى ذلك كان على النازية أن تسيطر على أوروبا ، التى اعتبرتها النازية مركز العالم كله ، أو المحور الذى يشد اليه كل بلدان العالم تاريخيا وثقافيا وإقتصاديا وعسكريا .

لهذا فكرت النازية جادة فى ضرورة « جرمنة » القارة الأوروبية ، أى صبغها كلها بالصبغة الجرمانية ، وعلى هذا كان على كل البلدان التى أخضعها هتلر لسيطرته بالقوة ، أن تحكم بواسطة السادة من الألمان مع منع الاختلاط . بين

(١) دكتور محمد فؤاد شكرى ــ المرجع السابق ــ ص ٥١

الشعب الألمانى السيد وتلك الشعوب الأقل درجات . وعلى هذا فقد رأينا النازية تسلك طريقين عند جرمنتها لأوروبا . فنجدها تميز بين المناطق التى يقطن بها جرمانيون أنقياء الدم ، خارج حدود ألمانيا ، وبين المناطق الاخرى التى كان يسكنها غير الجرمانيين .

فالمناطق الاولى المأهولة بالجرمانيين ، قررت النازية معاملتها كما لو كان سكانها ألمانا أصليين ، ولهذا قرر هتلر فور احتلالها ضمها للرايخ على أن يتمتع سكانها بكل حقوق الالمان وواجباتهم ، مثال ذلك سكان النمسا ، وسكان منطقة السوديت التشيكية .

أما المناطق المحتلة ، وغير الآهلة بالسكان الجرمانيين، فقد قرر هتلر جرمنتها على مراحل تمهيداً لضمها لالمانيا بعد جرمنتها . واتبع هتلر أبشع الوسائل لجرمنة تلك الاقاليم المحتلة التى اعتبر سكانها من جنس منحط ، مثل بولندا وروسيا . وكان من أهم تلك الوسائل ، التهجير والإبادة ، والخصى والتعقيم بقصد القضاء على تلك الاجناس ما أمكن ، تمهيداً لجرمنة تلك الاقاليم، وضمها للرايخ الالمانى .

وهكذا وضع هتلر خطة للاستيلاء على أقاليم شرق أوربا وجرمنتها تماما كما فعلت الصهيونية العالمية بفلسطين .

* * *

والواضح أن المقارنة بين الصهيونية والنازية من ناحية ميلها للسيطرة وبسط النفوذ والعدوان على دول العالم والاستناد إلى ايديولوجية عنصرية تنادى بأن الجنس أو القومية لهما طابعها المميز ؛ تظهر لنا أن وجه الشبه بين النازية والصهيونية كبير ، وتفسر لنا سبب العداوة بين الحركتين .

البَابُ الثالثْ

أبعَاد المصّير المحتوم

الفصل الأول

انهيار النازية

يتضح لنا من العرض السابق الأسس الرئيسية التى قامت عليها النازية وهى العنصرية ، والنزعة الطاغية للاستعمار والتوسع لتحقيق إمبراطورية مقسمة الأرجاء ، والموقف العدائى لمبادىء الأديان السمحة ، ومنافاة أبسط قواعد العلم ، هذه الأسس هى التى عجلت بنهاية النازية وانهيارها .

إن النزعة العنصرية بما تحتويه من تفرقة عنصرية وتمييز صارخ بين جنس وجنس ، قد أوجدت فى وسط الشعب الألمانى نزعة الاستعلاء والغرور ، وأوجدت هتلر فى مكان القيادة لهذه النزعة ، وعمقت جذور التعصب الأعمى للجنس الآرى ، واحتقار ماعداه من أجناس ، ومن هنا كانت الهوة بين الجنس الآرى (الذى يتكون معظم الشعب الألمانى منه) وبقية الأجناس هوة سحيقة ، أوجدت لونا من الكراهية من جانب الشعوب الأخرى للشعب الألمانى ونظامه النازى العنصرى .

ولقد سيطرت على ألمانيا الهتلرية وفقا لتخطيط النازية نزعة طاغية نحو التسلح والحرب ، وكانت مثار نقد أقرب الناس إلى هتلر وهو « جوبلز » وزير دعايته ... إذ كان جوبلز شديد النقد للطريقة التى ينظم بها المجهود الحربى الألمانى ولاسيما فى الجبهة الداخلية ، وكان يقدم الكثير من الاقتراحات إلى هتلر عن سياسة الاحتلال .. فى روسيا ، وعن التعبئة المتطرفة فى القطاع المدنى . وعن مفاوضات الصلح ، ولكن النزعة الفردية لأدولف هتلر ، جعلته لايستمع حتى إلى النصيحة من أقرب الناس فى حزبه .. لقد كان هتلر منغمسا فى الحرب انغماسا أعماه

عما حوله ، لأنه كان مصمما على إحراز نصر عسكري ساحق . . ولعل الحصار الذي ضرب حول هتلر من جانب بعض رجاله وأعوانه وعلى الاخص (بورمان) أمين الحزب النازي ، كان يهدف إلى عزل القائد عن الشعب ، ومعنى ذلك عزله عن كل ردود الفعل الجاهيرية لسياسة هتلر ، وهذا الحصار أو بمعنى آخر الانغلاق كان يضع هتلر في موقف الفرد الواحد المتحكم في أقدار الشعب ومصيره ، ولقد غذى هذه النزعة فيه كل الذين كان يخشون على مواقفهم لو انفتح القائد على الشعب ونزل إلى مستواه ، يتلقى منه الدروس ويستمع إلى الآلام ويستوحي الآمال ، ليحاول بذلك تصحيح ما قد يصادف مسيرة النازي من انحرافات . . . وما كان أكثرها . . . وما كان أقل ما يعلم به الزعيم .

وعلى المستوى العالمي ، كانت صورة هتلر ، هي الصورة البارزة في حكم النازي الذي أعاد تخطيط أوربا من جديد مدة خمسة عشر عاما في ثلاثينات وأربعينات القرن العشرين ، إذ وضع هتلر حدودا جديدة للقارة الاوربية وفق مخططه العنصري الاستعماري . . وقد كانت هناك شعوب وحكومات تخشى من كلمة ينطق بها هتلر ، لأن هذه الكلمة كانت تحدد مصير شعب ، ليس له من ذنب جناه سوى أنه قريب الحدود من موطن النازية بقوتها وجبروتها ، أو لأنه يحتل مكانة دنيا في قائمة الاجناس التي وضعها هتلر ، من هذا كانت هناك مرارة في نفوس شعوب أوربا وغيرها ، لما اقترفته النازية من أبشع ألوان التمييز العنصري، والضغط، والعدوان والاستغلال، وإذا كان هتلر نفسه بمخططاته وايديولوجيته وأساليب العنف التي اتبعها ، قد شحن شعوب العالم ضده ، فإن ذلك كان يرجع في المقام الاول إلى إيمان هذه الشعوب بضرورة الدفاع عن كرامتها، والحفاظ على قيمها الإنسانية، بالاضافة إلى ما كان يحس به الوعي

الانسانى والضمير البشرى من نقمة على التسلط ، وسخط على محاولات السيطرة والعدوان .

إن شعوب العالم وقفت وقفة رجل واحد ضد الحكم النازى ، وتكاتفت القضاء عليه ، ومنى الحكم النازى فى الحرب العالمية الثانية بأكبر هزيمة واجهتها دولة فى التاريخ ، ولقى هتلر مصيره المحتوم ،كفرد طاغية . . وعادت ألمانيا من جديد لتكون مهيضة الجناح ، ضعيفة الجانب .

ترى هل انتهت النازية بنهاية الحرب العالمية الثانية ،وهزيمة ألمانيا ، وانتحار بعض قادة الحزب .

إن وقفة العالم فى مواجهة طغيان النازية حفاظا على الكرامة الانسانية قد أنهت إلى الابد « عقيدة النازية » كعقيدة تملك بين يديها سلطان الحكم ،تفرض به ما تشاء ، وتقرر عن طريقه ماتريد . . .

هل قضى على النازية تماما ؟ إن أجيالا رباها هتلر تربيته العسكرية لازالت حتى الآن تعيش فى ألمانيا والنمسا .. بل أن بعض هؤلاء قد احتوتهم أحزاب ألمانيا الغربية فانضووا تحت لوائها مقستترين بردائها . ولكن هؤلاء يعيشون باستمرار حياة قلق دائبة . لانهم يخضعون لسلطان الصهيونية العالمية وتأثيرها ، لانهم يلبون رغباتها خشية إثارة انتمائهم السابق إلى الحزب النازى . ولهذا نجد الكثيرين من المتربعين اليوم على مقاعد السلطة ، وقد كانوا من شباب الحزب النازى ، يسارعون إلى تقديم الدعم والعون إلى الصهيونية العالمية ..إلى اسرائيل أداتها تحت التهديد المستمر باثارة الماضى بما فيه من عقدة الذنب .

ولازال سلاح اللاسامية سلاحا مسلطا على رقاب كل من تسول لهم أنفسهم أن يعملوا لصالح وطنهم ألمانيا ولازال اسلوب التهديد التقليدى يمارس بصورة بشعة ضد كل معارض لتنفيذ رغبات الصهيونية العالمية .

ولعلنا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا ، إنه وإن كانت النازية قد انحدرت ، وطويت

صفحتها ، الا أنه برز على المسرح حركة عنصرية جديدة تمارس نفس الأسلوب وتتبع نفس الخطط ، ولها نفس الأمانى والغايات... تلك هى الصهيونية العالمية .. وإذا كانت هاتان الحركتان : النازية والصهيونية تستندان إلى الأساس العنصرى وتمارسان الضغط والإرهاب والتوسع والاستعمار ، فإنه لم يكن من المتصور أن تسير الحركتان فى إتساق ... بل كان لابد من الصدام... والصدام العنيف الذى تمثل فى موقف هتلر من اليهود .

على أننا قبل نهاية هذا الفصل ، نجد واجبا علينا أن نحدد بايجاز الخطوط العريضة التى أدت إلى انهيار النازية واندحارها :

أولا : اعتماد النازية على العنصرية كأساس لقيامها وتحركها على ساحة ألمانيا وساحة بقية بلدان أوربا .

ثانيا : اعتماد النازية على التسلح والعدوان والتوسع لتحقيق حلمها فى خلق إمبراطورية ألمانية لاتغرب عنها الشمس . على غرار الإمبراطورية البريطانية .

ثالثاً : تكاتف العالم فى مواجهة الخطر النازى الذى لو ترك له العنان لقضى على القيم الإنسانية ، وغير معالم خريطة العالم .

الفصل الثاني

الأسس العلمية المحددة لنهاية الصهيونية العالمية

لمسنا من العرض السابق أسباب انهيار النازية واتضح لنا أن اعتمادها الأساسي على العنصرية ، والتسلح ، وفردية الحكم ، وتأليه الزعيم كانت المعاول الرئيسية التي هدمت صرح النازية .

ولعل تشابه حركة النازية وحركة الصهيونية العالمية في الجانب العنصري تحددان خط المصير من هذه الزاوية .

وقبل أن نستطرد في بيان الأسس العلمية المحددة لنهاية الصهيونية العالمية علينا أن نتناول نقطة على جانب من الأهمية كان يرددها البعض ممن استهوتهم انتصارات النازية السريعة فاصدروا عنها حكما سريعا غير متعمق ، لايتناول أبعادها . . .

لقد كان يحلو لبعض هؤلاء السذج أن يقولوا :

« رحم الله هتلر . . ! لقد لقن اليهود درسا لن ينسوه . . . ولو كان هتلر على قيد الحياة ، لما قامت دولة الصهاينة في فلسطين العربية . . لقد كان هتلر — لو إمتد به الأجل — قادراً . . على أن يقضي على البقية الباقية من يهود العالم . .

غير أن هذا القول يفتقر إلى التحليل العلمي الموضوعي ويغفل حقيقة هامة لم تأخذ أسباب صراع هتلر مع اليهود وهم « ساميون » ، ونظرته إلى العرب وهم « ساميون » كذلك .

فالأسبقيات العنصرية التي وضعها هتلر على أساس تمييز الجنس الآري

واحتلاله مكان القمة فى الأجناس ، وضعت السامية فى مكان متأخر من القائمة ومن هنا كان وضع اليهود فى المكان المتأخر من القائمة إنسجاما معايديولوجية النازية فى سيادة الجنس الآرى على غيره من الأجناس ومن هنا كان من الممكن أن يكون وضع العرب فى نظر النازية وزعيمها هتلر فى مكان متأخر من قائمة تمييز الأجناس كذلك .

وإذا استطردنا فى التحليل ، لوجدنا أن استمرار صراع هتلر مع اليهود ، ومحاولته التخلص منهم بكافة الوسائل ، كان لابد وأن يكون له أثره على المنطقة العربية ، فالتخطيط الاستعمارى كان يهدف إلى إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين منذ أن صدر وعد بلفور عام ١٩١٧ ، ومن ثم فإن النظرة العنصرية لهتلر كان من الممكن أن تجد حلا للتخلص من اليهود فى طردهم من بلاد أوربا التى تحتلها النازية ، وكان أمام اليهود الأوربيين منفذ وحيد وهو الهرب إلى فلسطين للتمكين للصهيونية العالمية من جعلها وطنا قوميا لهم .

ولعل القائلين بأنه كان هناك تعاون بين النازية والصهيونية فى هذا المجال يتمشون مع هذا المنطق ، فقد ذكرت الكاتبة « حنة آرنت » فى كتابها « إيخمان فى القدس » « أن الزعماء الصهاينة حثوا اليهود على لبس النجمة الصفراء بافتخار ، على أمل أن يزيد ذلك من نفوذهم ، فقد كان النازيون يشجعون هجرة اليهود من ألمانيا ، ولهذا كان الصهيونيون يأملون أن يساعدهم النازيون فى تهريب اليهود إلى الديار المقدسة ، وقد تم فعلا عقد اتفاق بين الوكالة اليهودية والسلطات النازية ساعد فى تنفيذه حتى رجال الجستابو والصاعقة »

لايمكن القول بأن هذا التعاون كان يجرى من الصهيونية العالمية والنازية كحركتين صديقتين ، ولكن يمكن تفسيره على أساس التقاء المصالح بين النازية التى تحاول تهجير اليهود وطردهم خارج بلاد أوربا ، وبين

الصهيونية العالمية إلى ترغب فى حشد أكبر عدد ممكن من اليهود فى الأراضى المقدسة .

ويجدر بنا قبل الانطلاق فى ايضاح العوامل المحددة لنهاية الصهيونية العالمية ، أن نذكر أن النازية لم تسقط تلقائيا ، ولم تتخل عن مواقعها بأسلوب هادىء ، ولكنها أجبرت تحت ضغط القوى المناوئة لها خاصة فى الحرب العالمية الثانية على أن تنهار ويسدل الستار على مأساة من مآسى تكريس العنصرية ، ومحاولات التسلط والتوسع والعدوان .

إن العالم وقف يواجه النازية كحركة عنصرية توسعية وقفة رجل واحد ، بعد أن اتضحت له معالمها وخطورتها ، ووعى مخططها ، وأحس بالشر المستطير يكاد يحدق به نتيجة عدوانها وتوسعها .

ترى هل تواجه الصهيونية العالمية نفس المصير ، وهى تعتمد على ركيزة أساسية : التمييز العنصرى والتفرقة العنصرية ، وما ينطلق منهما من رغبة جامحة للعدوان والتوسع ، وبناء الدولة الصهيونية من النيل الى الفرات ..!

إن الاجابة على هذا السؤال تقتضى منا أن نناقش الأبعاد الرئيسية لهذه القضية والتى يمكن اجمال خطوطها العريضة فى الآتى :

أولا : اسرائيل ذاتها ككيان يعتمد على العنصرية بما تحتويه من تمييز وتفرقة وعدوان انطلاقا من أن اليهود شعب الله المختار .. ومدى إمكان استمرار هذا الكيان .

ثانيا : مدى سيطرة الصهيونية العالمية على دول العالم ومدى امكان الحد من هذه السيطرة .

ثالثا : الأمة العربية المحيطة باسرائيل ، وهدف عدوانها وتوسعها باعتبارها أمة واحدة لها تاريخها وحاضرها وامكانياتها الضخمة وآمالها وأمانيها .

الفصل الثالث

كيان إسرائيل ذاته

ويعتمد هذا الكيان الغريب المتمركز وسط المنطقة العربية على أسس ثلاثة رئيسية .

١ ـ الأساس العنصرى كصفة متأصلة دائمة يأخذ شكله فى محاولة التخلص من الفئات غير اليهودية فى أرض التجمع اليهودى « فلسطين » حتى ولو كانت هذه الفئات هى صاحبة الأرض والممتلكات ، وجمع شتات اليهود الخلص من أنحاء العالم لمركزتهم فى أرض الجنة الموعودة .

وفى هذا الصدد يختلف أساس إسرائيل العنصرى عن الحركات العنصرية الأخرى التى دعا إليها دعاة التفرقة العنصرية من الأوربيين المستوطنين فى آسيا وأفريقيا ، فهؤلاء لم يستندوا فى أسلوبهم إلى تخليص عنصرهم من العناصر الأخرى ولم يقوموا بإبعاد غيرهم من العناصر عن الأراضى التى استوطنوها ، وإنما كانوا يتعايشون معهم يستغلونهم فيما يعود عليهم بالفائدة ، ولكنهم لم يجبروهم على مغادرة أرضهم بالقوة والعنف .

وإذا كانت اسرائيل تؤمن بمبدأ التمييز العنصرى وتمارسه بكافة الوسائل والإمكانيات إلا أنها تخفى ذلك وراء دعاوى الديموقراطية والمساواة بين سكان اسرائيل ...!

ولعل مايعانى منه العرب الذين يسكنون اسرائيل الآن مصداق لهذا القول ،

فهم محرومون من ممارسة حقوقهم الأساسية فى التعبير والتجمهر والتجمع أو إنشاء منظمات سياسية أو اصدار صحف . فضلا عن التمييز فى فرص التعليم وقصر مجالات العمل أمامهم على الأعمال والخدمات الحقيرة ، وحرمانهم من مسئولية المشاركة فى أى عمل إدارى ، وطرد سكان قرى بأكملها من قراهم ومساكنهم ، ومصادرة أراضيهم ، فضلا عن الاضطهاد الدينى للمسلمين والمسيحيين سواء(١).

٢ العنف والارهاب :

قبل قيام اسرائيل اعتمدت المنظمات الصهيونية العسكرية وشبه العسكرية على العنف والارهاب لتنفيذ مخططاتها ، ذلك أن أعمال العنف ضد السكان العرب الفلسطينيين كانت الأسلوب المتبع فى طردهم من أراضيهم والاستيلاء على ممتلكاتهم ، وعند قيام اسرائيل مارست السلطات الاسرائيلية نفس الأسلوب ، وارتكبت نفس الأعمال الوحشية العدوانية ضد موظفى ومندوبى الأمم المتحدة .

ولم يقتصر إتباع أسلوب العنف على العرب الموجودين داخل الأرض المحتلة أو موظفى الأمم المتحدة أو المراقبين الدوليين بل تجاوز ذلك إلى الدول العربية المحيطة بالأرض المحتلة .

وكانت حملات العنف الشامل إبان العدوان الاسرائيلى الفرنسى البريطانى فى عام ١٩٥٦ ، وكذلك إبان العدوان الاسرائيلى الأمريكى فى يونيو ١٩٦٧ .

---

(١) للحصول على تفاصيل ممارسة ارهارب السلطات للعرب فى إسرائيل راجع : العرب فى إسرائيل : صبرى جريس من دراسات مركز الأبحاث ـ منظمة التحرير الفلسطينية .

وراجع أيضا الاستعمار الصهيونى فى فلسطين : د . فايز صايغ من دراسات مركز الأبحاث ـ منظمة التحرير الفلسطينية وراجع أيضا : إسرائيل : وقيامها ـ واقعها ـ مصيرها د. كمال الدسوقى ـ عبد التواب سلمان.

٣ — التوسع الاقليمى :

على الرغم من التأكيدات المستمرة لقادة الصهيونية فى أن اسرائيل تعمل جاهدة لحماية حدودها من البلاد العربية المحيطة بها ، إلا أن سلوك اسرائيل وتصرفاتها كانت تدفع هؤلاء وتدين نواياهم العدوانية الهادفة إلى التوسع الاقليمى على حساب الدول العربية المجاورة تحقيقا للحلم الصهيونى .

وليس أدل على صحة هذا الاتجاه من أعمال العدوان المتكررة بهدف اكتساب الأرض والتوسع الاقليمى ، وقد وضح ذلك بصورة لاتقبل الجدل فى عدوان يونيو ١٩٦٧ واستيلاء اسرائيل على مناطق من الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والأردن .

وإذا كانت الأسس الثلاثة السابقة هى أسس التخطيط الصهيونى فان اسرائيل كدولة ليس لها من مقومات الدولة عناصر التكامل الاجتماعى الداخلى ، والاعتماد على الذات فى البناء ، والاستقرار الداخلى وهى كلها عوامل لاتكفل لها السير فى طريق التطور كدولة .

انعدام التكامل الاجتماعى الداخلى :

ويبرز ذلك بوضوح داخل اسرائيل فى أن مجتمعها يضم خليطا متنافرا من شذاذ الآفاق الذين عاشوا فترات طويلة من حياتهم فى أوربا وأمريكا وآسيا وأفريقيا ، ممن تختلف جنسياتهم وعاداتهم وتقاليدهم وطرق تفكيرهم ومناهجهم فى الحياة ، وفوق هذا كله تختلف لغتهم فى التفاهم فنهم من يتحدث الألمانية أو الإنجليزية أو الفرنسية أو العربية أو الروسية أوغيرها من اللغات مما يجعل المجتمع الإسرائيلى أشبه بمجتمع السياح فى منطقة سياحية يقيم كل منهم فيها لفترة مؤقتة ، ثم يعود بعدها إلى وطنه الأصلى .

هذه العوامل تجعل مجتمع اسرائيل مجتمعا غير متكامل بل يسوده

التنافر المنعكس فى صورة سلوك كل مجموعة سلوكا يختلف عن سلوك المجموعات الأخرى .

وفضلا عن ذلك فإن ولاء هؤلاء الصهاينة المهاجرين إلى اسرائيل ، لايعتبر ولاءا كاملا لهذه الدولة الناشئه ، لأن طبيعة اليهودهى المغامرة من أجل الحصول على مزيد من المال والامكانيات ، ولهذا يحتفظ معظمهم بجنسيته الأصلية بالاضافة إلى جنسيته الطارئة وهى الجنسية الاسرائيلية .

وانطلاقا من ذلك فانه يمكن القول بأن اسرائيل تفتقر الى مايسمى «بالوحدة الوطنية » داخلها لأنها تفتقر إلى لغة التفاهم الواحدة وإلى مقومات الاندماج الاجتماعى التى تفرض على الإنسان أن يعايش أقرانه فى المجتمع .

ومن هنا كانت محاولات السلطات الاسرائيلية ، بعث اللغة العبرية ، وتشجيع الزراعة وربط السكان بها ، والجمع بين الهدف الاقتصادى والهدف العسكرى فى مستعمراتهم ليتحقق لون التكامل أو الاندماج الاجتماعى داخل المجتمع الاسرائيلى ذاته .

إن التفرقة العنصرية الصارخة بين اليهود القادمين من أوربا وأمريكا واليهود القادمين بين آسيا وأفريقيا واتخاذ اللون أساسا فى التفرقة تشكل تناقضا رئيسيا فى المجتمع لأن هذه التفرقة تنصرف الى المناصب الرئيسية فى الدولة وقطاع الصحافة والوزارة الاسرائيلية ذاتها التى لم تعرف طوال تاريخها وزيراً ملونا ، ولايسمح للون باحتلال مركز أساسى فى جيش اسرائيل ولا للاسرائيلية الأوربية بالزواج من يهودى قادم من أفريقيا وآسيا .

ويترتب على ذلك تفاوت شاسع فى الدخول بين ما يحصل عليه اليهود القادمون من أوربا وأمريكا وبين ، يحصل عليه اليهود القادمون من أفريقيا وآسيا ، اذ يتمتع الأولون بدخول مرتفعة والأخيرون لايحصلون إلا على دخول منخفضة .

كذلك الحال فى الخدمات الإجتماعية والاسكان ونصيب الفرد منها ، أن اليهودى الاوروبى أو الامريكى يحصل منها على نصيب الأسد ، بينما لاينال منها الآسيوى أو الأفريقى إلا النذر اليسير .

وإذا كانت ممارسة التفرقة العنصرية بين اليهود أنفسهم قد وصلت إلى هذا الحد ، فإن معاملة العرب الموجودين بإسرائيل فى الوقت الحاضر يمكن تصور مدى عنتها واضطهادها ، ، سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين .

إنهم يقيمون فى مناطق معزولة تسيطر عليها الرقابة الإسرائيلية الدائبة . . محرومون من أبسط الحقوق المدنية . . لا يستطيعون ممارسة حق الانسان فى العمل .. إلا فى أعمال تحددها لهم السلطات ولا حق التعبير عن الرأى فى صحف تصدر عنهم ، أو حق الانضواء تحت لواء تنظيمات سياسية أو شعبية تضمهم .

وإذا كانت السلطات الإسرائيلية قد استطاعت بوسائل الغدر والعمالة أن تستميل بعض هؤلاء إلى جانبها فتضعهم أعضاء فى « الكنيست » أو تضمهم إلى بعض الوفود المسافرة إلى الخارج لتمثيل إسرائيل فانما ذلك من قبيل الدعاية الرخيصة التى اعتمدت عليها إسرائيل منذ قيامها للتدليل على أن العرب الذين يعيشون داخل إسرائيل لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات مثلهم مثل اليهود .

ان المجتمع الاسرائيلى بالإضافة إلى ما سبق مجتمع طبقى تبرز على سطحه الطبقية بأبشع مظاهرها ، وليس أوضح من هذا التناقض من وجود طبقات ، يوجد عازل فاصل بين كل طبقة وأخرى،إما لأصلها الإجتماعى أو للبلد القادمة منه ، ويعكس هذا وجود تيارات وأحزاب وصراعات قد تصل فى بعض الأحيان إلى حد الصدام .

وعلى سبيل الايضاح يوجد فى المجتمع الإسرائيلى طبقة الموسرين ، وهى تلك الطبقة صاحبة رؤوس الأموال والمصالح وترتبط ارتباطا مصيرياً ومصلحياً مع

قوى الاستعمار العالمى والامبريالية العالمية ، وغالباً ما يكون هؤلاء من المهاجرين الأوربيين والأمريكيين ، وإلى جانب هذه الطبقة طبقة العمال، وهم الذين تشجعهم الطبقة الأولى (طبقة الموسرين) على الهجرة إلى إسرائيل تحقيقاً لمصالحها فى العمل وفى إستغلال هذه الطبقة، وغالباً ما يكون هؤلاء من المهاجرين من آسيا وأفريقيا، وهناك إلى جانب ذلك طبقة المثقفين والمهنيين اليهود ، وإلى جانبها الطبقـة التى تضم عامة الشعب .

والوضوح الفاصل فى التقسيم الطبقى لا يكفل لإسرائيل الاستقرار الداخلى إذا نظرنا إلى السكان اليهود بصرف النظر عن الأقليات العربية من مسلمين ومسيحيين وهم يمثلون طبقة دنيا فى المجتمع .

وليست النظرة الطبقية بغريبة على التفـكير اليهودى والايديولوجية الصهيونية ولـكنها تنبع بداهة ، من الأساس العنصرى للدولة الصهيونية ، وتنقيتها من كل ما يعلق بها من شوائب الأجناس الغريبة .

ومجتمع هذا شأنه . انطلق من تخطيط بروتوكولات حـكماء صهيون ، والصهيونية العالمية — يعتبر مجتمعاً مخلخلا لا يستند إلى قيم إجتماعية وإنسانية .

وقد وصف ذلك الجنرال كارل فون هورن كبير هيئة مراقبي الهدنة التابعة للأمم المتحدة فى فلسطين (١٩٥٨ — ١٩٦٣) فى كتابه « جندى من أجل السلام » المستوى الأخلاقى العام لدى الاسرائيليين واسرائيل بصورة عامة :(١)

« . . بلاد تعسكر الجاسوسية فى العظم منها وتتفهم توأمى الفساد والابتزاز لدرجة تحسدها عليها أية بلاد أخرى فى العالم . » .

ويقول فى وصف تجربة له فى وزارة الشئون الخارجية الاسرائيلية ، مشيراً إلى المستر إيتان ، مديرها العام :

---

(١) عوامل تـكوين إسرائيل السياسية العسكرية والاقتصادية : أنجلينا الحلو مركز الأبحاث — منظمة التحرير الفلسطينية .

« كان فحوى النصيحة التى أسداها لى ليساعدنى على القيام بمهمتى هى وجوب امتناعى عن التقيد بقوانين إتفاقية الهدنة . . . وما أن خرجت من مكتبه حتى غمرنى السرور إذ اكتشفت أننى صرت فى عهدة يوسف تكواج الذى لم يتكلم إلا قليلا حتى الآن ، لكننى ما أن جلست فى غرفة مكتبه ، حتى اكتشفت أننى قد خطوت من المقلى إلى النار . . . »

ثم يصف الوزارات المختلفة بشكل عام ويقول : « كانت كل وزارة تعج كقفير النحل بالمنازعات الفردية والمنافسات بين الكتل والتحزبات ، وكل منهما تناصب بعضها بعضا العداء، كل دائرة من دوائر الخدمات تسيطر عليها العداوات الشرسة ، التى أعماها الحسد والغيرة ، مما يجعلها تبدو مستشرية فى الخلق اليهودى » .

عدم الاعتماد على الذات فى البناء :

إن جهاز البناء الداخلى لإسرائيل يعتمد فى الوقت الحاضر على مصادر مختلفة يمكن إجمالها فى :

- الأصول والممتلكات العربية التى سيطرت عليها العصابات الصهيونية بالقوة والغدر والخداع .
- قوات الدفاع الإسرائيلية .
- تأييد ومساندة الحكومات الأوروبية وغيرها تأييداً معنوياً ومادياً .
- مساعدات يهود العالم .
- مساعدات الولايات المتحدة الأمريكية والهيئات الدولية التى تسيرها أمريكا .
- إمكانات اليهود المهاجرين الذين لم يفدوا بعد إلى أرض إسرائيل .

وهذه المصادر من المفروض أن تغطى احتياجات اسرائيل للبناء الاقتصادى والعسكرى والاجتماعى ، ولمواجهة متطلبات الهجرة إليها والدفاع عن حدودها المرحلية المؤقتة ، ولو بطريق الغزو العسكرى والعدوان .

ولهذا نجد أن المصدرين الأساسيين اللذين يستمد منهما الوجود الصهيونى فى فلسطين المحتلة حياته وبقاءه وقدرته على الصمود هما :

- المصادر الخارجية من مساعدات واعانات مادية وعينية وكذلك تعويضات مختلفة .

- القوة العسكرية التى ترتبط أوثق الارتباط بالمصدر الأول .

وكلما وجدت اسرائيل أن مصادر المساعدات الخارجية بدأت تقل أو تضعف ، فإنها تلجأ الى القوة العسكرية كسبيل لاستدرار العطف للحصول على مزيد من المساعدات والاعانات .

ولكن استمرار هذا السيل من المساعدات والإعانات لا يرجع فقط إلى عامل استدرار العطف ولكنه يرجع فى نفس الوقت إلى تلك الحكومات والشعوب التى تؤثر فيها دعايات إسرائيل وأساليبها فى الحصول على الكسب المادى أو المعنوى . . يرجع إلى سياسات الحكومات فى البلاد التى يقيم فيها المتبرعون الأفراد ، أو إلى سياسات الحكومات ذاتها .

على أن هذا الوضع الشاذ القائم على اعتماد الإقتصاد الإسرائيلى على المصادر الخارجية فى المقام الأول ، يخلق لاسرائيل بين الحين والآخر مشكلات على المستوى الداخلى تبرز انعكاساتها على السطح فى صور شتى أهمها :

١ — تفشى البطالة بين العمال : لقد أعلن بيجال آلون وزير العمل الإسرائيلى فى خطاب له أمام الكنيست فى ١٩٦٧/٢/٢٧ ، أن عدد العاطلين عن العمل فى الربع الأخير من عام ١٩٦٦ بلغ ٩٦ ألف عاطل من الطاقة الإجمالية للعمال والبالغة ٩٣٥ ألف عامل ، وأضاف فى تصريحه إلى أن عدد العاطلين سيتضاعف بعد انتهاء قطف الحمضيات، وقد أيد مكتب الاحصاء العام الاسرائيلى فى ٣ /٥/ ١٩٦٧ هذا الاتجاه فأعلن ، أن عدد الاشخاص الذين كانوا عاطلين

عن العمل فى الاشهر الاخيرة من عام ١٩٦٦ ، وسجله فى مكاتب العمل بلغ ٩٩ ألف شخص أى مايعادل ١٠٫٣ ٪ من مجموع عدد الأشخاص العاملين فى الدولة (١) .

ويؤدى ذلك بطبيعة الحال إلى شيوع الاضرابات والاضطرابات فى المصانع والشركات ، وقيام مظاهرات تطالب بالعمل .

وقد يقال إن اتحاد العمال الإسرائيلى « الهستادروت » ، وهو يمثل مختلف العمال فى جميع القطاعات اتحاد قوى يستطيع أن يمارس دوره النقابى الفعال فى حل مشكلات العمال وخلق مجالات العمل أمامهم بالضغط على السلطات الاسرائيلية (٢) . ولكن هذا القول مردود عليه بأ « الهستادروت » كان يقف فى كثير من الأحيان ضد اضرابات العمال ، لأنه أصبح يمثل طبقة منعزلة عن قاعدة جماهير العمال الإسرائيليين .

٢ — قيام الأفراد بتصفية أملاكهم وتهريبها إلى خارج إسرائيل : وذلك شعورا من الأفراد بافتقادهم للاستقرار المنشود حتى يقبلوا على العمل واستثمار أموالهم داخل إسرائيل ، وقد أوضح التقرير المالى للمحاسب العام فى إسرائيل أن عجز ميزانية الدولة خلال الأشهر التسعة الأولى من السنة المالية ١٩٦٦/١٩٦٧ (٣) . بلغ ٣٧٢ مليون ليرة إسرائيلية ، وأن المصروفات قد زادت عما كان عليه الحال فى السنة المالية الماضية بمبلغ ٤٤٨ مليون ليرة إسرائيلية ، وكانت الزيادة

---

(١) اسرائيل قبيل العدوان : رفيق حسيب مطلق — من إعداد مركز الابحاث — منظمة التحرير الفلسطينية .

(٢) يستند القائلون بهذا المنطق إلى ظهور الهستادروت فى المؤتمرات الدولية بعدد كبير من الاعضاء الممثلين له وانفاقه بسخاء فى المؤتمرات واستخدام العنصر النسائى فى التأثير على الوفود المشتركة فى المؤتمرات .

(٣) تبدأ السنة المالية فى إسرائيل من أول ابريل وتنهى فى ٣١ مارس .

فى مجال الدفاع تحتل النصيب الأوفى إذ بلغت ١٠١ مليون ليره إسرائيلية ، وقد صرح ليفى اشكول رئيس وزراء إسرائيل أن العجز فى ميزانية الدولة للعام المالى ٦٦/ ١٩٦٧ بلغ ٤٠٠ مليون ليرة إسرائيلية .

هذا بالطبع إلى جانب الالتزامات التى لم تسددها إسرائيل والناشئة عن السندات الاسرائيلية .

وتسير خطة إسرائيل إزاء تردى الوضع الإقتصادى وشيوع البطالة بين العمال وتخلخل الوضع الداخلى على أساسين :

١ — ترتيب زيارات يقوم بها كبار المسئولين الإسرائيليين إلى دول أوربا وأمريكا وعلى الأخص بريطانيا والولايات المتحدة ورومانيا ، وذلك بهدف دعم العلاقات الاقتصادية بين إسرائيل وهذه الدول ، واعطاء ضمانات لرؤوس أموال تستثمر فى اسرائيل ، واقامة بعض المصانع الفرعية فيها . وفى اتجاه آخر دعوة بعض المسئولين الرسميين من الدول الأجنبية لزيارة اسرائيل لاستغلال وجودهم بإسرائيل واجراء محادثات بشأن دعم العلاقات التجارية بين هذه الدول واسرائيل .

٢ — التركيز على التوسع فى المشروعات الحربية خاصة بعد العدوان الأخير على الدول العربية ، وذلك بهدف ايجاد مجالات جديدة للعمل للألوف المؤلفة من العاطلين ، منها التوسع فى صناعة الطائرات وتوسيع مطار اللد ، ومشروعات شق الطرق ومن بينها الطريق بين سدوم وايلات على خليج العقبة واكمال توسيع الطريق بين تل أبيب والقدس بالإضافة الى شق طرق أخرى فى النقب .

وتمشيا مع خطة توسيع علاقات اسرائيل بالدول الآخرى اقتصاديا ، سعت اسرائيل الى الانضمام للسوق الأوربية المشتركة ، واستخدمت فى ذلك وزير خارجية ألمانيا الغربية «فيلى براندت» ، أذ ذكرت صحيفة (يديعوت أحرونوت)

الاسرائيلية بعددها الصادر فى ٨ /٥/١٩٦٧ « إن ڤيلى براندت وزير خارجية ألمانيا الغربية قدم لوزراء خارجية بعض دول السوق موضوع طلب إسرائيل الانضمام إلى عضـــوية السوق ، كما طالب وزراء هذه الدول بالاستجابة لهذا الطلب .

ورغم كل المساعدات التى تبذلها ألمانيا الغربية بتأييد الضغوط الاستعمارية ، وخشية كبار المسئولين فى حكومة ألمانيا الغربية من اتهامهم (باللاسامية) فقد قال أريبه بن اليعازر نائب رئيس الكنيست بتاريخ ١٠/٥/١٩٦٧ : « إن من كان مرة نازيا ، كان دائما نازيا . إن النازى كيسنجر وأصدقاءه النازيين لم يتغيروا ولم يغيروا آراءهم ، بل الظروف هى التى تغيرت ، وأن الالمانى الذى لا سلاح بيده هو ديموقراطى ، حتى إذا ما وضع يده على السلاح عادة إلى صورته » .

ومعنى ذلك وفحواه أن إسرائيل لا تترك مجالا إلا سلكته للخروج من الأزمة الشديدة التى تواجهها فى داخلها .

وقد عملت اسرائيل فى الفترة الماضية على غزو أسواق إفريقيا وآسيا والتوسع فى اكتساب أسواق جديدة لحيويتها لها . ولقد قال بن جوريون أمام المؤتمر الصهيونى الخامس والعشرين « إن المستقبل الإقتصادى لإسرائيل ووضعها الدولى يتوقفان على الروابط التى تجتهد فى إقامتها مع أفريقيا وآسيا » وقال ليفى أشكول « إن مستقبل الأجيال المقبله فى إسرائيل مرتبط إلى حد كبير بنشاطنا فى القارة الافريقية » .

وتلجأ اسرائيل فى كسب الأسواق إلى كافة الأساليب بما فيها أسلوب الاغراق فى التصدير ، أى البيع بأسعار تقل عن تكاليف الإنتاج ولكنها لا تستطيع ممارسة هذا الأسلوب باستمرار لأن ذلك يؤدى إلى استنزاف جانب من مواردها .

وكثيرا ما نجد إسرائيل تعقد اتفاقات تجارية تصحبها اتفاقات أخرى ثقافية

والتوسع فى تبادل الشباب والبعثات العلمية والتدريب العسكرى والتدريب على أعمال الشرطة .

لقد كانت اسرائيل سباقة باستمرار الى انتهاز الفرص بأسلوب المداهنة والخداع المعهودين فيها لاستقطاب أصدقاء جدد من الدول الأفريقية والأسيوية تحت ستار ماتتعرض له من مخاطر الحصار العربى لها ، وباستغلال عدم المـام الكثيرين من المسئولين فى دول آسيا وأفريقيا بالدور العدوانى الذى تمارسه اسرائيل ، ومن ثم كانوا يتأثرون بما تقوم به اسرائيل من دعاية كاذبة للسلام .

الفصل الرابع

مدى سيطرة الصهيونية على العالم

لعل من نافلة القول أن نذكر أن اسرائيل والصهيونية العالمية وجهان لقطعة عملة واحدة .

وقد استطاعت الصهيونية العالمية بتعاونها مع الاستعمار العالمى أن تمهد لقيام اسرائيل ، وتساعدها على أن تقوم ، وتمد لها يد العون لتستمر فى البقاء .

ومن المعلوم أن الصهيونية العالمية تنظيمها الخاص أى حكومتها التى تحكم الصهاينة فى أنحاء العالم ، وتضع إمكانياتها وقدراتها فى خدمة اسرائيل باعتبارها تجسيدا للحلم الذى طالما سعت إلى تحقيقه .

وأسلوب عمل الصهيونية فى سيطرتها على العالم يستند إلى أساسين رئيسيين :

الأول : محاولة احتلال المراكز السياسة والسلطة فى كثير من بلاد العالم .

الثانى : التركيز على أقوى مراكز السلطة فى العالم ليكون منطلقا لاسرائيل تستطيع الصهيونية العالمية استخدامه وتوجيهه لخدمة اسرائيل .

ومنذ انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول حتى صدور وعد بلفور وقيام اسرائيل كدولة ، كانت الصهيونية العالمية تعتمد على بريطانيا فى تنفيذ مخططها ، وقد لجأت بعد ذلك إلى التركيز على أقوى مراكز السلطة فى العالم وهو الولايات المتحدة الأمريكية واستطاعت الصهيونية العالمية السيطرة على مقدرات الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق رءوس الأموال الضخمة والشركات الصناعية والتجارية والبنوك وأجهزة الإعلام من صحافة وإذاعة وتليفزيون وسينما وعضوية

الكونجرس والمراكز الرئيسية فى الدولة ، ومن خلال سيطرتها هذه استطاعت أن تؤثر فى سياسة الولايات المتحدة الأمريكية لتوجيهها لخدمة مصالح اسرائيل ومساندة مخططاتها العدوانية .

على أن مساندة أمريكا لاسرائيل يكمن وراءها ما يمكن أن يحققه رئيس الولايات المتحدة فى ضمان النجاح فى أى انتخابات للرئاسة إذا ماضمن أصوات اليهود والصهاينة فى الانتخابات(١) ، ويحاول كلا الحزبين فى أمريكا أن يحصل على أكبر عدد من أصوات الصهاينة كعامل مرجح فى النصر وتنتهز المنظمات الصهيونية هذه الفرصة باستمرار لفرض شروطها فى الحصول على مزيد من الدعم لاسرائيل .

ولعل هذه السيطرة الصهيونية على الولايات المتحدة الأمريكية قد انعكست فى شكل مساعدة اسرائيل فى كافة المجالات .

فاسرائيل تعيش فى الواقع عالة على دافع الضرائب الأمريكى إذ أن جانبا من هذه الضرائب يوجه إلى إسرائيل فى شكل مساعدات ومعونات .

وتتولى الولايات المتحدة بالإضافة إلى الدعم الاقتصادى الدعم العسكرى المباشر لاسرائيل ، وإذا كشف هذا الدعم المباشر أوعزت أمريكا إلى الدول العميلة لها مثل ألمانيا الغربية بتقديم الدعم العسكرى .

ولم تقتصر المساعدات العسكرية الأمريكية على تقديم الامدادات الحربية ، وإنما انتقلت إلى مجال التجسس فى خدمة اسرائيل .

---

(١) لعل من أهم الوثائق السياسية فى هذا الصدد تلك الرسالة التى بعث بها الرئيس جمال عبد الناصر إلى الرئيس جون ف . كنيدى رئيس الولايات المتحدة ـ رداً على رسالة الأخير فى مايو ١٩٦١ .

وعلى سبيل المثال طلبت الولايات المتحدة الأمريكية فى عام ١٩٥٠ — عن طريق ممثليها من الدبلوماسيين فى الشرق الأوسط — من الدول العربية معلومات صحيحة عن قواتها العسكرية والمعدات الحربية التى تملكها وغيرها من الحقائق الحربية السرية بدعوى أنها تريد تزويدها بمساعدات عسكرية وفقا لقانون الأمن المتبادل لتستطيع الدول العربية مقاومة الشيوعية .

ولم يكن أمام الدول العربية فى تلك الفترة من تاريخها إلا الإذعان لطلبات الولايات المتحدة ، فأمدتها بما طلبته من معلومات .

وأعطت الولايات المتحدة تعهدات مؤكدة للدول العربية بأن المعلومات العسكرية التى تزود بها هيئة الأركان العامة الأمريكية ستظل سرا مكتوما .

وبعد انقضاء أشهر قليلة من تلك السنة اجتمع ممثلو الدول العربية "عسكريون وممثل اسرائيل ، وكان يرأس الاجتماع الجنرال « رايلى » كبير مراقبى الهدنة فى واشنطون لبحث الاصطدامات الدموية التى جرت قرب مستنقعات الحولة .

وادعى ممثل اسرائيل العسكرى أن القوات السورية قامت بأعمال عسكرية متفرقة فى عدة مناطق من الحدود فرد عليه الجنرال « رايلى » بقوله :

« ليس هذا ممكنا لأن سوريا لا تملك مثل هذا العدد من القوات لتستخدمها دفعة واحدة » .

فانبرى ممثل اسرائيل عندئذ يقول لرايلى :

« أنت مخطىء فى تقديرك ،ها هى الأرقام الصحيحة للقوات السورية المسلحة والوصف الدقيق للتجهيزات العسكرية » . ودعم قوله بتقديم نسخة من الأرقام التى كانت الحكومة السورية قد زودت بها هيئة الأركان الأمريكية ، والتى لا يعلم عنها الجنرال رايلى شيئا .

وعندما أثير موضوع القوى العسكرية المصرية ظهرت بين يدى ممثل اسرائيل نسخة مماثلة عن قوات الجيش المصرى وتجهيزاته .

وقد اتضح بناء على التحقيقات التى قام بها مكتب استخبارات الجيش الأمريكى وإدارة الأمن المركزية،أن نسخة من المعلومات السرية عن التجهيزات العسكرية العربية كلها كانت قد وضعت تحت تصرف البيت الأبيض وأن « دافيد نايلز » أحد مستشارى الرئيس الأمريكى — وهو يهودى يسلمها إلى إسرائيل . (١)

ولعل هذه الواقعة توضح لنا إلى أى مدى سيطرت الصهيونية العالمية على السياسة الأمريكية وسخرت أجهزتها لخدمتها .

وقد كشفت صحيفة الاتحاد الاسرائيلية فى ١١ يوليو ١٩٦١ عن وجود معاهدة عسكرية بين اسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية وقعت يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وتقضى هذه المعاهدة بوضع كافة إمكانيات اسرائيل فى خدمة السياسة الامريكية الخارجية والاستراتيجية فى منطقة الشرق الأوسط ، وقالت الصحيفة الاسرائيلية إن هذه الاتفاقية تدفع اسرائيل فعلا إلى مقاومة التحرر القومى فى الشرق الأوسط وإفريقيا .

استمرار التواطؤ الامريكى مع اسرائيل :

ومع استمرار الضغط الصهيونى على السياسة الأمريكية ومع فشل السياسة الامريكية فى منطقةالشرق الاوسط، وانحصار نفوذها فى الوطن العربى بالذات استمرت أمريكا فى دعمها لاسرائيل بكافة الوسائل ، ومهدت لعدوان يونيو ١٩٦٧ بخطة مدبرة كانت مظاهرها ما يلى : (٢)

١ — توجيه ألمانيا الغربية لتسليم صفقة سلاح ضخمة عام ٦٤ / ١٩٦٥ ، تم الاتفاق عليها أثناء وجود أديناور وبن جوريون فى أمريكا . ، ولما ازداد

---

(١) أنباء القاهرة : مصلحة الاستعلامات . ج . ع . م . العدد ٢٦ الصادر فى ٢٥ أغسطس ١٩٦٧

(٢) أنباء القاهرة : مصلحة الاستعلامات ج.ع.م العدد الرابع عشر ٢٤ يوليو ١٩٦٧

الضغط العربى على ألمانيا الغربية أوقفت تصدير باقى الأسلحة المتفق عليها الى اسرائيل، وعندئذ قامت الولايات المتحدة بتوريد السلاح مباشرة الى اسرائيل .

٢ — قامت الولايات المتحدة بأكبر عملية استكشاف على الجيوش والمواقع العربية الاستراتيجية واستخدمت فى ذلك الأقمار الصناعية وطائرات الـ (يو-٢) كما قام الملحقون العسكريون الأمريكيون وعملاء المخابرات المركزية الأمريكيه بأكبر عمليات التجسس لاستكمال المعلومات وتحديد المواقع على الأرض .

٣ — قامت الولايات المتحدة بأكبر عملية خداع دبلوماسى قصد بها تخدير الدول العربية ، وذلك عن طريق تصريحات جونسون التى أكد فيها وقوف الولايات المتحدة ضد أى عدوان فى المنطقة ودفاعها عن السلامة الاقليمية لبلدان الشرق الأوسط(١) فضلا عما جاء فى مذكرة السفير الأمريكى ريتشارد نولت إلى وزير خارجية ج.ع.م فى ٢٣ / ٥ / ١٩٦٧ :

« لايوجد لدينا أى سبب يدعو إلى الاعتقاد — فى الوقت الراهن — أن أيا من الأطراف فى اتفاقيات الهدنة المعقودة بين الدول العربية وإسرائيل لديه نية القيام بعدوان » .

كما جاء بها :

« إنه فى الموقف الحاضر يمكن لحكومة الجمهورية العربية — وكذلك لحكومات الدول العربية الأخرى — أن تعتمد على تأكيد بأن حكومة الولايات المتحدة تستمر فى معارضتها الحازمة للعدوان فى المنطقة فى أى شكل من أشكاله سواء مكشوفا أو غير مكشوف وسواء قامت به القوات المسلحة النظامية أو جماعات غير نظامية .

---

(١) من أهم الوثائق التى تدين السياسة الامريكية وتدمغها بالتواطؤ مع عدوان يونيو ١٩٦٧ رسالة الرئيس جونسون إلى الرئيس عبد الناصر فى ٢٣/٥/١٩٦٧ ورد الرئيس عبد الناصر على الرئيس جونسون ، ومذكرة الولايات المتحدة الأمريكية إلى الجمهورية العربية المتحدة .

وبعد هذه التأكيدات من جانب أمريكا ، اتفق على أن يحضر نائب الرئيس الأمريكى جونسون إلى الجمهورية العربية المتحدة ، وأن يسافر نائب الرئيس عبد الناصر إلى الولايات المتحدة الأمريكية لتبادل وجهات النظر .

غير أن أمريكا استمرارا منها فى سياسة التمويه والخداع ،قامت بعملية تمثيلية بالاشتراك مع إسرائيل ، قصد بها إظهار خوف إسرائيل من هجوم مصرى مفاجىء ، ففى مساء ٢٦ / ٥ / ١٩٦٧ استدعى نائب وزير الخارجية الأمريكية « يوجين روستو » سفير الجمهورية العربية المتحدة فى واشنطون وأبلغه أن « أبا إيبان » حضر وطلب مقابلة مستر « راسك » وزير الخارجية الأمريكية فوراً لأمر لا يحتمل الانتظار دقيقة واحدة ، وذلك لأنه قد وصلتهم معلومات بأن الجمهورية العربية المتحدة ستقوم فى هذه الليلة بهجوم مفاجىء على إسرائيل ، وذكر نائب وزير الخارجية الأمريكية أنه مكلف شخصيا من الرئيس جونسون بأن يبلغ الجمهورية العربية المتحدة بأن هذا لو تم،فسوف يؤدى إلى نتائج خطيرة للغاية ، وأضاف : أنه يؤكد أن الحكومة الأمريكية من ناحيتها تبذل كل جهد من أجل منع إسرائيل من القيام بأعمال عسكرية تجاه العرب .

ومن الغريب أن يكرر « راسك » نفس الحديث فى مقابلة تالية له مع سفير ج . ع . م فى واشنطون فى يوم ١٩٦٧/٦/١ .. . كان هذا يجرى وأمر العدوان وخطته تدبر فى الخفاء .

لقد اتضح من ذلك أن الهدف منه كان لونا من التضليل الدبلوماسى ، حتى يتسم العدوان بسمة المفاجأة والمباغتة للأمة العربية ، وبحيث تأخذ صفة الاستعداد للحرب المفاجئة لونا من تأجيل تصعيد الاستعداد إلى درجة الحرب الفعليه هجومية كانت أو دفاعية .

ومهما قيل عن هذا الموقف — موقف أمريكا — ومهما وصف بالأسلوب الدبلوماسى بأنه موقف تضليل وتواطؤ،فإنه يمكن إلتماس العذر لقوى الاستعمار

فى تنفيذ مخططاتها فهى تلجأ إلى أساليب الخداع والتواطؤ والتضليل لتحقيق أهدافها .

أما أثر هذا التضليل على الاستعداد الفعلى للمعركة ، ومواجهة أى هجوم مفاجىء ، فإنه أمر أصبح واضحا بعد انقضاء فترة على الهزيمة فى معركة ٥ يونيو وتحليل أسبابها ، وتقييم الظروف التى أحاطت بها .

٤ ــ أرسلت أمريكا طائرات وطيارين أمريكيين وكميات هائلة من الأسلحة والذخائر إلى إسرائيل أثناء الاتصالات الدبلوماسية التى كان دور المبادرة فيها الرئيس جونسون عميل الصهيونية العالمية كما تحرك الأسطول السادس إلى شرق البحر المتوسط بغرض تقديم العون لاسرائيل .

٥ ــ وضعت أمريكا امكانياتها الفنية والتكنولوجية فى خدمة اسرائيل ، وقد أدت هذه الإمكانات دورها فى التشويش على أجهزة الرادار والصواريخ وأجهزة الاتصال العربية مما كان له أثره فى تحويل دفة المعركة .

وقد حاولت تصريحات المسئولين الأمريكيين فى أول يوم العدوان أن تصور نفسها فى موقف المحايد الذى لا يعرف البادىء بالعدوان وذلك تمهيداً للتنصل من تصريحاتهم السابقة التى أعلنوها من أنهم سيقفون ضد البادىء بالعدوان . هذا فضلا عن المناورات التى قام بها مندوب أمريكا فى مجلس الامن والتى تضمنت تواطؤا مع مندوب اسرائيل وضغطاً على بعض مندوبى الدول الأعضاء فى الأمم وفى ضرورة انسحاب القوات الإسرائيلية وادانة العدوان الإسرائيلى وذلك بهدف عدم اصدار قرار من الجمعية العامة ينص على انسحاب اسرائيل غير المشروط .

ولقد لعبت اسرائيل فى اجتماع الجمعية العامة غير العادية للأمم المتحدة فى ١٩٦٧/٦/٢١ دور المتحدى لقرارات الجمعية العامة ، واتضح ذلك من تصريح « أبا ايبان » الذى نقلته صحيفة « جيروزاليم بوست » والذى أعلن فيه أنه حتى

لو أسفر الاقتراع فى الجمعية العامة عن موافقة ١٢١ عضوا مقابل عضو واحد على انسحاب اسرائيل الى خطوط الهدنة فإن اسرائيل سترفض أن تلتزم بهذا القرار .

ومهما كان الامر فإن هذه الصورة توضح أن الصهيونية العالمية تسيطر تماما على مجرى وخطوط سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ، لأنها تسللت بالفعل الى كثير من مناحى الحياة هناك .

الا أن هناك عوامل يجب أن تؤخذ فى الاعتبار عند الحديث عن مدى امكان استمرار هذه السيطرة ، أو إمكان الحد منها .

ان المعارك والجبهات الأخرى التى فتحتها أمريكا على نفسها فى مواجهة قوى التحرر القومى فى مناطق كثيرة من العالم ، وهزائم أمريكا المتواليه فى معارك فيتنام والتسلل الصهيونى فى أجهزة السياسة والحكم فى أمريكا ووضوح ذلك للرأى العام الأمريكى ، وظهور أصوات متحررة تعارض سياسة « البلطجة الاستعمارية » التى يمارسها جونسون فى سياسته الخارجية العدوانية ومظاهرات الشباب الأمريكى التى تعارض هذه السياسة وتشجبها وتستنكرها ، كل ذلك لابد وأن يؤثر فى تغيير مجرى السياسة الأمريكية وهو أمر سيكون له بلا شك رد فعل ليس بالهين على علاقة أمريكا بإسرائيل ودعمها ومساندتها لها .

واذا كانت اسرائيل قد حصلت من الولايات المتحدة على شهادة الميلاد ، وجرعة الحياة ، وضمان البقاء فإن الرأى العام اليوم أصبح واضحا لديه أن قصه اليهودى المضطهد أصبحت خرافة ، وحل محلها اليوم حقيقة الصهيونى الرعديد الجلاد .

واذا كان الساسة الأمريكيون — وهم يتحركون لمساندة اسرائيل عن أنانية واضحة — يعتقدون أن خلق ترسانة سلاح فى منطقة الشرق الاوسط تتمركز فى اسرائيل ، فإن التجارب التى مرت بها الإنسانية وعاشتها قد أثبتت أن التاريخ

لا تصنعه الأسلحة والتقدم لا يقوم على العدوان والحضارة لا يمكن أن تستند الى محاولات التسلط .

لقد هزمت ألمانيا النازية رغم ما كانت تكدسه من أسلحة، ورغم اكتساحها لمعظم دول أوربا فى الحرب العالمية الثانيه واحتلالها لها ، وذلك كله على الرغم من أن غلاة النازيه كانوا يقدرون لها أن تعيش لمدة ألف عام ، ولكن استناد النظام النازى الى العنصرية والتسلح والعدوان عجل باسقاط الرايخ الثالث ، ووجه الشبه قريب بين النازية والصهيونية فى اعتمادهما على الاساس العنصرى . واستنادهما على تكديس السلاح وقيامهما بالعدوان المسلح لخلق امبراطورية .

الفصل الخامس

فرنسا تغير موقفها

تسيطر الصهيونية العالمية على كثير من مقدرات الشعب الفرنسى المالية والاقتصادية ، وقد تمكنت من التسلل إلى كثير من المراكز الحساسة فى أجهزة الإعلام والصحافة ولم يكن لهذا التيار المضاد للعرب والهادف لخدمة اسرائيل والصهيونية العالمية تيار آخر يواجهه ، ومن ثم ألف الرأى العام الفرنسى أن يسمع عن اسرائيل وأن يتأثر بالدعاية الصهيونية الهادفة الى اظهار اسرائيل بمظهر المعتدى عليها وإظهار العرب بأنهم تجار حروب يحيطون بإسرائيل من كل جانب ويضيقون عليها الخناق .

ولقد وصل الرأى العام الفرنسى الى درجة كان يؤيد فيها ويساند اسرائيل مساندة كاملة قبل عدوان يونيو ١٩٦٧ ، لدرجة كان يرفض فيها أن يستمع الى حديث مضاد لإسرائيل .

وكان اعلان الرئيس الفرنسى ديجول فى بيان اذاعه فى ٢ /٦/١٩٦٧ بشأن أزمة الشرق الأوسط أن من يلجأ الى السلاح أولا مهما يكن لن يحصل على تأييد فرنسا ومساندتها يحمل لونا من تغيير سياسة فرنسا ازاء اسرائيل ،وبتعبير أدق تغيير سياسة ديجول ازاء اسرائيل ، فحتى بداية أزمة الشرق الأوسط كانت فرنسا تساند اسرائيل وتمدها بالسلاح وعلى الاخص الطائرات ، ولذلك كانت سياسة ديجول مفاجأة للبعض ولكنها بالنسبة لمن يتابعون سياسة الرئيس ديجول الخارجية ، ومحاولاته المستمرة عدم الاعتراف بتسلط الولايات المتحدة الأمريكية على دول أوربا وسياستها ، وخلق الشخصية الاستقلالية لفرنسا

فى المجال الدولى ، وابراز هذه الشخصية بعد أن زالت معالمها من مسرح السياسة الدولية ، يجدون أن ديجول يرفض لفرنسا الانقياد للولايات المتحدة . ولذلك فإن موقف فرنسا اتضح تماما وأصبح قائما على أساس استنكار العدوان وادانة المعتدى كما أكد الرئيس ديجول هذا الموقف فى رسالة بعث بها الى « بن جوريون » رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق فى أوائل يناير ١٩٦٨ . وقد ورد فى هذه الرسالة :

« انى مازلت مؤمنا بأن اسرائيل تجاوزت حدود الاعتدال ، وذلك باستهانتها بالتحذيرات التى قدمتها الجمهورية الفرنسية لحكومتكم (أى حكومة اسرائيل) وبقيامها بشن العدوان فى شهر يونيو ، والإستيلاء بقوة السلاح على القدس وجزء كبير من الأراضى الأردنية والمصرية والسورية وممارسة عمليات القمع ضد المدنيين العرب وطردهم . »

وكان الرئيس ديجول قد أعلن فى مؤتمر صحفى « أنه منذ عدوان ١٩٥٦ ظهرت اسرائيل بالفعل كدولة داعية للحرب ومصممة على التوسع » وأضاف يقول : انه منذ ذلك العام قامت اسرائيل بمحاولات « لمضاعفة عدد سكانها : عن طريق تهجير عناصر جديدة الى اسرائيل ، الأمر الذى جعل هناك اعتقادا سائدا بأن اسرائيل لن تكتفى بالأرض التى حصلت عليها ، وأنها سوف تعمل على توسيع حدودها منتهزة جميع الفرص التى تسمح لها بذلك ، وخلص الرئيس الفرنسى الى أن هذه الاغراض التوسعية الأسرائيلية هى التى دفعت الى وضع حد للعلاقات الخاصة القائمة بين فرنسا واسرائيل أو بنفس كلمات الرئيس ديجول « وكان هذا هو الذى دعا الجمهورية الخامسة (أى نظام الحكم الحالى فى فرنسا) الى التحلل من هذه الروابط التى كان النظام السابق فى فرنسا قد عقدها مع اسرائيل » .

وكان موقف اسرائيل من الرئيس ديجول موقفا معاديا بطبيعة الحال ،

إذ انطلقت ضده حملة محمومة مركزة وقوية من وسائل الدعاية الصهيونية والأمريكية ، تعلن استنكار آرائه ، وتندد بموقفه وتتهمه بمحاباة العرب على حساب إسرائيل ، وبالعداء لليهود ، ومعاداته للسامية كاتهام تقليدى بتار مضمون النتائج .

وقد اتخذت فرنسا موقفا من إسرائيل بقرار حظر ارسال الاسلحة إلى منطقة الشرق الأوسط ، وكانت فرنسا قد تعاقدت على تزويد إسرائيل بخمسين طائرة ميراج ، فأوقفت تنفيذ هذا التعاقد ، وكذلك لجأت إسرائيل إلى كافة وسائل الضغط الممكنة على فرنسا وعلى ديجول بالذات لزحزحته عن موقفه .

لقد كان ديجول بهذا الموقف يعى أبعاد وآثار ونتائج الموقف بالنسبة له شخصيا سواء فى داخل فرنسا أوفى خارجها ، فى علاقاته مع اسرائيل ، والدول الأخرى ، وفى علاقاته مع أمريكا ، ومع الصهيونية العالمية ، ثم علاقاته مع الدول العربية ، ودول العالم الثالث بصورة عامة .

ترى ماهى الظروف الموضوعية التى أملت على ديجول اتخاذ هذا الموقف الحازم ؟

إن هناك عدة عوامل هى التى حركت ديجول ودفعته إلى إتخاذ هذا القرار :

<u>أولا : مبدأ المصلحة المتبادلة :</u>

إذ أشار ديجول فى مؤتمره الصحفى وذكر أن مصلحة فرنسا فى علاقاتها مع الوطن العربى ، وفى هذا الوطن هى الأفضل والأولى بالرعاية والعناية ، فبعد انتصار ثورة الجزائر وحصولها على استقلالها أوشكت المشكلات المعلقة بين فرنسا والدول العربية أن تنتهى ، وفتحت الأبواب واسعةأمام نمو العلاقات بين الجانبين « على أساس من الصداقة والتعاون »

<u>ثانيا :</u> إن انحسار النفوذ البريطانى من المنطقة العربية ، وموقف العداء الذى يكتسح المنطقة العربية للنفوذ الأمريكى كانت فرصة طيبة تستطيع فرنسا

استغلالها لاستعادة علاقاتها مع الدول العربية سواء فى المجالات الاقتصادية أو السياسية .

ولعل تعجيل فرنسا بالجلاء على قواعدها فى الجـزائر قبل الموعد المقرر لذلك وفقا للاتفاقات المعقودة بين البلدين كان بمثابة تقديم دليل على حسن النية من جانب فرنسا اتجاه الوطن العربى .

ثالثاً : كشفت ظروف عدوان يونيو أمام الرئيس ديجول أن هناك دولة من الصهاينة تعيش داخل الجمهورية الفرنسية . ولايمكن أن يتصور — كما قال معلق ديجولى — ان دولة عظمية كفرنسا تترك مقدراتها كلها توجهها أقلية تعيش فيها كالأقلية اليهوديه وديجول وهو الرجل الذى يعمل على تأكيد عظمة فرنسا وتثبيت مـكانتها ودورها فى العالم المعاصر لايسمح بأن تـكون بلاده فى يد «يهود فرنسا» لتحقيق أغراض « دولة اليهود » أى اسرائيل .

والواقع أن هناك دلائل أخرى تدل على رغبة ديجول فى توسيع نطاق التعاون مع العرب منها تلك الاتفاقية التى وقعت مع العراق لتزويدها بطائرات ثم تلك الاتفاقية التى عقدت بين شركة النفط الوطنية العراقية ، ومجموعة شركات « ايراب » الفرنسية .

وإذا كانت أبواق الدعاية الصهيونية تردد أن ديجول « نبى العرب الجديد » محاولة بذلك ايجاد جو من التشويش على العلاقات العربية الفرنسية ، فانه من الواجب إبراز نقطة هامة فى موقف ديجول المبنى على العوامل الموضوعية السابق الإشارة إليها والهادف فى المقام الأول لمصلحة فرنسا ، وهى أن هذا الموقف يعبر عن ديجول ، ولايعبر عن إرادة الشعب الفرنسى بأكمله ، ذلك أن الشعب الفرنسى وجد نفسه فى صباح أحد الأيام يفيق على الموقف غير المنتظر من جانب ديجول تجاه اسرائيل وتجاه العرب، وكانت أجهزة الدعاية الإسرائيليه قد وضعت أمام عين هذا الشعب خيالات وأطيافا ، أبعدته عن حقيقة موقف اسرائيل العدوانى ، ولـكى يستوعب الشعب الفرنسى هذا الموقف ، فإنه لابد وأن تنقضى

فترة يمكن خلالها إيضاح حق العرب ونزعتهم إلى السلام وكراهيتهم للعدوان ، وأن العرب يطالبون بحقهم فى أرضهم ، وهو أمر يجب على أجهزة الاعلام الغربى والحكومات العربية المتحرة ابرازه وتأكيده بأسلوب يخرج عن إطار روتين المكاتب الحكومية وإطار « الارتزاق » المعمول به فى الأجهزة التقليدية ، إلى إطار جديد يعتبر هذه الدعوة الجديدة وسط الشعب الفرنسى رسالة قومية قبل أى اعتبار آخر ، لمواجهة كافة التيارات المعادية لقضايا الأمة العربية ، وخاصة على المستوى الشعبى من جانب ما يسمى بجمعيات الصداقة الفرنسية الإسرائيلية المنتشرة فى كافة انحاء فرنسا خلال عدوان يونيو ١٩٦٧ وبعده .

ولاشك أن موقفا كموقف فرنسا من العدوان وإدانة المعتدى ، موقف ينظر إليه العرب نظرة تقدير ، لأنه موقف حازم جاد أمين ، فى مواجهة تحديات الصهيونية العالمية ، أى أنه يمكن القول أن القيادة القوية الواعية لشعب من الشعوب ، تؤثر بلاشك على الموقف الرسمى للدوله ، وتؤثر بالتدريج على الموقف الشعبى كذلك ، عندما تعى القواعد الشعبية أسباب ومبررات اتخاذ قرار معين .

إن الصهيونية العالمية الدائبة الهجوم على ديجول لموقفه ، إنما تكشف نفسها ومخططاتها أمام الرأى العام الفرنسى وتجعله أكثر استعدادا وفهما واقتناعا بوجهة نظر العرب ، ثم ايمانا بحق الشعب العربى .

الفصل السادس

هل تواطأت بريطانيا مع العدوان ؟

تساءل الكثيرون من المتأثرين بالدعاية البريطانية ، المعجبون بالدبلوماسية التقليدية لبريطانيا ، عن الدور الذى قامت به بريطانيا فى عدوان يونيو ١٩٦٧ ، وبريطانيا لم يكن لها موقف ظاهر سافر كذلك الموقف الظاهر السافر الذى اتخذته الولايات المتحدة الأمريكية . . ؟

الواقع أن بريطانيا لها علاقات من نوع خاص مع اسرائيل ، فبريطانيا هى التى أعطت وعد بلفور . . ! وهى التى أدمجت وعد بلفور فى صك انتدابها على أراضى فلسطين . . وهى التى مهدت لعصابات الصهيونية أن تهجر أكبر عدد من اليهود إلى أرض فلسطين . . وهى التى قدمت للمهاجرين الجدد أكبر التسهيلات وهى التى ساندت العدوان على السكان العرب الآمنين فى فلسطين ، وهى التى تركت مواقعها لليهود قبل انتهاء فترة الانتداب ، وهى التى ساندت بكافة الوسائل فى المجال الدولى قرار التقسيم وأيدت إعلان دولة اسرائيل ، واتخذت منها مخلب قط فى العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ . . ثم أمدتها بالسلاح فى مختلف المراحل .

وهذه العلاقات بين بريطانيا واسرائيل وإن كانت طيبة على المستوى الرسمى إلا أنه يعمق منها ويزيدها متانة بعض المؤثرات الأخرى التى يمكننا أن نبرز أهمها :

١ ــ سيطرة الصهيونية العالمية على معظم وسائل الإعلام البريطانية والصحافة البريطانية .

٢ — تبادل الزيارات باستمرار بين المسئولين البريطانيين والمسئولين الاسرائيليين .

٣ — ارتباط الحزب الاشتراكى العمالى اليهودى بحزب العمال البريطانى بصلات وثيقة ، إذ عقد الحزب الاشتراكى العمالى اليهودى مؤتمره السنوى فى لندن بتاريخ ٣/٣/١٩٦٧ وحضر جلسة الافتتاح السيد « أنطونى جرينوود » وزير التنمية البريطانى لما وراء البحار وهو معروف بميوله الصهيونية وقدم تحيات الحكومة البريطانية وتحيات حزب العمال بهذه المناسبة وقال « إنه يوجد عطف كبير من بريطانيا على اسرائيل . كما اقترح أحد الأعضاء أن يوجه المؤتمر رسالة إلى الحكومة البريطانية يطالبها فيها بتأمين مصالح اسرائيل فى الشرق الأوسط بعد جلاء القوات البريطانية عن عدن والجنوب العربى .

٤ — ان بعض المسئولين البريطانيين تربطه رابطة مصاهرة مع اسرائيل ، وعلى سبيل المثال فأن جورج براون وزير الخارجية البريطانية متزوج من يهودية !! .

إن دور بريطانيا فى عدوان يونيو والتمهيد له لا يقل أهمية عن دور الولايات المتحدة الأمريكية سواء على مستوى النشاط الدبلوماسى أو الدعم المادى والمساعدة العسكرية واستنفار بعض ضباط طيرانها واستخدام بعض قواعدها فى منطقة الشرق الأوسط .

إن موقف بريطانيا من مشكلة حرية مرور الملاحة فى خليج العقبة كان موقفاً يحمل طابع العداء للعرب لأنه كان ينادى بحرية مرور السفن الاسرائيلية فى خليج العقبة ، وكانت تصريحات المسئولين البريطانيين فى شهر مايو ١٩٦٧ تحمل هذا المعنى ، ولكنها فى بعض الأحيان كانت متضاربة ، ومن ذلك ما أعلنته وزارة الخارجية البريطانية فى ٢٢/٥/١٩٦٧ من اعتاق نفسها من الالتزام بالتصريح الثلاثى لضمان الحدود الاقليمية فى الشرق الأوسط ، الذى كانت قد

وقعت عليه كل من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة عام ١٩٥٠ ، وقال أن هذا التصريح غير ملزم للدول الثلاث إلا بوصفها أعضاء دائمين فى الأمم المتحدة وأن هذا الرأى هو رأى الحكومة البريطانية ، ثم قالت التصريحات مرة أخرى « إن بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة لا تلتزم بالعمل مباشرة لمنع أى انتهاك لخطوط الهدنة بين اسرائيل والدول العربية ، فى حين أكد رئيس الحكومة البريطانية « هارولد ويلسون » بتاريخ ٢٤ / ٥ / ١٩٦٧ وبعد تصريح وزارة الخارجية بيومين : « أن بلاده تعتبر المضايق الواقعة فى مدخل خليج العقبة ممراً مائياً دولياً ، وأن السفن التابعة لجميع الدول تتمتع بحق حرية الملاحة خلال هذا الممر . . . ثم قال بعض المسئولين البريطانيين بأن بلادهم مستعدة للاشتراك فى أى عمل دولى خارج نطاق الأمم المتحدة إذا ما تطلب ذلك الابقاء على خليج العقبة مفتوحاً أمام البواخر جميعها . .

وبعد يومين من هذا التصريح أيضاً أى فى ١٩٦٧/٥/٢٦ أعلنت وزارة الخارجيه البريطانية بلسان ناطقها : « أن بريطانيا لا تنوى فى الوقت الحاضر على الأقل ، اللجوء إلى القوة لتأمين حرية الملاحة فى خليج العقبة ، وعندما سئل بشأن أنباء واشنطون التى رددت أن الولايات المتحدة وبريطانيا اتفقتا على ضرورة إعادة فتح خليج العقبة « دون استبعاد العمل العسكرى » قال : « نبذل جهدنا لإيجاد وسائل إيجابية لتجنب الأعمال الحربية ، وسنواصل جهودنا سواء فى الأمم المتحدة أم بالطرق السلمية بغية تشجيع كافة الفرقاء المعنيين على إظهار الاعتدال » .

والواقع أن ذكر كلمة اعتدال فى هذا الصدد تتناقض مع ما أوضحته التصريحات البريطانية من موقف بريطانيا العدائى ضد العرب ، باعتبار مياه العقبة مياهاً دولية . . . بل إن كلمة الاعتدال هنا تتعارض تماماً مع ما صرح به « جورج براون » وزير الخارجية البريطانية فى ١٩٦٧/٥/٣١ من أن إغلاق خليج العقبة من جانب واحد

« أى من جانب الجمهورية العربية المتحدة وحدها ، يعتبر « عملا من أعمال الحرب » وأن هناك خطراً فى « أن أى حرب تشتعل فى المنطقة لن تكون حرباً محدودة وذلك بسبب المصالح الاقتصادية والاستراتيجية الهائلة فى الشرق الأوسط » .

ثم نجد هارولد ويلسون يعلن فى مجلس العموم البريطانى فى ١٩٦٧/٥/٣١ « إن علينا أن نعمل أكثر لتجنب الحرب ، علينا أن نخلق شروط السلام والشروط الضرورية لسلم دائم هو الاعتراف بحق اسرائيل فى العيش . . » .

والواقع أن الاتجاه الذى أوضحته تصريحات المسئولين البريطانيين لم يكن وحده السائد على مسرح السياسة البريطانية بصرف النظر عن الأساس الرسمى لها إذ أن « أنتونى ناتنج » (وزير الدولة البريطانى أثناء العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦) يصرح بقوله : « إن إغلاق خليج العقبة ليس عملا عدوانياً » ثم يقول فى حديث إلى هيئة الاذاعة البريطانية « إن قرار الرئيس جمال عبدالناصر هذا — الخاص باغلاق خليج العقبة فى وجه السفن الاسرائيلية — هو استعادة للمكاسب التى حققتها اسرائيل بالتواطؤ مع بريطانيا وفرنسا نتيجة عدوانها على مصر عام ١٩٥٦ ، إذ أنه لم يكن للسفن الاسرائيلية الحق فى المرور فى خليج العقبة قبل ذلك التاريخ » .

كان هذا هو الموقف الدبلوماسى البريطانى من الأزمة .

أما من الناحية العسكرية فإن موقف بريطانيا ، وإن لم يأخذ شكل التدعيم الظاهر ، إلا أن بريطانيا قامت بدور عسكرى فى مساندة العدوان الاسرائيلى ، تجلى ذلك فيما يلى :

- اعتراف الطيار الاسرائيلى « ابراهام زيلاك » الذى وقع فى أسر السلطات السورية بأن سبعة عشرة طائرة بريطانية من قاذفات القنابل من طراز فولكان ، اشتركت فى المعارك التى جرت فوق الجبهتين المصرية والسورية ، وقال إن هذه الطائرات وصلت إلى إحدى

القواعد الاسرائيلية التى كان هذا الطيار يعمل فيها قبل عشرة أيام من بدء العدوان بطياريها وكامل معداتها (١) .

- اشتركت قاذفات بريطانية من طراز كامبيرا فى الهجوم على المواقع السورية ، مع أن اسرائيل لا تملك هذا الطراز من الطائرات ، وقد سجلت شبكة الرادار البحرية فى سوريا اتجاه هذه الطائرات بعد غارتها ناحية البحر المتوسط ، وقد تعزز ذلك بقيام المدفعية السورية المضادة للدبابات باسقاط طائرة من هذا الطراز فى شمال الجليل .
- اشتركت طائرات بريطانية فى ضرب مطار القاهرة الدولى .

ومن هذا يتضح أن السياسة البريطانية تواطأت مع سياسة أمريكا فى منطقة الشرق الأوسط فى مساندة اسرائيل ركيزة الاستعمار ومنطلق العدوان على الأمة العربية .

ولقد سقنا فيما سبق الضغوط التى دفعت بريطانيا إلى اتباع هذا الموقف العدائى تجاه الجمهورية العربية المتحدة بالذات باعتبارها قاعدة التحرر فى الوطن العربى ومركز الانطلاقة الثورية التى تعد خطراً على مصالح الاستعمار وعملاء الاستعمار فى المنطقة .

غير أن هذا الموقف سرعان ماتبدل تحت ضغط آخر لم تحس بريطانيا وتشعر به قبل العدوان ، وإنما أحست به بعد أن أغلقت قناة السويس ، وليت بريطانيا وعت خطورة إغلاق القناة على مصالحها بعد العدوان مباشرة ولكنها فى الواقع حاولت على لسان مسئوليها أن تهون من أمر إغلاق قناة السويس بالنسبة لمصالحها ، ولعل ذلك كان لوناً من التكتيك التى تتبعه السياسة البريطانية على أساس إظهار عدم أهمية قناة السويس بالنسبة لها ، وفى نفس الوقت تغطية للآثار

---

(١) أبعاد المعركة مع اسرائيل والاستعمار : خيرى حماد . دار الكاتب العربى للطباعة والنشر (١٩٦٧) .

البعيدة المدى على الاقتصاد البريطانى . ووسط عديد من ردود الفعل المختلفة والمتزاحمة ، وفى خضم الأحداث المتلاحقة بعد العدوان ، شعرت بريطانيا بوطأة إغلاق قناة السويس على مصالحها ، خاصة وأن اقتصادها كان يعانى من ضغوط داخلية تمثلت فى مطالبة برفع الأجور مما ألجأ الحكومة إلى تجميد الأجور واتخاذ بعض الإجراءات الاصلاحية الأخرى ، ولكن هذه الإجراءات لم تؤد إلى نتيجة إيجابية فى حل المشاكل العديدة مما وجه نظر الحكومة إلى أن إغلاق قناة السويس كان أحد الأسباب الرئيسية لتفاقم المشاكل المختلفة ، ودفع ويلسون إلى التصريح بأن خسارة بريطانيا نتيجة إغلاق القناة تقدر بحوالى عشرين مليوناً من الجنيهات الاسترلينية فى الشهر وأن موقفاً مثل هذا لم يعد محتملا .

ومن جهة أخرى فإن بعض القوى فى بريطانيا بدأت تفيق من التضليل الصهيونى الذى وضع على عين الشعب البريطانى غشاوة كثيفة ، وخاصة داخل حزب العمال ، وبعض العناصر المثقفة ، إذ تكشفت لها حقيقة الصهيونية فى عدوانها ورغبتها فى التوسع ، وعنصريتها وأسلوبها العنيف فى تحقيق أهدافها ، وما فى ذلك من تهديد لمصالح بريطانيا . ومرة أخرى توجه المصالح بريطانيا إلى محاولة إيجاد مخرج من الأزمة ، ويقف المواطن البريطانى الواعى ليتفكر فيما آلت إليه العلاقات البريطانية العربية بسبب ضغط الصهيونية العالمية ، ويتضح ذلك فى اختلاف الكثيرين من المتنافسين فى حديقة « هايد بارك » وظهور تيار جديد وإن كان فى مرحلة البداية ، إلا أن له أثره الفعال لأنه قائم على أساس اقتناع كامل بنوايا وأهداف اسرائيل العدوانية . وإذا كان بعض المسئولين البريطانيين مثل « جورج براون » و « هارولد ويلسون » قد اتخذا موقفاً يعد قريباً إلى الحياد بالنسبة للنزاع العربى الاسرائيلى ، تمثل فى عدم ادراج مشكلة الشرق الأوسط ضمن جدول أعمال مؤتمر حزب العمال البريطانى الذى عقد فى سبتمبر ١٩٦٧ ، إلا أن « براون » كان هدف حملة صهيونية حاولت تجريحه من الناحية الشخصية

بغية إسقاطه من الناحية الرسمية كوزير للخارجية البريطانية ، وقد خشى ويلسون إزاء ذلك أن تمتد الحملة الصهيونية إلى الحكومة كلها ، فأعلن أن « براون » يعد « أنجح وزير خارجية لبريطانيا » ثم أرسل إلى القاهرة « دنجل فوت » ثم « هارولد بيلى » سعياً وراء إعادة العلاقات العربية البريطانية ، وهو أمر واجهه المعسكر الأمريكى الصهيونى بعدم رضا ، وعدم مواجهة فى نفس الوقت .

إن ذلك فى الواقع قد أظهر تغير موقف بريطانيا من انحياز كامل لاسرائيل إلى موقف يقترب من الحياد ، ويعد هذا كسباً للقضايا العربية فى مرحلتها الراهنة .

وعادت العلاقات الدبلوماسية بين بريطانيا والجمهورية العربية المتحدة ، ويعنى هذا أن نظرة بريطانيا إلى أزمة الشرق الأوسط أصبحت تختلف اختلافاً واضحاً عن ذى قبل ، عندما بدت وكأنها تقف جنباً إلى جنب مع العدوان فى صف أمريكا واسرائيل منذ نشأت أزمة مضايق تيران فى ١٩ مايو ١٩٦٧ إلى أن تفجر الوضع بالعدوان الاسرائيلى الأنجلو أمريكى فى ٥ يونيو ١٩٦٧ .

ولاشك أن الأرضية التى تقف عليها العلاقات العربية البريطانية تعد اليوم أكثر صلابة من ذى قبل ويمكن عن طريق تفنيد مزاعم الصهيونية ، وتوطيد العلاقات على أساس من المصالح المتبادلة أن يحقق العرب كسباً سياسياً يعد فى الواقع خسارة للدعاية المضللة التى تمارسها الصهيونية العالمية .

الفصل السابع

المانيا الغربية بين عقد الماضى ومتطلبات الحاضر

ليس هنا مجال التعرض لتاريخ اليهود فى ألمانيا وتطور الحركة الصهيونية بها إلا بالقدر الذى يعيننا على تحليل الموقف الرسمى والشعبى لألمانيا الغربية من القضايا العربية .

لقد كان وصول الحزب النازى إلى السلطة فى عام ١٩٣٣ مثلا حيا لممارسة الاضطهاد العنصرى ضد حركة تؤمن أيضا بالتمييز العنصرى والتفرقة العنصرية وهى الصهيونية ، ولعل كلمة «الا لاسامية» التى يتهم بها كل أوربى يقف فى وجه الأطماع والنوايا الصهيونية العدوانية إستخدمت أكثر ما استخدمت بعد اندحار النازية وهزيمتها ، ومن الحقائق الثابتة أن ألمانيا كانت أهم معاقل النشاط اليهودى فى أوربا فى المجالات الاقتصادية والمالية والثقافية .

والواقع أن سياسة ألمانيا الغربية اليوم سياسة تتحكم فيها عدة عوامل خاصة بالنسبة لعلاقاتها مع العرب أو مع إسرائيل .

أولا : تحاول ألمانيا الغربية إرضاء المصالح اليهودية أو الصهيونية وفى ذلك ارضاء لسياسة أمريكا التى تحتضن الصهيونية العالمية وتساندها ، لإثبات إنقراض الروح النازية فى ألمانيا الغربية ، وتفادى حملات الصهيونية التشهيرية التى تشنها ضد كل من لا يساعد الحركة الصهيونية .

ثانيا : تمنح ألمانيا الغربية إسرائيل مساعدات مباشرة وغير مباشرة وتعويضات عما أصاب اليهود أيام حكم النازى وذلك لشراء سكوت إسرائيل ، خاصة وأن بعض كبار المسئولين فى الحكومة الالمانية كانوا من الشباب النازى

الذى تربى فى عهد هتلر وعلى يد تنظيماته النازية .وتعتبر هذه النقطة سلاحا مسلطة تشهره إسرائيل ضد أى مسئول ألمانى لا يتجاوب معها .

ثالثا : تجاهل القضية الفلسطينية وحق العرب فى أرضهم استناداً إلى « عقدة الذنب » التى يشعر بها الألمانى إزاء اليهود الذين اضطهدهم الحكم النازى، وإعتبار التكفير عن هذا الذنب أمرا يجب على الشعب الألمانى أن يهتم به ويوليه عنايته حتى لا يتهم « باللاسامية » حتى ولو كان ذلك على حساب شعوب أخرى تمارس الصهيونية الضغط عليها ، وتحتل أرضها ، وتعتدى على مقدساتها ، وتطرد أهلها ليصبحوا شعباً من اللاجئين .

رابعاً : تعتبر ألمانيا الاتحادية نفسها الممثل الشرعى الوحيد للشعب الألمانى وفقا لمبدأ « هالشتين » ويقضى هذا المبدأ بأن تقطع ألمانيا الغربيه علاقاتها الدبلوماسية مع أى دولة تعترف بجمهورية ألمانيا الديموقراطية ، وعلى هذا الأساس حرصت ألمانيا الاتحادية على عدم إقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل حتى لا تقدم الدول العربية على الاعتراف بحكومة ألمانيا الديموقراطية كخطوة مضادة لخطوة ألمانيا الاتحادية .

ولعل هذه الاعتبارات كانت تدفع حكومة ألمانيا الاتحادية إلى إتباع سياسة « ذات وجهين » هدفها إرضاء الجانب العربى وارضاء الجانب الإسرائيلى فى وقت واحد ، وكان تحرك الصهيونية العالمية فى علاقاتها مع ألمانيا الغربية تحركا سريعا نشيطا يهدف الاستفادة بأكبر قدر من المعونات والمساعدات وتشويه وجه الحقيقة . بالنسبة القضية الفلسطينية ، بينما ركن العرب إلى الأسلوب التقليدى الذى يتسم بالسلبية مما أعطى الصهيونية فرصة الاستحواذ على عقول المسئولين الألمان ، مستغلة فى ذلك نقاط الضعف التى أشرنا إليها .

وعلى أى حال فإن مخطط الصهيونية إزاء الحكومات الألمانية المختلفة التى تعاقبت على الحكم فى ألمانيا الاتحادية منذ سبتمبر عام ١٩٤٩ ، كان قائما

على « الدلال » على الألمان لإرغامهم على تقديم الكثير ، وبذل ما يمكنهم بذله استرضاء اليهود وتكفيراً عن « عقدة الذنب » التي يشعر بها الشعب الألماني .. ! على الرغم من « الحقد » و « الاحتقار » الذي كان يظهره الصهاينة للشعب الألماني.

ولقد أعلن أديناور مستشار ألمانيا الغربية في نوفمبر ١٩٤٩ .. أن إسرائيل تعبير ظاهر لجمع شمل اليهود من جميع الجنسيات ، وعرض تقديم هدية مالية لإسرائيل من ألمانيا الغربية قيمتها عشرة ملايين دولار لاظهار حسن النية في رغبة ألمانيا الغربية في تعويض اليهود ، ووعد « أديناور » وقتها بإنشاء جهاز خاص في وزارة الداخلية الإتحادية يرأسه يهود، ومهمته المحافظة على حقوق الجالية اليهودية الباقية في ألمانيا ، كما أعلن عن إجراءات حاسمة تتخذ ضد كل من يعادي السامية في الحياة العامة والصحافة .

على أن هناك حقيقة هامة يجدر الإشارة إليها وهي أن الصهيونية كانت تعتبر الشعب الألماني بأسره مسئولا عن جرائم النازية إزاء اليهود بل إن كلمة «ألماني» كانت تعني في حد ذاتها في نظر اليهود مرادفا للذنب والخطيئة(١) .

وبعد محاولات كثيرة وملتويه قامت بها إسرائيل وبعد محادثات تمهيدية جرت بين مندوبي الحكومة الإسرائيلية في باريس ، وبين أديناور أثناء وجوده في باريس عام ١٩٥١ ، أدلى أديناور في ١٩٥١/٩/٢٧ ببيان حكومي أمام مجلس النواب الاتحادي أشار فيه إلى ضرورة التعويض المادي والادبي عن الظلم والاضطهاد اللذين أصابا اليهود أثناء الحكم النازي ، وعلى الرغم من أن أديناور لم يعترف في بلاغه بالذنب الجماعي للشعب الالماني إلا أنه أعلن النقاط التالية :

١ — الرفض القاطع لكل تمييز عنصري (سامي) ومطالبة كافة الهيئات التعليمية والتربوية بالعمل على تحقيق هذا الهدف .

---

(١) جاء مثل هذا المعنى في تصريح المؤتمر اليهودي العالمي الذي عقد في ٢٠ ديسمبر ١٩٤٩

٢ — معاقبة كل النزعات اللاسامية والدعوات المثيرة للأحقاد العنصرية .

٣ — الإستعداد للدخول فى مفاوضات حول قضية التعويضات مع إسرائيل

٤ — التأكيد على ضرورة إصدار قانون يضمن التعويضات الشخصية للأفراد المتضررين .

وقال أديناور ما معناه :

« إن حكومة المانيا الاتحادية مستعدة بالتعاون مع ممثلى اليهودية العالمية ، ودولة إسرائيل ، التى استوعبت هذا العدد من اللاجئين اليهود المشردين عن أوطانهم ، للوصول الى حل لقضية التعويضات المادية وللمساهمة فى فتح سبيل يكفل تطهيراً روحيا لمآسى لانهاية لها ، والحكومة الاتحادية مقتنعة فى أعماقها بأن روح الإنسانية الحقة يجب أن تعود حية ومثمرة » .

وفى نوفمبر ١٩٥١ اتفقت المنظمات اليهودية خارج اسرائيل على تشكيل هيئة موحدة تمثلها فى المفاوضات المرتقبة مع ألمانيا الغربية بشأن التعويضات ، وقد أطلق على هذه الهيئة :

« مؤتمر الإلتزامات المادية لليهود من ألمانيا » وانتخبت هذه الهيئة « ناحوم جولدمان » رئيس المؤتمر اليهودى العالمى رئيسا لها .

وفى ١٩٥١/١٢/٦ ، أرسل أديناور إلى « ناحوم جولدمان » رسالة يعلمه فيها أن حكومة ألمانيا الغربية مستعدة للتفاوض مع مؤتمر الالتزامات حول تعويض اليهود الذين يمثلهم المؤتمر ، وعلى أساس المطالب التى تقدمت بها الحكومة الإسرائيلية فى مذكرتها الصادرة فى ١٩٥١/٣/١٢ . وقد وافق المؤتمر على عرض أديناور بصورة رسمية فى ١٩٥٢/١/٢٠ ، الا أن هذه المفاوضات المباشرة كانت تلقى معارضة من ناحية المبدأ من جانب بعض المتطرفين من حزبى حيروت ومزراحى ، وقد لجأت حكومة بن جوريون وقتها الى الحصول على موافقة الكنيست للتفاوض مع ألمانيا الغربية ، وأعلن بن جوريون

أن التفاوض مع ألمانيا الغربية لا يعنى مطلقا اعتراف اسرائيل بألمانيا أو التنازل عن مبدأ تحميل الشعب الالمانى بأسره وزر الذنب الجماعى .

وبعد إجتماعات ومناورات قام بها الجانب اليهودى وعروض تقدم بها ، لم تلق موافقة الجانب الألمانى ، وقع « أديناور » مستشار ألمانيا الغربية ، « وموسى شاريت » وزير خارجية إسرائيل فى ١٠/٩/١٩٥٢ تلك الإتفاقية التى سميت « إتفاقية تعويض نفقات الاسكان والتشغيل » فى مدينة لوكسمبرج على أساس أنها أرض محايدة ؛ وقد تضمنت الإتفاقيه المبالغ الآتية :

- ٧١٤ مليون دولار أو ٣٠٠٠ مليون مارك تدفعها ألمانيا الغربية لإسرائيل .
- ١٢٠ مليون دولار أو ٤٥٠ مليون مارك تدفعها ألمانيا الغربية لمؤتمر الالتزامات .
- ١٢ مليون دولار أو ٥٠مليون ماركتدفعها ألمانيا الغربية إلى المجلس المركزى لليهود فى ألمانيا الغربية .

وإذا كانت هذه الأرقام هى التى تضمنتها الاتفاقية ، إلا أن ما دفع بالفعل لإسرائيل من ألمانيا الغربية يبلغ أضعاف هذا المبلغ ، وان كان الناطق الصحفى بلسان المستشار الألمانى « ايرهارد » قد صرح فى ٢٨/٥/١٩٦٥ بأن إسرائيل حصلت حتى هذا التاريخ على مبلغ ٦٧٨٧ر٥ مليون دولار من أصل مبلغ ١١٢٨٧ مليون دولار ستدفع لها فى النهاية . . !

والواقع أنه من الصعب الوصول إلى الأرقام الحقيقية للتعويضات الألمانية لإسرائيل وذلك للسرية الشديدة التى تحيط بها حكومة ألمانيا الغربية هذا الموضوع ، خشية أثارة الرأى العام الألمانى من جديد ضد اليهود ، وبعث نعرة اللاسامية من جديد ، وتفادى إثارة مشاعر العرب إزاء ألمانيا التى تقدم هذه المساعدات الضخمة لإسرائيل .

أن نسبة كبيرة من الشعب الألمانى لم توافق وقت عقد إتفاقية التعويضات على هذه الاتفاقية ، وقد تجلى ذلك فى الاستفتاء الذى أجرى فى ديسمبر ١٩٥٢ أذ أسفر هذا الاستفتاء عن الآتى :

٤٩ ٪ رفضوا إتفاقية التعويضات رفضاً باتاً .

٢٦ ٪ أيدوا إتفاقية التعويضات إذا ما قام العرب بفرض عقوبات إقتصادية على ألمانيا .

١٢ ٪ أيدوا إتفاقية التعويضات تأييداً مطلقاً :

١٣ ٪ لا رأى لهم .

ويتضح من هذا أن محصلة الاستفتاء هى رفض إتفاقية التعويضات وقد يرجع ذلك إلى عدة عوامل :

١ — الخشية من أن تتعرض علاقات الصداقة العربية الألمانية وهى علاقات تقليدية لهزة تؤثر عليها .

٢ — الأثر الناجم عن ذلك من خسارة رجال الصناعة الألمانية للاسواق العربية التى تعد منفذا رئيسياً لمنتجات الصناعة الألمانية .

وجريا على عادة الصهيونية العالمية فى محاولاتها المستمرة الحصول على قدر أكبر من التعويضات والإعانات ، صرح المسئولون الاسرائيليون أن عقد هذه الاتفاقية لا يعنى إقامة علاقات دبلوماسية أو طبيعية مع ألمانيا الغربية لأن إعادة العلاقات الطبيعية بين ألمانيا وإسرائيل حسب التعبير الاسرائيلى الشائع لا يمكن تحقيقه لأن الإسرائيليين اعتبروا أنفسهم كيهود فى حالة حرب مع ألمانيا قبل قيام إسرائيل . . ! !

وكان جزاء ألمانيا فى تحملها لهذه التعويضات الضخمة لمن لا يستحقها ، تلك الأصوات التى تعالت فى إسرائيل مدعية أن ألمانيا تريد غسل عار ماضيها النازى إزاء اليهود بالمال . . . هذا فى الوقت الذى كانت تلك الأصوات التى تعارض الاتفاقية تطالب سرا بالمزيد من هذه التعويضات فى كل فرصة تسنح لها لتنفيذ ذلك .

لقد كان رد فعل اتفاقية التعويضات الألمانية لإسرائيل بالنسبة للدول العربية سيئا للغاية ، وقد اعتبرت الدول العربية هذه الاتفاقية عملا يؤدى الى اختلال التوازن فى المنطقة العربية ، وتدعيما لإسرائيل ضد الشعب العربى . الا أن موقفها آنذاك لم يتعد حد التهديدات التى لم تتجاوز الكلام دون اتخاذ أى اجراء توقن منه حكومه ألمانيا الغربية أن مصالحها سينالها الضرر فعلا اذا قطعت علاقاتها مع العرب ، بل على العكس من ذلك ازدادت العلاقات الاقتصادية بين ألمانيا والدول العربية وكان ذلك بطبيعة الحال فى صالح ألمانيا باعتبارها دولة صناعية تبحث لمنتجاتها عن أسواق متسعة كالأسواق العربية ...

وعلى الرغم من أن اسرائيل كانت تتمنع عند اثارة موضوع اقامة علاقات دبلوماسية لها مع ألمانيا الغربية فإن ذلك كان له مايبرره :

١ — أن مكتب البعثة الاسرائيلية فى مدنية كولونيا بألمانيا الغربية كان يفوق الهيئة الدبلوماسية أهمية اذ كان أعضاؤها يتمتعون بحقوق الحصانة الدبلوماسية فى حين أن هذا المكتب أنشىء أساسا للإشراف على تنفيذ اتفاقية التعويضات الألمانية .

٢ — أن وجود علاقات دبلوماسية على الملأ وبصورة علنية ، كان من الممكن أن يؤثر على العلاقات الرسمية والدبلوماسية بين ألمانيا الغربية والدول العربية ، وهو أمر كان يجعل حكومة ألمانيا الغربية فى حيرة من أمرها ، يسيطر عليها التردد فى هذا المجال ، وان كانت قد مرت بتجربه مع الدول العربية عام ١٩٥٢ عند احتجاجها وتهديدها لألمانيا الغربية لتوقيعها اتفاقية التعويضات مع اسرائيل ، وخرجت منها بأن تهديدات العرب لم تتعد حد التصريحات ..!

لقد كان هذا « التمنع » الإسرائيلى يخفى وراءه الرغبة الملحة فى اقامة علاقات دبلوماسية بين اسرائيل وألمانيا الغربية ، خاصة بعد العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ وكشف حقيقة نوايا اسرائيل أمام الرأى العام العالمى ، واتضاح

دورها العدوانى فى المنطقة العربيـــة ، وهو ما جعل اسرائيل تلجأ الى الأسلوب السرى للوصول الى أهدافها ، والاسلوب السرى فى هذا المجال كان يجنب اسرائيل مغبة اثارة العرب ضد ألمانيا الغربية ، وضغط الدول العربية على حكومة بون للحيلولة دون تحقيق هذه العلاقات .

وحاولت اسرائيل الحصول على سلاح من ألمانيا الغربية بعد انكشاف أمرها فى مؤامرة العدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦ ، مما دعى حكومة بون الى أن تعلن فى ١٩٥٧/١٢/٢٨ « أن جمهورية ألمانيا الاتحادية لن ترسل الى اسرائيل سلاحا أو معدات حربية كما أنها لن تسمح للشركات الألمانية الخاصة بتنفيذ طلبات كهذه » .

وكان نصيب هذا الاعلان الصريح من جانب أجهزة الدعاية الصهيونية ، شن حملة على حكومة ألمانيا الغربية واعتبارها متواطئة مع السياسة العربية ضد اسرائيل ، بل وافتعال الأزمات ، واثارة عقد الذنب القديمة ، والقاء تهمة اللاسامية على كل من تسول له نفس الوقوف فى وجه الأطماع الإسرائيليه ، وما قصة كتابة عبارات معادية للسامية على جدران كنيسة مدينة كولونيا ورسم الصليب المعقوف عليها فى عام ١٩٤٩ ببعيدة عن الأذهان ، فمن التحقيقات التى أجريت فى ألمانيا آنذاك أن بعض المتعاطفين مع الصهيونية هم الذين قاموا بكتابة هذه العبارات ورسم الصلبان وكان رد الفعل الاسرائيلى الرسمى هو ارسال مذكرة احتجاج الى حكومة ألمانيا الغربية فى ١٩٦٠/١/١١ كان أهم ماتضمنته « ان بوادر الكراهية العنصرية لا تعبر عن رأى الحكومة الألمانية والمواطنين المتنورين ، الا أن التاريخ يعلمنا أن هذه الظواهر يجب أن تكافح منذ البداية » .

والدليل على افتعال هذه الواقعه أن المسئولين الاسرائيليين استمروا فى محاولة الوصول الى ايجاد علاقات دبلوماسية مع ألمانيا الغربية .

وقد اتضح ذلك من التصريح الذى أدلى به ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر

اليهودى العالمى بعد مقابلته أديناور مستشار ألمانيا الغربية وايرهارد وزير الاقتصاد فى مدينة بون فى ١٨ /١/١٩٦٠ ، إذ جاء فى هذا التصريح :

« إن على الشعب الألمانى ألا ينسى الماضى بمثل هذه السرعة ، فالأحداث الأخيرة تركت أثرها على المصالحة بين الألمان واليهود . إن اليهودية العالمية ستكون سعيدة جدا لو أقامت ألمانيا الاتحادية علاقات دبلوماسية مع إسرائيل لأن إسرائيل مستعدة لذلك ، إلا أن القرار فى هذا الأمر راجع إلى ألمانيا الاتحادية » .

والواقع أن أسلوب المهادنة الذى اتبعه المسئولون الاسرائيليون إزاء حوادث إثارة نزعة اللاسامية كان يخفى وراءه ما تزمع إسرائيل طلبه من حكومة ألمانيا الاتحادية من التمهيد للحصول على صفقة أسلحة من ألمانيا الغربية ، وكان من الطبيعى أن يمهد الجو لعقد اجتماع بين المسئولين الألمان والمسئولين الإسرائيليين لبحث هذه الصفقة إلى جانب موضوع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين .

لقد كان من المقرر أن يسافر « كونراد أديناور » مستشار ألمانيا الغربية إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى مارس ١٩٦٠ ، لذا عملت الصهيونية العالمية على إمكان سفر « بن جوريون » إلى أمريكا بدعوة من جامعة أمريكية فى ولاية ماساشوستس لتسلم شهادة الدكتوراه الفخرية منها ، وبهذا تم التمهيد للقاء على أساس أنه لقاء غير مدبر، إذ اجتمع كل من أديناور وبن جوريون فى ١٤/٣/١٩٦٠ فى فندق « والدورف ستوريا » فى نيويورك . ووضعا فى هذا الإجتماع أسس صفقة الأسلحة الألمانية لإسرائيل ، ومن المنطق أنه لم يفت بن جوريون التحدث فى موضوع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ، غير أن اديناور أقنع بن جوريون بضرورة ترك هذا الموضوع جانبا فى الوقت الحاضر . وكانت قيمة صفقة السلاح ٨٠ مليون دولار .

وقد تم هذا الاتفاق فى جو من التكتم والسرية ، فلم تعلن نتائج الاتفاق ، حتى بدا أن الإجتماع لم يسفر عن نتائج مثمرة لإسرائيل ، ولحبك هذه المؤامرة ظهرت الصحف الإسرائيلية تحمل هجوما على أديناور — وهو بطبيعة الحال من قبيل التمويه — وتذكر أن أديناور يحطم رأس بن جوريون لشدة التفكير فى قضايا إسرائيل وفى كيفية التهرب من إقامة العلاقات الدبلوماسية مع تل أبيب والصحافة الإسرائيلية فى هذا الصدد كانت تشير إلى تصريح أديناور لصحيفة معاريف الإسرائيلية بأن ألمانيا الغربية لا تقيم العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل كى لا نعرضها لنقمة العرب .

وعلى أى حال فإن أمر صفقة الأسلحة هذه قد كشف على الملأ بعد ذلك ، وتلاحقت الأحداث بسرعة لتظهر أن ألمانيا الغربية تنحاز بصورة واضحة لاسرائيل ، وفى / /٣/١٩٦٥ قرر « إيرهارد » مستشار ألمانيا الغربية إقامة علاقات دبلوماسية مع اسرائيل ، وحددت ألمانيا الغربية سياستها فى نقاط خمس :

١ — تجيب حكومة ألمانيا الاتحادية على زيارة أولبريخت(١) للجمهورية العربية المتحدة بقطع المساعدات الاقتصادية الألمانية الغربية عن مصر بما فى ذلك الضمانات الحكومية للقروض التجارية طويلة الاجل .

٢ — ستجيب ألمانيا الغربية على كل خطوة أخرى من شأنها « رفع قيمة » ألمانيا الشرقية بالإجراءات الملائمة للعمل الاستفزازى .

٣ — تسعى ألمانيا الغربية لإقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل وهذه الخطوة « ليست موجهة ضد أى دولة عربية » .

٤ — التزمت بون بقرارها المتخذ منذ شهر بوقف المعونات العسكرية

---

(١) قام والتر أولبريخت رئيس ألمانيا الشرقية بزيارة الجمهورية العربية المتحدة فى ٢٤/٢/١٩٦٥ .

لإسرائيل ، وهى سترفض أى محاولة يبذلها أى طرف فى نزاع الشرق الأوسط التأثير على سياسة ألمانيا الغربية ، وخاصة فيما يتعلق بتكوين العلاقات مع إسرائيل » .

● — سوف تستأنف الحكومة الاتحادية الألمانية مساعيها لتخفيف حدة التوتر بالتعاون مع حلفائها الذين طالبوها مرات عديدة بالمساهمة فى الحفاظ على الإستقرار والسلام فى الشرق الأوسط

ثم حدثت اتصالات بين حكومة ألمانيا الغربية وحكومة إسرائيل للتمهيد لإقامة العلاقات الدبلوماسية بينهما .

وفى ٩/٣/١٩٦٥اجتمع ممثلو الملوك والرؤساء العرب لمناقشة قرارات حكومة ألمانيا الغربية واتخاذ إجراءات لمواجهتها واتخذوا القرارات التالية :

١ — تقطع الحكومات العربية علاقاتها الدبلوماسية مع بون طالما تقيم هذه علاقات مع إسرائيل .

٢ — تسحب الدول العربية سفراءها من بون فورا لاظهار استيائها من قرارات حكومة ألمانيا الغربية .

٣ — تمتنع الحكومات العربية عن التعاون الاقتصادى مع ألمانيا الغربية .

٤ — تنذر الدول المنتجة للنفط البلدان التى تستثمر ثرواتها بوقف التعامل معها إذا لم توقف هذا التعاون المادى والعسكرى مع اسرائيل .

وفى ١٤/٣/١٩٦٥ انعقد مؤتمر وزراء الخارجية العرب لاتخاذ موقف عربى موحد من قرار حكومة ألمانيا الغربية ، وقبل أن يصل وزراء الخارجية إلى نتيجة أصدرت حكومة اسرائيل بيانا أعلنت فيه قبولها لعرض المستشار الألمانى « إيرهارد » الخاص بتبادل التمثيل الدبلوماسى الكامل بين البلدين .

ومن المؤسف أن مؤتمر وزراء الخارجية العرب لم يتوصل إلى قرار اجماعى

موحد لمواجهه خطوة ألمانيا الغربية ، إذ خرج على الإجماع العربى كل من تونس والمغرب وليبيا ، على أنه لم يتخذ أى قرار حيال موضوع الاعتراف بألمانيا الشرقية ، بل خرج بقرارات هزيلة صدرت فى بيان مقتضب تناول قرار قطع العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا الغربية فى حال اعترافها باسرائيل وسحب جميع السفراء العرب من بون إنذارا لحكومتها وقطع العلاقات الاقتصادية معها إذا اتخذت موقفا معاديا من أية دولة عربية .

وفى ١٣/٥/١٩٦٥ أعلنت حكومة « بون » رسميا تبادل التمثيل الدبلوماسى مع « تل أبيب » ، وأصدرت بيانا قالت فيه إن إقامة العلاقات الدبلوماسية يعتبر خطوة هامة نحو اعادة الأحوال إلى طبيعتها فى الشرق الأوسط ، وجاء فى البيان أن هذا الاجراء ليس موجها ضد أحد ، ولا يؤذى أحد ، كما أن الشعب الألمانى مرتبط بعلاقات الصداقة مع الدول العربية .

وفى نفس اليوم نشر فى كل من بون وتل أبيب نص الرسالتين المتبادلتين بين ليفى أشكول ولودفيج ابرهارد ، والتين جاء فيهما :

رسالة إيرهارد : « إن ما قامت به جمهورية ألمانيا الاتحادية فى الماضى يثبت أنها عالمة تماما بالوضع الخاص الذى يحتله الألمان فى علاقتهم مع اليهود فى كل أرجاء العالم ، وإننى مغتبط جداً لأن بلدينا تمكنا من الوصول إلى اتفاق . »

رسالة أشكول : « إننى أعى تماما أن الفضل يرجع إلى مبادرتكم الشخصية وتصميمكم فى الوصول إلى تسوية مرضية فى هذه المرحلة الهامة للعلاقات بين بلدينا » .

وفى نفس اليوم أيضاً قطعت كل من الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والعراق والسعودية والأردن والجزائر واليمن علاقاتها الدبلوماسية مع بون ، وفى يوم ١٤/٥/١٩٦٥ قطعت لبنان علاقاتها وفى ١٦/٥/١٩٦٥ قطع السودان علاقاته أما الكويت ، وكانت على أبواب إقامة علاقات مع ألمانيا فقد تراجعت عن تنفيذ القرار .

ولعل من المهم هنا أن نضع ليبيا وتونس والمغرب فى جناح آخر خرج على الإجماع العربى ، وظل يحتفظ بعلاقات دبلوماسية مع ألمانيا الغربية .

ولم تتخذ الدول العربية التى قطعت علاقاتها مع ألمانيا الغربية أية خطوة فى الاعتراف بألمانيا الشرقية كرد حاسم على خطوة ألمانيا الغربية فى إقامتها علاقاته دبلوماسية مع اسرائيل .

غير انه تخلل تلك الفترة فترة السعى لإقامة علاقات دبلوماسية بين المانيا الغربية واسرائيل — امور وقضايا تمس العرب والمانيا الغربية وإسرائيل، واهم هذه الأمور قضية العلماء الألمان فى الجمهورية العربية المتحدة ، التى اتجهت إليها انظار العالم فى عام ١٩٦٢ ، والتى حاولت اسرائيل على اساسها ان تتخذها وسيلة الضغط على حكومة المانيا الغربية لسحب هؤلاء العلماء من الجمهورية العربية المتحدة والحصول على مزيد من الأسلحة او وعد بالحصول عليها ، فمارست اسرائيل كافة وسائل التهديد والإرهاب لهؤلاء العلماء لإجبارهم على العودة إلى المانيا ، وبعد ان فشلت مختلف الوسائل الإرهابية فى إنهاء عمل هؤلاء العلماء فى مصر ، اعلنت « جولدامايير » وزيرة خارجية اسرائيل فى ٢٠ /٣/١٩٦٣ « لايجوز للحكومة الألمانية ان تقف مكتوفة الأيدى ، بعد ثمانى عشرة سنة من سقوط نظام هتلر الذى قتل ملايين اليهود ، إزاء عمل مواطنين لها يرمى إلى تدمير دولة اسرائيل التى وجد فيها اليهود الناجون ملاذا لهم » وقد طالبت « جولدا مايير » حكومة المانيا الغربية باجبار رعاياها على مغادرة الجمهورية العربية المتحدة .

والسبب فى هذه الحملة الضالة التى حملتها حكومة اسرائيل على العلماء الألمان فى الجمهورية العربية المتحدة وعلى حكومة المانيا الغربية هو ادعاء اسرائيل ان هؤلاء العلماء يعملون فى انتاج الاسلحة الذرية .

ولقد أعلنت حكومة ألمانيا الغربية أن علماءها لا يعملون فى إنتاج أسلحة ذرية، وأنها بحكم قوانين بلادها لا تستطيع أن تجبر مواطنيها على العودة إلى بلادهم .

وقد أدت هذه الضجة التى أثارتها اسرائيل إلى فتور العلاقات الألمانية الاسرائيلية ، مما دفع المسئولين الاسرائيليين إلى محاولة رأب الصدع الذى حدث فى هذه العلاقات ، إذ صرح بن جوريون مدافعاً عن ألمانيا الغربية قائلا إنها ليست مسئولة عن عمل العلماء فى الجمهورية العربية المتحدة .

ورغم ما حدث من ضجة حول هذا الموضوع فإن اسرائيل لم تستطع تحقيق أهدافها باجبار العلماء الألمان على مغادرة الجمهورية العربية المتحدة ، أو إصدار قانون فى ألمانيا الغربية يتيح للحكومة أن تجبر العلماء على العودة إلى بلادهم .

* * *

وبعد هذا العرض السريع لتطور العلاقات الألمانية الاسرائيلية ونموها ، وضعف العلاقات الألمانية العربية يجدر بنا أن نلقى ضوءاً على الموقف الراهن فى ألمانيا الغربية تجاه القضايا العربية ؛ وإلقاء ضوء على الموقف يقتضى إبراز الجوانب الإيجابية والسلبية التى تحدد فى النهاية مدى إمكان التأثير لصالح القضايا العربية وهذه الجوانب يمكن إجمالها فيما يلى :

١ — <u>النفوذ الصهيونى فى مجالات الحياة المختلفة</u> : وليس معنى ذلك أن عدداً ضخماً من اليهود يعيش فى ألمانيا اليوم ، إذ أن عدد الجالية اليهودية التى تقيم فى ألمانيا الغربية يبلغ حوالى ٣٠ ألف شخص (١) ، ولكن عوامل تاريخية ونفسية تلعب دورها فى العطف على اليهود داخل ألمانيا ، فضلا عن عوامل خارجية تؤدى دورها فى التأثير على الصحافة والمجلس النيابى الاتحادى والأحزاب السياسية ، ومواقع السلطة الهامة ومجالات الصناعة والمال .

---

(١) يتركز هؤلاء فى المدن الكبيرة إذ يوجد منهم فى برلين الغربية حوالى ستة آلاف وفى ميونيخ ثلاثة آلاف وفى فرانكفورت حوالى ثلاثة آلاف والباقون موزعون على المدن الالمانية الأخرى .

ومن أهم الشخصيات اليهودية فى ألمانيا الغربية « لودفيج روزنبرج » رئيس الاتحاد العام للنقابات الألمانية و « كارل ماركس » صاحب الصحيفة الأسبوعية الناطقة بلسان اليهود فى ألمانيا .

والواقع أن الجالية اليهودية بعددها وإمكانياتها لا تشكل مركزاً من مراكز النفوذ فى ألمانيا الغربية ، ولكنها تستغل ظروفها وارتباطها بالصهيونية العالمية فى دعم وجودها ، وإن كانت هذه الجالية فى هيكلها تحمل الكثير من المتناقضات التى تنعكس فى شكل خلافات أساسية بين أفراد الجالية أنفسهم والسبب فى ذلك هو أن هؤلاء اليهود ليسوا جميعاً من أصل أو منشأ واحد ، فمنهم اليهودى الألمانى الأصيل ومنهم اليهودى الأوربى الشرقى ، ومنهم اليهودى الذى هاجر حديثاً إلى ألمانيا الغربية ، ومن ثم فإن طباعهم تختلف ، فاليهودى الألمانى الأصيل أقل تعصباً ليهوديته وللصهيونية من اليهودى الأوربى الشرقى ، ومن ثم فإنه أكثر ميلا إلى الإندماج مع الألمان المسيحيين ، بخلاف اليهود الأوربيين الشرقيين الذين يؤثرون العزلة وتسيطر عليهم روح التزمت . وهناك منهم من يرضى عن حياته فى ألمانيا الغربية ، ومنهم من يتظاهر بالرغبة فى الهجرة إلى اسرائيل ، ومنهم من يتظاهر بالدعوة للصهيونية ، ولكن هذه الصورة المهتزة لا تمنع اليهود المقيمين فى ألمانيا الغربية من تقديم كل ما يمكنهم من عون مادى وأدبى لاسرائيل .

٢ — <u>نزعة اللاسامية :</u> عرضنا فى حديثنا عن النازية أنها كانت تعتمد على إذكاء الروح العنصرية ، ومعاداة السامية ، وتعميق الكراهية لليهود باعتبارهم ساميين ، إلا أنه بعد اندحار النازية عملت الحكومات الألمانية المتعاقبة على القضاء على هذه الروح غير أن العقيدة التى عمقها « أدولف هتلر » فى الشعب الألمانى فترة من الزمن لم يكن من السهل محوها من تفكيره ، فهناك فئة

من الشعب الألمانى عاصرت النازية وتشربت أفكارها وآمنت باللاسامية ، لاتزال حتى اليوم ، وإن كانت لا تستطيع — بحكم القانون — أن تجاهر بعدائها لليهود إلا أن هناك بعض الأحزاب والتنظيمات تضم العناصر المعادية لليهود(١) يتهمها الكثيرون بأنها خليفة الحزب النازى .. والواقع أن المناخ الخصب لانتشار موجة اللاسامية من جديد وسط الشعب الألمانى كان هو تصرف حكومة ألمانيا الغربية بعقدها لاتفاقية التعويضات مع اسرائيل والتى يشعر معها رجل الشارع العادى فى ألمانيا بلون من الاستغلال يصيبه نتيجة تحويل جانب من الضرائب التى يدفعها إلى اسرائيل ، فضلا عن أن المحاكمات العديدة التى عقدت لمن اشتركوا فى الحكم النازى ، باعتبارهم مجرمى حرب والتى كان معظمها بايعاز وتوجيه الصهيونية العالمية ، قد أوجدت لدى الشعب الألمانى شعوراً بالمرارة تجاه اليهود ، ثم إن وسائل الضغط المستمرة التى تمارسها اسرائيل للحصول على مساعدات ألمانية باستمرار تجعل الألمانى يفكر فى أن اليهودى يشاركه دخله الذى حصل عليه بعمله وكده ، دون أن يعمل أو يكد ، وهو أمر لابد من وضع حد له .

٣ — نشاط جمعيات الصداقة المسيحية الاسرائيلية : تنتشر فى معظم مدن ألمانيا فى الوقت الحاضر جمعيات تحمل اسم جمعيات الصداقة المسيحية الاسرائيلية ، وتركز على مراكز التجمع المختلفة وعلى الأخص الجامعات ومعاهد العلم ، وتدعم هذه الجمعيات من جانب الكثيرين من الألمان السذج ، وتستند فى دعايتها لاسرائيل لاستمالة الألمان على استغلال النواحى العاطفية والانسانية وتذكير الألمان بعقدة الذنب وضرورة التكفير عن هذا الذنب بالبذل فى سبيل اسرائيل ومساعدتها .

وتدعم المنظمات الصهيونية ومكتب البعثة الاسرائيلية بكولونيا هذه الجمعيات

---

(١) فى طليعة هذه الاحزاب الحزب القومى الديموقراطى الالمانى .

تدعيماً ضخماً عن طريق الدعوات التى توجهها إلى أعضاء الجمعيات لزيارة اسرائيل مقابل اشتراك رمزى أو بالمجان .

والواقع أن نشاط جمعيات الصداقة هذه كان من الممكن أن يواجه نشاط المنظمات الطلابية العربية ومكتب الجامعة العربية فى ألمانيا الغربية وكذلك السفارات العربية الثلاثة عشرة بما كانت تملك من مكاتب فنية مختلفة فى طليعتها مكاتب للصحافة والإعلام (١) .

ولقد بذلت المنظمات الطلابية جهوداً مضنية للقيام بدور إعلامى وسط الشعب الألمانى ، لتبديد افتراءات وادعاءات جمعيات الصداقة المسيحية الاسرائيلية ولشرح قضايا الوطن العربى وفى مقدمتها القضية الفلسطينية ، ولكن هذه المنظمات كان يحد من نشاطها وقوف السلطات الألمانية فى وجهها، وعدم تعاون مكتب الجامعة العربية فى بون والسفارات العربية كذلك فى دعم الحركة الطلابية ، بل إن هذه الحركة كانت تصطدم فى كثير من الأحيان بصعوبات ومعوقات من جانب بعض العاملين غير الواعين فى السفارات العربية هناك . يضاف إلى ذلك أن مواد الإعلام المختلفة من مطبوعات وأفلام كان يغلب عليها طابع الدعاية المكشوفة ، بل إن بعضها كان يهاجم اليهودية علناً مما يصطدم مع مشاعر وعواطف الشعب الألمانى ، ومما تتخذه العناصر المتعاطفة مع اسرائيل مادة للدعاية ضد العرب .

٤ — « أمركة » الشباب الألمانى : بانتهاء النازية فى ألمانيا سيطرت على ألمانيا الغربية أربع دول غربية هى أمريكا وانجلترا وفرنسا وبلجيكا ، وكانت أمريكا بطبيعة الحال على رأس هذه الدول الأربع من ناحية عدد قواتها

---

(١) نعنى بذلك فترة ما قبل قطع العلاقات الدبلوماسية بين ألمانيا الغربية والدول العربية فى ١٩٦٥/٥/١٣ .

ونفوذها وتوجيهها لسياسة ألمانية الغربية(١). وكان مخططها فى ألمانيا الغربية قائماً على محو الشخصية الألمانية وإزالة آثار النازية من عقول الناس ، ومحاولة اجتذاب الشباب الألمانى نحو صور الحضارة الأمريكية الحديثة ، ونقل صورة الحياة فى أمريكا على أنها الصورة المثالية لإنسان اليوم ولذلك تأثر الكثير من هذا الشباب بالدعاية الأمريكية والأفلام الأمريكية وأضحى المرء يرى فى معظم مدن ألمانيا بصمات أمريكية على كافة نواحى الحياة .. والشباب فى سن المراهقة الحرجة عندما يوجه إلى الرقص الخليع ، وأفلام الإجرام ، يعمق فى نفسه هذا التوجيه ليصبح عادة متأصلة يصعب بعد ذلك اقلاعه عنها . من هنا كان مخطط أمريكا فى « أمركة » الشباب الألمانى مخططاً يهدف إلى إلهاء الشباب الألمانى عما يدور حوله من أحداث ، ومن ثم يسهل التأثير عليه بلون من السطحيات والدعايات البراقة وعوامل الإغراء .

على أننا يجب لاستكمال الصورة أن نوضح الموقف بعد قطع العلاقات بين ألمانيا الغربية والدول العربية العشر ، فقطع هذه العلاقات لم يؤثر تأثيراً كبيراً على العلاقات الأخرى بين الجانبين ، إذ استمر التبادل الثقافى والتجارى بين الدول العربية وألمانيا الغربية ، واستفادت اسرائيل من الموقف بانفرادها بمسرح السياسة الألمانية فى غياب الدول العربية ، وتأثرت سمعة العرب وسط الشعب الألمانى .

وقد اتضح أن أصدقاء اسرائيل كانوا محقين حين قللوا من أهمية التهديدات العربية ، إذ أن الاجماع العربى الذى كانت تخافه ألمانيا الغربية لم يستطع إثبات وجوده ، والعقوبات الاقتصادية لم تطبق على الاطلاق ، والاعتراف

---

(١) يلمس الانسان ذلك عندما يشاهد المدن السكنية والمعسكرات التى أقامتها أمريكا فى معظم مدن ألمانيا الغربية الرئيسية لموظفيها وقواتها — وكذلك مبانى السفارة الامريكية وملحقاتها التى تعد مدينة كاملة .

بألمانيا الشرقية ظل حبراً على ورق ، ولو طبق العرب فى عام ١٩٦٥ كافة العقوبات ضد ألمانيا الغربية لتبدل الموقف بصورة جذرية(١) .

على أنه من الضرورى عند وضع خطة عمل عربية أن يؤخذ موقف ألمانيا الغربية فى الاعتبار لأنها تستطيع أن تؤثر فى الميزان العسكرى والاقتصادى لاسرائيل ، إذا ما استمرت علاقاتها تتصاعد مع اسرائيل ، وتصل إلى حد القطيعة مع الدول العربية .

---

(١) اسرائيل فى أوربا الغربية : عقيل هاشم ، سعيد العظم ، من دراسات مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية (نوفمبر ١٩٦٧) .

الفصل الثامن

العلاقات العربية السوفيتية ودورها

يحاول بعض السطحيين من المتأثرين بالنزعات العاطفية والغربية بالذات ، اتهام الموقف الذى وقفه الاتحاد السوفيتى من أزمة الشرق الأوسط ، بوصفه بالموقف المتباطىء ، فالاتحاد السوفيتى صديق العرب ، وكان من الواجب أن يهب إلى نجدتهم فى محنتهم .

والواقع أن الحديث عن موقف الاتحاد السوفيتى من الأزمة تقتضى منا بالضرورة أن نلقى بعض الضوء على مرحلة ماقبل العدوان الاسرائيلى الاستعمارى بحوالى شهرين، فعندما قامت اسرائيل بالهجوم على الحدود السورية فى ١٩٦٧/٤/٧ بعثت الحكومة السوفيتية بمذكرة إلى اسرائيل تندد فيها بالهجوم واستدعى « جاكوب مالك » مساعد وزير خارجية الاتحاد السوفيتى ، السفير الإسرائيلى فى موسكو فى ٢١ / ٤ / ١٩٦٧ وبحث معه عدة موضوعات من بينها الاعتداء الاسرائيلى على سوريا ، وتحدث « أبا إيبان » فى اجتماع عقده مجلس الوزراء الاسرائيلى فى ٧ / ٥ / ١٩٦٧ عن هذه المقابلة وقال بأن السفير الاسرائيلى فى موسكو أوضح لمالك عند اجتماعه به ، أن الاعتداء الاسرائيلى الذى وقع بتاريخ ٧ / ٤ / ١٩٦٧ كان تعبيراً صادقا لمفهوم الدفاع « وأنه لاصحة مطلقا للهمز واللمز بأن لهذه الحركات علاقة بأى تأثير أجنبى » .

وفى ٢٣ / ٥ / ١٩٦٧ أصدرت حكومة الاتحاد السوفييتى بيانا حول الأزمة بين الدول العربية واسرائيل جاء فيه : « إن كل من يغامر بشن عدوان

فى الشرق الأوسط لن يواجه فقط القدرة المتحدة للدول العربية ، بل سيواجه كذلك بمقاومة صلبة من جانب الاتحاد السوفييتى والدول المحبة للسلام » وأضاف البيان « أن حفنة ضئيلة من الاحتكارات البترولية الاستعمارية وصنائعها هى التى تهتم بنشوب صدام كهذا ، ولا يمكن أن تهتم به غير قوى الاستعمار التى تسير إسرائيل فى ركابها » . . . وقال البيان أيضا « إن إسرائيل لم تكن تستطيع أن تؤجج هذه الحملة المحمومة ، مالم تكن قد تلقت تشجيعا مباشرا وغير مباشر لموقفها هذا من دوائر إستعمارية معينة تسعى لإعادة الاضطهاد الاستعمارى للأرض العربية ، وهذه الدوائر تعتبر إسرائيل فى هذه الأحوال قوة أساسية ضد الأقطار العربية التى تنتهج سياسة قومية مستقلة وتقاوم ضغط الامبريالية » .

وعندما تقدمت فرنسا باقتراح عقد اجتماع رباعى بهدف مناقشة الأزمة ووضع حلول لها ، رفض الاتحاد السوفييتى ذلك على أساس أن علاج الأزمة ليس وقفا على الدول الكبرى ، وإنما مكانه فى الأمم المتحدة .

ولم يكن أمام الاستعمار إلا أن يحاول إظهار موقف الاتحاد السوفييتى بأنه موقف من يريد تصعيد الأزمة لا إيجاد حل لها ، وأن الاتحاد السوفييتى يقوم من جانبه بامداد الدول العربية بالسلاح ، وأن تكديس السلاح فى المنطقة سيؤدى حتما إلى انفجار الموقف . . . !

ونسى الاستعمار ودعاته أن إيجاد إسرائيل فى المنطقة أصلا ، قد خلق هذا الموقف المتوتر ، وأن تزويد أمريكا وانجلترا وألمانيا الغربية لاسرائيل بالسلاح - بدعوى ايجاد توازن فى القوى فى المنطقة - هو الذى أدى فعلا إلى تكديس السلاح ، وحتمية حدوث انفجار .

وقد صرح أشكول فى هذه الفترة بأن « الاتحاد السوفييتى يتطلع دائما إلى دعم مركزه فى الشرق الأوسط عن طريق إرسال الأسلحة والخبراء ومنح

المساعدة الفنية إلى الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية » . . .

وإزاء الموقف المتوتر الذى يهدد بالإنفجار طلبت الحكومة السوفيتية ـ الجمهورية العربية المتحدة بألا تكون البادئة بالحرب (١) .

وفى ١٠ / ٦ / ١٩٦٧ أعلن الاتحاد السوفييتى بعد إستمرار إسرائيل فى عدوانها على سوريا وعدم استجابتها لطلب مجلس الأمن بوقف إطلاق النار ، قطع علاقاته الدبلوماسية مع إسرائيل بسبب تجاهلها قرارات الامم المتحدة ، وحذرت الحكومة السوفيتية فى المذكرة التى سلمها السفير السوفييتى إلى حكومة إسرائيل بأنها تتحمل كل المسئولية نتيجة لعدوانها وإنتها كها الصارخ لقرارات مجلس الأمن . وأنه مالم توقف إسرائيل فورا أعمالها العسكرية فإن الاتحاد السوفييتى سيوقع ضدها عقوبات بالاشتراك مع الدول الأخرى المحبة للسلام ، مع كافة النتائج التى يمكن أن تترتب على ذلك .

ولقد بدأ فى أعقاب النكسة شعور من جانب بعض العرب ، أن الاتحاد السوفييتى لم يتدخل لإنقاذ الموقف ، وأن الصديق لا يمكن الوثوق من صداقته الا فى مواقف الشدة ، فالشدة محك التجربة العملية لمعرفة مدى تقدير الصديق الصداقة . . . غير أن هذا الشعور العاطفى يتناسى فى خضم الأحداث أن علاقة الصداقة بين الأفراد والأمم ، لا تسمح للصديق أن يطلب من صديقه أكثر مما يطيق أو بأوسع مما تسمح له به الظروف المحيطة والمؤثرة عليه . والا تحولت الصداقة الى نوع من الاستغلال (٢) .

---

(١) جاء ذلك فى خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى ٩ يونية ١٩٦٧ « وفى نفس الليلة فان السفير السوفيتى طلب مقابلتى بصفة عاجلة فى الساعة ٣ر٥ من بعد منتصف الليل وأبلغنى بطلب ملح من الحكومة السوفيتية ألا نكون البادئين باطلاق النار . (٢٦/٥/١٩٦٧) » .

(٢) الاهرام ٢٥ / ٨ / ١٩٦٧

عن الصداقة العربية السوفيتية وأهميتها وعن الظروف : محمد حسنين هيكل .

على أن هناك حقائق واقعة فى هذه المرحلة التى نعيش فيها تحكم موقف الإتحاد السوفييتى أهمها :

١ — أن الاتحاد السوفييتى قد يجد من صالحه عدم الدخول فى تناطح رأسا برأس مع الولايات المتحدة الأمريكية لأن هذا التناطح قد يؤدى الى مواجهة نووية بين الدوليتين لا تريدها الدولتان .

٢ — أن قيادة الاتحاد السوفييتى تحس أن شعوبه فى حاجة الى تخفيف القيود بعد الجهود المضنية التى بذلتها فى البناء الداخلى وبعد الحصار الحديدى الذى ضربه ستالين . والتعويض الوحيد الذى تقبله الجماهير من قيادة الحزب هو دخول مرحلة الاستهلاك الواسع . هذا بدوره يقلل من الرغبة فى تقبل المخاطرة الخارجية خاصة فى عام ١٩٦٧ . وهو العام الذى يحتفل فيه الاتحاد السوفييتى بالعيد الخمسينى لثورة أكتوبر ، ويريد النظام أن يعرض على الشعب منجزاته خلال الفترة الماضية ، دون أن يعرضه لمغامرات مجهولة النتائج .

٣ — أن الاتحاد السوفييتى يعيش فى عصر ثورة التكنولوجيا ويحاول أن يلحق بالولايات المتحدة فى هذا المجال ، وهذا يخلق تقاربا سوفيتيا ـ أمريكيا يتحدث عن التنافس السلمى أكثر مما يتحدث عن الصراع المسلح .

٤ — أن الصراع الصينى ـ السوفييتى أعطى لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى عدوا واحدا يريان منه الخطر والشر المستطير .

ان من يطلبون من الإتحاد السوفييتى أن ينزل بنفسه فى المعركة ضد العدو الصهيونى ؛ انما يغفلون حقيقة هامة هى أن العلاقات العربية السوفيتية قامت بين نظامين اجتماعيين مختلفين وعلى قدم المساواة ، وبمقتضاها قدم الاتحاد السوفييتى للجمهورية العربية المتحدة مساعدات اقتصادية وفنية وعسكرية لا على أساس تبعية العرب للاتحاد السوفييتى وانما على أساس غير مشروط قائم على احترام كل دولة للأخرى .

والذى لا شك فيه أن الصداقة العربية السوفيتية اعتبرت نموذجا استطاعت السياسة السوفيتية تطبيقه على مستوى الدول النامية الأخرى ، واعتقادنا أن الاتحاد السوفييتى الذى ظلت منطقة الشرق الأوسط منطقة مغلقة بالنسبة له مدة طويلة ، وظلت مبادئه يطلق عليها فى المنطقة المبادىء الهدامة ، وقدوصل الى علاقات مع العرب على أساس من احترام سيادتهم الكاملة ، لن يضحى برصيد الصداقة هذا ، ويترك المجال للاستعمار الأمريكى يتسلل بثقل أكبر فى المنطقة العربية ـ ولا شك أن حرب المعسكر الاشتراكى ضد الامبريالية العالمية تضعه أمام مسئولية أدبية وعقائدية تحتم عليه مساندة الدول النامية المتطلعة الى التقدم محافظة على حريتها واستقلالها . يضاف الى ذلك أن الاتحاد السوفييتى لو اتخذ موقفا يشوبه أى شك فى أنه يقف ضد الاستعمار ، لن يسلم هو نفسه من نفوذ الاستعمار ومحاولة سيطرته ، فهو فى المقام الأول يفقد الثقة التى حازها من العرب على أساس أنه قوة أساسية ورئيسية تعمل ضد الاستعمار ، وهو فى المقام الثانى يتيح الفرصة لغيره من القوى أن تحتل مكان الصدارة فى الوقوف ضد الأطماع الاستعمارية ونعنى بها قوة الصين ، ثم هو بعد ذلك قد يتعرض هو نفسه لغارات استعمارية فى المناطق التى تدور فى فلكه مثل ألمانيا الشرقية أو يوغوسلافيا أو غيرها من بلاد أوربا الشرقية .

ومن الانصاف أن نذكر أن الاتحاد السوفيتى قدم للشعب العربى كثيرا من المساندة التى كانت تتزايد باستمرار مع نمو علاقات الصداقة العربية السوفيتية ويوضح ذلك بعض المقتطفات الهامة من خطب الرئيس جمال عبد النـاصر ، وأحاديثه والتى يمكن من خلالهـا التعرف على تطور وظيفة العلاقات العربية السوفيتية .

● فى سؤال للرئيس جمال عبد الناصر :

هل أنت شيوعى ؟ هل بعض مستشاريكم من الشيوعيين ؟ كان جوابه :

الذى أعرفه عن نفسى هو أنى وطنى ، والذى أعرفه عن مستشارى هو أنهم جميعاً من الوطنيين .

(من حديث الرئيس مع « فرانك كبرنز » مندوب شركة كولومبيا للإذاعة فى ٦ أبريل ١٩٥٨) .

● انى واثق أن لقاءنا هنا سوف يدعم فهمنا المشترك ومن ثم سوف ينمى مجالات تعاوننا . . .

وأنى لواثق أيضاً أن هذه الصداقة التى ربطت شعوبنا بشعوبكم ستقوم بدورها كاملا كطاقة إنسانية هائلة وستوجه كل قواها للمساهمة فى صيانة السلام لهذا الجنس البشرى الذى ملأ الأرض من حوله بمعجزات العقل والإحساس ، ومع ذلك لم يستطع حتى الآن أن يوفر لنفسه حقا بدهيا بالنسبة لأى كائن حى . . . ألا وهو حق الأمن . . .

(من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى مطار موسكو فى ٢٩ إبريل ١٩٥٨)

● لقد أثبت التعاون الذى تم فى السنين القليلة الماضية بين الاتحاد السوفيتى وجمهوريتنا العربية المتحدة أنه يمكن أن نتبع سياسة مبنية على التعاون والصداقة .

ولم تكن مساعدتكم لنا متوقفة على شروط أو على التزام من الالتزامات ، فقد ظللتم دائما تحترمون سياستنا المستقلة ، فلم يحدث أى تدخل بأى حال من الأحوال ، وقد كنتم تحترمون سياسة الحياد الإيجابى التى أعلناها ، وقد أثبتت المحادثات التى تمت بيننا على أن التعاون بين البلدين مبنى على الصداقة والاخلاص كما عبر عن ذلك خطاب سيادة الرئيس ، الذى سيقابل من جميع أبناء الجمهورية العربية المتحدة بالتقدير الكامل .

فلقد كانت الدعاية المعادية والدعاية الاستعمارية تحاول أن تثير الشكوك بين أبناء الأمة العربية من تعاونهم مع الاتحاد السوفيتى .

(من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى الاتحاد السوفيتى فى ٣٠ أبريل ١٩٥٨)

• أنا أرى أن الفرصة ممكن من بحث تبادل الزيارة بين طلبة جامعات الجمهورية العربية المتحدة لجامعات الاتحاد السوفيتى فى فصل الصيف وجامعات الاتحاد السوفييتى إلى جامعات الجمهورية العربية المتحدة فى فصل الشتاء ، إن طلبة الجامعات وشعب الجمهورية العربية المتحدة يرحبون كل الترحيب ويعتزون بهذه الصداقة ، وسيكون ذلك أحد الأسباب التى تدعم التعاون والصداقة بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتى .

(من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى طلبة جامعة موسكو فى ٣ مايو ١٩٥٨)

• إن الصداقه التى تجمع بين شعب الاتحاد السوفيتى وشعب الجمهورية العربية المتحدة صداقة مبنية على المصالح المتبادلة من أجل التطور ومن أجل السلام . . . وقد وجدنا من الاتحاد السوفيتى فى جميع المناسبات إقبالا على التعاون ، فبالإضافة إلى موقف الاتحاد السوفيتى أثناء العدوان الذى وقع على بلادنا ، فقد لاقينا كل معاونة لمساعدتنا ضد الحصار الإقتصادى الذى فرضه الاستعمار علينا، وقد لاقينا كل معاونة ومساعدة لتصنيع بلادنا .

(من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى أوزبكستان بالاتحاد السوفيتى يوم ٤ مايو ١٩٥٨).

• لقد كانت بين جمهوريتكم والبلاد العربية علاقات ثقافية على مر الزمن ولسنين طويلة . . واليوم فى هذا الوقت هناك علاقات إقتصادية ، فإن جمهوريتكم تمدنا بمصانع تكرير البترول وآلات التنقيب عن البترول، هذا أول تعاون إقتصادى فى ميدان البترول بين الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة وهو إحدى نتائج الصداقة والتعاون بين البلدين .

(من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى باكو بالاتحاد السوفيتى فى ٥ مايو ١٩٥٨) .

• ان التعاون بين الجمهورية العربية المتحدة والصداقة مع الاتحاد السوفيتى هى من أجل التعايش السلمى ومن أجل تدعيم السلام العالمى ، ومن أجل التقدم فى المنطقة التى نعيش فيها ، منطقة الشرق الأوسط .

(من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى مدينة سوتشى بالاتحاد السوفيتى فى ٧ مايو ١٩٥٨) .

• عندما اعتدى علينا الإنجليز والفرنسيون والإسرائيليون كان كل فرد فى بلادنا يأخذ من مدينتكم الباسلة مثلا يحتذى به . أن كل فرد يعلم كيف قاومت مدينتكم مدة ثلاث سنوات جيوش الغزو والعدوان .

أن كل فرد يعلم كيف قاتلتم ، وإن كل فرد يعلم أيضاً كيف هزمتم العدوان ، وأصبحت ستالينجراد فى العالم كله هى المثل الأكبر للتصميم .

فعندما اعتدى المستعمرون علينا كان كل فرد يقول لنا : سندافع كما دافعت ستالينجراد . . . وانى أحمل إليكم تقدير شعب الجمهورية العربية المتحدة لأنكم أيضاً أيدتموه فى وقت اعتدى عليه فيه المستعمرون .

فحينما حدث الاعتداء على بلادنا أيدت مدن وجمهوريات الاتحاد السوفيتى الشعب العربى ،وكانت مدينتكم فى مقدمة المؤيدين ، ودعوتم وفدا من بور سعيد لزيادة ستالينجراد . . . وعاد هذا الوفد إلى بلادنا وهو يحمل لكم أطيب الذكريات . وقد عبر شعب الجمهورية العربية المتحدة عن شعوره نحوكم حينما زارنا وفد بلدية ستالينجراد .

وقد عبرت أنا نفسى عن هذا الشعور عندما وضعت تمثال ستالينجراد فى مبنى رياسة الجمهورية بجوار مكتبى هذا التمثال الذى أحضره وفدكم معه ، فلتبق ستالينجراد رمز التصميم والقوة والعمل من أجل السلام .

(من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى ستالينجراد بالاتحاد السوفيتى فى ١١ مايو ١٩٥٨) .

- اتهجنا سياسة مستقلة تنحصر فى عدم الانحياز والحياد الإيجابى من أجل السلام العالمى ، وأعلنا سياستنا ضمن الاحلاف العسكرية وضد إقامة قواعد عسكرية فى بلادنا وأعلنا أيضا أننا سنعادى من يعادينا ونصادق من يصادقنا ، وان إتباعنا لسياسة الحياد وعدم الانحياز شىء ومعاداة من يعادينا أو مصادقة من يصادقنا شىء آخر .

... وبهذه الظروف الصعبة التى مررنا بها مد لنا الاتحاد السوفيتى يد المعونة فى كل ميدان من الميادين التى نحتاج إليها ، فى الميادين الثقافية والاقتصادية والعلمية ، ومدنا بالسلاح حينما ووجهنا باحتكار السلاح ، وكان هذا تعبيرا عن الصداقة ووقف الاتحاد السوفيتى معنا فى المعركة السياسية التى شنت علينا ، وأيد قضايانا فى الأمم المتحدة وفى المؤتمرات المتعددة ، ووقف إلى جانبنا حينما تعرضنا للعدوان المسلح على بور سعيد ، وأعلن الاتحاد السوفيتى إنذاره المعروف وكان هذا يمثل معانى الصداقة .

(من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى أواخر زيارة للاتحاد السوفيتى فى ١٤ مايو ١٩٥٨) .

- لقد كانت الدعايات المعادية لكم تصور الشعب السوفيتى بوصفه شعبا تحت السلاح يستعد للعدوان ويستعد للانقضاض على الشعوب والسيطرة عليها وكانوا يعطوننا صورة مختلفة تختلف عن الصورة التى رأيناها .

وأنا من هنا ، من موسكو ، أوجه دعوة لمن يتحدثون عن السلام ويريدون أن يعملوا من أجل السلام من سياسة العالم أن يزوروكم وأن يلتقوا بالشعب السوفيتى حتى يستطيعوا أن يعرفوا ما هى طبيعة الشعب السوفيتى كما عرفناها فإن طبيعتكم هى طبيعة الصداقة ، هى طبيعة المودة ، هى طبيعة السلام .

وفى الحقيقة أقول إننا استفدنا فى الحقل السياسى فحينما عرضت مشكلة قناة السويس على مجلس الأمن ، فإن الفيتو السوفيتى كان السبيل الوحيد الذى أوقف قرار مجلس الأمن بتدويل قناة السويس ، وأنا أوافق السيد خروشوف على الفيتو أنه فى مجلس الأمن يعمل لصالح الشعوب ويعمل فى جانب الحق، وكان الجميع عدا الاتحاد السوفيتى ويوغوسلافيا فى جانب تدويل قناة السويس .

(من خطاب للرئيس جمال عبد الناصر فى الإتحاد السوفيتى فى ١٥ مايو ١٩٥٨) .

● بعد عودتى من زيارتى للاتحاد السوفيتى إنما أقول لكم إن محادثاتى مع زعماء الإتحاد السوفيتى إنما كانت تمثل المحادثات بين الشعب العربى الحر القوى والدول الصديقة التى لاتبغى شيئا ، أننا أيها الأخوة نحن العرب لأول مره فى تاريخنا الحديث نخرج إلى العالم ونشعر بكياننا ، ونشعر بقوتنا ، ونشعر باستقلالنا ونشعر أن سياستنا تنبع من أرضنا وأن دفاعنا ينبثق من منطقتنا — حينما ذهبت إلى الاتحاد السوفيتى كنت أذهب ونحن قد أعلنا سياسة الحياد الإيجابى وسياسة عدم الانحياز ، وقد لقيت من قادة الاتحاد السوفيتى كل تقدير وكل تأييد وكل احترام لهذه السياسة .. .. .. لقد قال رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى السيد خروشوف فى خطابات متعددة ، إنه يحترم أرادتكم ويحترم استقلالكم وأن الاتحاد السوفيتى لايهدف إلا إلى صداقتكم ، وليس هناك شروط وليس هناك قيد .

كانت محادثاتنا فى الاتحاد السوفيتى تسودها المودة ويسودها التفاهم ... لقد أيدوا حق شعب فلسطين، هذا الحق الذى انتهك بطرد شعب فلسطين من بلاده واغتصاب أراضيه .. صدر بلاغ رسمى يقول ان الجمهورية العربية

المتحدة والإتحاد السوفيتي يستنكران ماحل بشعب فلسطين ... ويؤيدان حقوق شعب فلسطين ، هذه الحقوق المشروعة التي انتهكت وأيد أيضا حق شعب الجزائر في الحرية والإستقلال وفي تقرير المصير .... لقد استنكرت معنا حكومة الاتحاد السوفيتي العدوان الذي يجرى والذي تقوم به بريطانيا على اليمن . . . هذه الدولة الشقيقة .

. . . . . لقد رأيت الشعب السوفيتي وهو يهتف في كل مكان باللغة العربية بالسلام وبالقومية العربية وتأييد العرب والصداقة مع العرب ...

(من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بدار الرياسة بالقاهرة بعد عودته من الإتحاد السوفيتي في ١٦ مايو ١٩٥٨) .

• « قلنا بوضوح من أول يوم ، اننا لن ننحاز الى الشرق أو ننحاز الى الغرب ولا لليمين أو اليسار ... ولانحن مستعدين أن نأخذ أوامر من أي عاصمة أجنبية كما كانت الأوامر تعطى في الماضي ... لن نأخذ أوامر من لندن ولا من باريس ولامن واشنطن ولاموسكو ولا أي عاصمة من العواصم ولكن سياستنا تنبع من بلدنا ومن أرضنا ومن ضمائرنا .

كان هذا الكلام واضحا من أول يوم ... وكان هذا الكلام واضحا دائما .. وتكلمت في بوسعيد وبعد هذا بدأت المؤامرات للوقيعة . . . الوقيعة بيننا وبين الاتحاد السوفيتي لأن العلاقات بيننا وبين الاتحاد السوفيتي كانت دائما علاقات مبنية على الاحترام المتبادل وكانت علاقات مبنية على أن لكل دولة أن تختار لنفسها . النظام السياسي والاجتماعي الذي ترضاه ، وأن كل دولة تتعاون مع عدم التدخل في الشئون الداخلية للدول الاخرى ، ولكن — طبعا — بدأت الدوائر الإستعمارية تنتهز الفرص بعد هذا الوقيعه . .

وفي مؤتمر الحزب الشيوعي السوفيتي الواحد والعشرين تكلم المستر

خروشوف وعبر عن رأيه باعتباره شيوعي — طبعا — ونتج عن هذا أيضا أن بدأت الدوائر الاستعمارية تحاول الوقيعة .... بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة .

هناك خلافات عقائدية بيننا وبين الاتحاد السوفيتي . كل بلد لها نظامها الاجتماعي الخاص بها ، كل بلد لها العقيدة التي تؤمن بها ، ولهذا فإني تكلمت في الموضوع بصراحة وبعثت رسالة شخصية الى مستر خروشوف بعد هذا الكلام على الطريقة التي نتبعها دائما وهي التكلم بصراحة ووضع الأمور بصراحة حتى لا نعطي لمن يريدون الاصطياد في الماء العكر الفرصة لينفذوا سياستهم أو الفرصة للوقيعة .... وكانت هذه الرسالة تعبيرا عن الصداقة أو شرح للصداقة التي توطدت بين شعبنا والشعب السوفيتي ... وأنها كانت على أساس المساواة وأن لكل بلد ولكل شعب الحق في اختيار النظام السياسي والإجتماعي وأن هذه الصداقة كانت دائما تلاقي التقدير والاقبال والاعزاز من شعب الجمهورية العربية المتحده ، وأن شعب الجمهورية العربية المتحدة يكن لشعب الاتحاد السوفيتي وللاتحاد السوفيتي الشعور بالود والصداقة ، ويعز على شعب الجمهورية العربية المتحدة أن يصيب هذه الصداقة أى فتور أو أى تصدع لأننا نحمل للشعب السوفيتي التقدير لمساندته لنا في أيامنا العصيبة . .

وصلني رد من المستر خروشوف ، وسأقول لكم بعض العبارات التي جاءت في هذه الرسالة : قال : ان العلاقات الطيبة التي قامت بين بلدينا لعبت دورا عظيما في الدفاع عن السلام والأمن في الشرق الأوسط ، ولقد قام هذا التعاون المثمر بالرغم عما بيننا .... كما هو معروف للجميع من اختلاف في وجهة النظر العقائدية .

وقال : ولقد حاولنا دائما أن نقوى الروابط التى تجمع كفاحنا للسلام ضد القوى الاستعمارية ، كما حاولنا أيضا أن تبقى خلافاتنا العقائدية بعيدة ، ولقد كان كل منا فى هذا يلتزم رأيه الخاص ، ولقد وجدت الخلافات العقائدية بيننا من قبل ومع ذلك فإن بلدينا تمكنا من التعاون بنجاح .

وقال : وإذا نظر الإنسان إلى الموقف الحالى نظرة عملية لتمكن بسهولة من أن يرى أن أعداء الصداقة بين الإتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة يريدون فى الوقت الحاضر أن يجنوا أرباحا جشعة فى الخلافات العقائدية بيننا .

وقال : إن الإتحاد السوفيتى والحكومة السوفيتية ناصرت باخلاص وستناصر باخلاص كفاحكم العادل ضد الإستعمار ومن أجل الاستقلال وتحقيق الأمانى المشروعة لشعب الجمهورية العربية المتحدة .

وقال المستر خروشوف : أما فيما يتعلق بموقفنا من الشيوعية فى الجمهورية العربية المتحدة ، فإن الاتحاد السوفيتى لا يرغب فى التدخل فى الشئون الداخلية للجمهورية العربية المتحدة .

وهناك أخبار جاءت فى وكالات الأنباء : إن الحركة الصهيونية فى أوربا تأمل أن يسمح الاتحاد السوفيتى بهجرة يهود روسيا البالغ عددهم ٣٫٥ مليون .

بالأمس إذاع راديو موسكو أن كل ما يشار إليه أو كل ما يذاع عن الهجرة من الاتحاد السوفيتى كلام غير حقيق وهى دسائس استعمارية .

واليوم كان راديو موسكو يذيع مقالا فى إحدى الصحف السوفيتية يقول : إن الإتحاد السوفيتى يكذّب وليس عنده النية للتهجير من روسيا وأن الأخبار التى تتناولها الوكالات أخبار طبعا مبالغ فيها .

(من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بميدان الجمهورية فى ٢١ فبراير ١٩٥٩)

• « إننا نقدر صداقة الشعب السوفيتى التى قامت على أساس عدم التدخل فى الشئون الداخلية ، وأن لكل دولة الحق فى إتباع النظام الاجتماعى والسياسى الذى تختاره والتعايش السلمى بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة ». ونحن نتمنى أن تستمر هذه الصداقة وتزدهر ، ولكننا لايمكن أن نقبل مساندة الأقلية الشيوعية فى بلادنا ضد إجماع الشعب العربى ، وتصميمه على اتباع سياسة وطنيه قومية مستقلة مبنية على عدم الإنحياز والحياد الإيجابى » .

« إن دفاع السيد خروشوف عن الشيوعيين فى بلدنا أمر لايمكن أن يقبله الشعب العربى ونحن لانتدخل فى الشئون الداخلية للاتحاد السوفيتى أو نساعد فئة منه ضد فئة أخرى ، وأن مساندة الشيوعيين فى بلدنا والدفاع عنهم يعتبر تحديا لإجماع الشعب فى جمهوريتنا .

ثم قال تعليقا على قول خروشوف (أن الرئيس عبد الناصر حينما يتحدث عن الشيوعية والشيوعيين فإنه يلجأ إلى لغة المستعمرين) « إن وعى شعبنا العربى بلغ من القوة بحيث يستطيع أن يعرف أن حملتنا على الشيوعيين العملاء تهدف إلى حماية وطننا من استعمار جديد... كما تهدف إلى بناء بلدنا على أساس وطنى قومى متحرر من الإستعمار والتبعية » .

وأضاف : « ولقد تقبلنا دائما مساعدة الاتحاد السوفيتى لجمهوريتنا ... ولكننا لايمكن أن نقبل مساندة فئة خارجة على إجماع الشعب العربى فى كفاحه من أجل استقلاله وبقائه خارج مناطق النفوذ ورفضه التبعية وأن مساندة السيد خروشوف للشيوعية فى بلدنا هو تحد لإرادة الشعب العربى » .

« إن الشيوعيين العرب كشفوا النقاب عن خططهم ضد الجمهورية العربية المتحدة التى اتبعت سياسة الحياد الايجابى ورفضت التبعية ، وقد وجدوا

من حكام العراق السند المؤيد لذلك ، ولكن الشعب العربى الذى كافح للتخلص من الاستعمار لا يمكن أن يقبل التبعية بأى حال ، لأنه صمم على أن يبقى مستقلا خارج مناطق النفوذ .

(من تعقيب الرئيس جمال عبد الناصر على رسالة خروشوف فى فبراير ١٩٥٩)

• هذا هو تاريخنا الطويل ضد الاستعمار وأعوان الاستعمار وضد مناطق النفوذ . . . كانت هناك فئة فى هذه الأوقات تحاول أن تستغل هذه الظروف ثم تحاول أن تستغل تعبئة الشعب العربى ضد الاستعمار لتنفث سمومها داخل الأمة العربية لتسيطر سيطرة جديدة ولتسود التبعية . . وكانت هذه الفئة تتمثل فى الشيوعيين العرب . . الذين آثروا أن يتنكروا لبلدهم ولقوميتهم . الذين رضوا أن يكونوا عملاء . . . والذين تسلحوا بالانتهازية والذين تسلحوا بمبدأ الغاية تبرر الواسطة ، وأرادوا أن يستغلوا كفاح الشعب العربى ليقيموا فى أرجاء الأمة العربية الدكتاتورية الشيوعية المبنية على الدماء .

« . . . كان الشعب يحارب الاحتلال ويهاجم قاعدة القنال . . . ولكن الشيوعيين العملاء الذين كانوا فى هذا الوقت يأخذون الوحى من خارج بلدهم ، وكانوا يتلقون التعليمات من الأحزاب الشيوعية فى الخارج ، كانوا يحاولون أن يستغلوا كفاح الشعب العربى فى مصر من أجل الحرية والديموقراطية ليقلبوها شيوعية حمراء تسيل فيها الدماء ، ويسيل فيها الارهاب » .

« وقد حاول الشيوعيون . . بكل وسيلة من الوسائل أن ينفذوا إلى الجيش فى مصر ، ولكننا كنا على بينة من أمرنا ، وكنا على بينة من طريقنا ، لم نقبل الشيوعية أبداً من قبل الثورة ، وبعد الثورة ، لأننا كنا نؤمن برسالة خالدة هى رسالة القومية العربية .

ولم نكن نستطيع أن نغير إيماننا ، وأن نؤمن بالالحاد والتبعية ، لأنه الشيوعية تؤمن بالالحاد وتؤمن بالتبعية واليوم . . ونحن نجابه الأمور فى المنطقة العربية . . لا يمكن أبداً أن نتجاهل تاريخنا . . لقد امتد حقد الشيوعيين العرب علينا فى مصر وجابهونا بحملات كثيرة ، ولكنا جابهناهم ولم نخضع لتهديدهم ولم نخضع لضغطهم .

« . . . وكما هزم الشيوعيون فى مصر ، هزموا أيضاً فى سوريا ، وكما كشفهم الشعب العربى فى مصر ، كشفهم الشعب العربى فى سوريا ، لأن الشعب العربى الذى تسلح بالوعى . . وآلى على نفسه أن يحقق رسالة القومية العربية استطاع فى أيام قلائل أن يهزم رسالة الالحاد والتبعية وقامت الوحدة بين الشعب المصرى شعب الجمهورية العربية المتحدة ، وكانت نتيجة الاستفتاء أيها الاخوة إجماع على الوحدة ، وهزيمة الشيوعيين الذين كانوا يحاربون هذه الوحدة .

(من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى دمشق فى ١٥ مارس ١٩٥٩)

- إذا قام خروشوف اليوم ليدافع عن فئة قليلة من أبناء بلدنا خرجوا على إجماع وطننا ، وقال أنه يدافع عن الشيوعية كمبدأ فإننا نقول له أننا لا نعتبر هذا دفاعا عن الشيوعية كمبدأ ، ولكن هذا تدخل فى شئوننا وإننا لا نتدخل فى شئون الاتحاد السوفيتى ، ولا ننصر فئة من أبناء روسيا على فئة أخرى من أبناء الاتحاد السوفيتى .

أن خروشوف حر فى الإتحاد السوفيتى يعمل فيه كما يشاء ويدافع عنه كما يشاء ، ونحن أيضا أحرار فى بلدنا لا نقبل التبعية والاستعمار . . آثرنا أن تكون سياستنا سياسة مستقلة .

(من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى دمشق فى ٢١ مارس ١٩٥٩)

• التقى الشيوعيون العملاء مع الإستعمار البريطانى فى محاربة القومية العربية لأن ، كلا منهم يعتقد أن العقبة الكبرى التى تقف فى سبيل دعوته إنما هى إيمان الشعب العربى بالقومية العربية .

(من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى دمشق فى ٢١ مارس ١٩٥٩)

• لماذا غير الاتحاد السوفيتى موقفة . . نحن لم نغير سياستنا منذ أول يوم كانت سياستنا هى سياسة الحياد وعدم الانحياز ، وأن تكون مشيئتنا وأرادتنا ملكا لنا ، ولكن الاتحاد السوفيتى بعد أن قامت ثورة العراق وبعد أن استطاع الحزب الشيوعى العراقى من أن يدعم وجوده وكيانه. غير سياسته وألقى بكل تأييده مع الأحزاب الشيوعية .

(من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى الكلية الحربية فى ٢٥ أبريل ١٩٥٩)

• لابد أن نذكر الدولة التى قبلت أن تساعدنا فى هذا العمل . . . ساعدتنا بقرض من أجل البناء ثم ساعدتنا بمعونة فنية من أجل البناء ، تلك الدولة هى الاتحاد السوفيتى وأن مساعدة الاتحاد السوفيتى لنا بإعطائنا قرض بناء المرحلة الأولى للسد العالى والمساعدة الفنية فى بناء السد العالى إنما كانت مساعدة خالصة غير مشروطة . . مساعدة تمليها الصداقة . . وتمليها المودة التى تجمع بين الشعب العربى والشعب السوفيتى . . . وكانت مساعدته لنا صداقة إلى أبعد الحدود لا قيد عليها ولا شرط بل لاعنف ولا إرهاق

(من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى أسوان فى ٩ يناير ١٩٦٠)

• إننا وقعنا إتفاقية للتعاون الإقتصادى مع الاتحاد السوفيتى فى أول عام ١٩٥٨ وعقدنا مع الاتحاد السوفيتى قرضا بمبلغ يقرب من ٦٥ مليون جنيه فى يناير ١٩٥٨ من أجل المساعدة فى التصنيع والتنمية الإقتصادية واليوم نفتتح أول مصنع من ثمار هذه الإتفاقية ، فقد تم الاتفاق مع الاتحاد السوفيتى على إنشاء مصانع قيمتها ٤٠ مليون جنيه من يناير ٥٨

حتى الآن ، وبهذه المناسبة أشكر الاتحاد السوفيتى الذى تعاون معنا من أجل تنمية إقتصادنا ، والذى سار فى تطبيق الإتفاقية الاقتصادية بأمانة وصدق رغم الاختلاف الظاهر والواضح لنا فى المبادىء الاجتماعية ورغم سحب الخلاف التى خيمت على علاقاتنا بعض الوقت فإن الإتفاقية الإقتصادية لم تتأثر بل إننا لم نسمع كلمة واحدة من الإتحاد السوفيتى تهدد بالمقاطعة الاقتصادية أو تعيرنا بأنهم يعطوننا معاونة اقتصادية أو قرضا من أجل تصنيع بلدنا ، لحق على وأنا أفتتح هذا المصنع أن أعبر عن تقديرنا لهذه الطريقة النبيلة والسياسة الحكيمة التى اتبعت من الاتحاد السوفيتى فى هذا الوقت .

(من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى دمياط فى ٨ مايو ١٩٦٠)

• لقد كان سرورنا عظيما أن يدنا الممدودة بالرغبة فى التعاون مع الاتحاد السوفيتى لقيت استجابة حارة إستطعنا بها إقامة علاقات من الصداقة الوثيقة المتكافئة بين الشعب العربى وبين شعوب الاتحاد السوفيتى ، هذه الصداقة التى أكدتها تجارب التعاون الاقتصادى الوثيق الذى بلغ ذروته باشتراك الاتحاد السوفيتى معنا فى بناء السد العالى ، كما أكدتها وقفة الاتحاد السوفيتى الحازمة تأييدا لنا فى معركتنا الكبرى ضد الاستعمار .

(من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى جلسة إفتتاح المؤتمر العام للاتحاد القومى للجمهورية العربية المتحدة فى ٩ يولية ١٩٦٠)

• اجتمعت مرتين بنيكيتا خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى ولقد أتيح لنا خلال هذين الاجتماعين ، أن نجدد صداقة قديمة بيننا قائمة على الاحترام المتبادل من جانب كل منا لآراء الآخر ومعتقداته .

ولقد كان الاجتماع الأول بيننا مخصصا للموقف الدولى وتطوراته والاحتمالات التى يمكن أن تسفر عن إجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة أما الاجتماع الثانى بيننا فقد كان المحور الرئيسى له هو العلاقات المباشرة ما بين الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة .

وجريا على أساس المصارحة الذى نتخذه قاعدة فى علاقاتنا الدولية ، فلقد تعرضنا ، وكان يجب أن نتعرض ، للأزمة التى شابت العلاقات ما بين بلدينا خلال عام ١٩٥٩ ، ومع أن هذه الأزمة قد انتهت بمحاولة كل منا تفهم موقف الآخر ، فلقد كان لابد من التعرض لتطورات تلك الأزمة بالحديث الصريح ، تمكينا لأساس الصداقة بين بلدينا ، وهو أساس نبذل جهدنا لتدعيمه وتقويته ، إيمانا منا بأن علاقات الصداقة التى تربطنا بالاتحاد السوفيتى ، فضلا عما تمثله كنموذج ممتاز للعلاقات بين الدول مهما اختلفت معايير قوتها ، ومهما إختلفت النظم الاجتماعية فى كل منها ، فإن هذه العلاقات فى حد ذاتها من أبرز معالم السياسة الإستقلالية للجمهورية العربية المتحدة .

(من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى مجلس الأمة عن رحلته إلى الأمم المتحدة فى ١٢ أكتوبر ١٩٦٠)

• فلقد كان إرتياحى عميقا للروح الكبرى التى أملت خطابكم والتى جاءت واضحة فى دلالتها على رغبتكم فى تقوية العلاقات بين بلدينا وتدعيمها ، كما هى واضحة على إهتمامكم بمشاكلنا وعلى رغبتكم الصادقة فى فى إنجاح سبل التعاون الخلاق بيننا هذا التعاون الذى أجد رمزاً لقيمته أو لعمقه مثل هذا الجهد الكبير الذى يبذله الاتحاد السوفيتى لمساعدتنا على بناء سد أسوان العالى . الذى يكاد فى الوقت نفسه أن يكون صرحا شامخا فى قلب أفريقيا ، يرمز لكل الأعمال الهائلة التى

يمكن تحقيقها والوصول إليها بالتعاون الحر المتكافىء بين الأطراف المؤمنة بضرورة تطوير الحياة الإنسانية وتحريرها من التخلف ومن الاستغلال فى نفس الوقت على أساس أن هذا وحده هو الطريق إلى الحرية والسلام .

وأحب أن أسجل هنا إمتنانى العميق لاهتمامكم الشخصى . وعنايتكم الدقيقة بوفاء الاتحاد السوفييتى لكل الالتزامات التى اخذها على عاتقه طبقا للاتفاق الخاص باشتراكه فى بناء سد أسوان ، وأن شعبنا ليلاحظ بكل عرفان هذا الاهتمام وهذه العناية ويثق دائما أنه منهما سوف تنبثق احتمالات لا حدود لها طالبا النجاح .

(من رد الرئيس جمال عبد الناصر على الرئيس نيكيتا خروشوف فى ١٥ يناير ١٩٦٢) .

● إذا ما انتقلت من التعميم إلى التخصيص فانى أستطيع أن أصف علاقاتنا بالكتلة الشرقية بأنها علاقات طيبة ، فان التعاون وثيق بيننا وبين الاتحاد السوفيتى خصوصا فى النواحى الاقتصادية ، كذلك فإن علاقاتنا ودية مع بقية دول الكتلة الشرقية .

(من حديث بين الرئيس جمال عبد الناصر وجورج فوشيه مندوب التليفزيون السويسرى فى ٢٨ يناير ١٩٦٢) .

● « وبعد أحد عشر يوما من الهجوم الاسرائيلى قدم الروس مذكرتهم التى ذكروا فيها أنه من الجائز أن يقوموا بحرب ذرية خاطفة مالم تسحب كل من بريطانيا وفرنسا قواتها من قناة السويس وقبل البريطانيون والفرنسيون وقف إطلاق النار، وقد انسحبت القوات البريطانية والفرنسية بلا قيد أو شرط »

(من حديث الرئيس جمال عبد الناصر مع د. و مورجان مندوب صحيفة الصنداى تايمز الانجليزية فى يونيو ١٩٦٢)

• «بنشكر الشعب السوفييتى، على المعونة الكبيرة اللى أدهالنا ، وعاونا على بناء السد العالى، بعد المعركة الطويلة اللى دخلناها، بنشكر السيد نيكيتا خروشوف على استجابته وأعطانا قرض من أجل بناء السد العالى وقرض سخى جدا ، والآلات اللى احنا أخذناها من الاتحاد السوفييتى ، وهذا القرض، واللى بتيجى دلوقتى من أربع سنين ، وما دفعناش من ثمنها حاجة لغاية دلوقتى ، حانبتدى ندفع ثمنها بعد ما تتم المرحلة الأولى بسنة يعنى تقريبا فى آخر سنة ١٩٦٥ .

وهذه المعاملة معاملة سخية جدا ، تستحق منا عليها كل شكر ، وكل تقدير أيضا ، لنشكرهم على أنهم دخلوا وادونا قرض ثانى ١٠٠ مليون جنيه من أجل المرحلة الثانية للسد العالى اللى حيبدأ فيها العمل السنة الجاية ١٩٦٤ اللى هى حتكمل السد العالى ، وحنعمل ١٢ تربين كهرباء حتدينا ١٠ مليارات كيلوات ساعة من الكهرباء .

واحنا بنحيى الفنيين والعمال السوفييتيين اللى هم موجودين هنا فى طقس يختلف كثيرا عن بلادهم . . . والحقيقة احنا بنقدر فيهم قوة التحمل ، ونقدر لهم هذه الروح، ونقدر لهم هذا الاحتمال من أجل المعاونه ومن أجل المساعدة فى بناء السد العالى ، ولكننا نقول لهم أن بناء السد العالى .. سيكون على مر الزمن وعلى مر التاريخ رمز الصداقة العربية السوفيتية . »

(من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى أسوان بمناسبة البدء فى بناء جسم السد العالى فى ٩ يناير ١٩٦٣) .

• « إن الصداقة التى تربط بين شعوبنا لم تكن صداقة المصادفة ولا صداقة الطريق السهل . أن القوى الاستعمارية أرادت دائما أن تضع الحواجز على طريقنا والعراقيل ، وحينما ملكت شعوبنا ارادتها فانها شقت طريقها إلى اللقاء مع شعوبكم متخطية كل هذه الحوافز والعراقيل ثم أكدت

التجارب واحدة بعد واحدة أن هناك مجالات واسعة ورائعة تنتظر هذه الصداقة خدمة لشعوبنا وخدمة للإنسانية .

ولقد كانت مقدمة لصداقتنا الوطيدة الوثيقة هى رفض الشعوب العربية بصلابة وإصرار أن تسمح لأراضيها بأن تكون قواعد لتهديد الإتحاد السوفييتى وحكومته ، وفى هذا السبيل فإن الشعب المصرى وقف وقفة عنيدة إلى جانب مبادئه التى ترفض قبول السيطرة الأجنبية وتنادى بعدم الانحياز وتؤمن بأن البشرية تستطيع أن تصرف جهودها وإمكانياتها فيما هو أجدى من التهديد بالدمار الذرى والوقوف بالعالم دائما على حافة الهاوية .

بعد هذه المقدمة التى فتحت أبواب التعاون بيننا على مداها نذكر اليوم بالتقدير مواقف حاسمة سوف تظل شعوبنا إلى الأبد تذكر دور الاتحاد السوفييتى فيها ولا تنساه .

أولا : الوقوف إلى جانب شعب مصر فى تصميمه على كسر احتكار السلاح ، وكانت القوى الاستعمارية قد أنشأت وسط الأرض العربية قاعدة عدوانية تقطع وحدتها وتهدد أمنها وتحولت هذه القاعدة العدوانية فى إسرائيل إلى قلعة مدججة بالسلاح . فى حين كانت شعوب الأمة العربية لا تجد ما تدافع عن نفسها به .

ثانيا : الوقوف إلى جانب شعب مصر فى تصديه للغزاة المستعمرين الذين أرادوا اقتحام أجوائه وشواطئه وينتزع منه قناته التى بناها بدمه وأرادوا استردادها بحقه .

ثالثا : الوقوف إلى جانب شعب مصر فى مقاومته للحصار الاقتصادى والحرب النفسية التى بلغت مداها فى المنطقة بتشديد ضغط حلف بغداد على سوريا سنة ١٩٥٧ .

رابعا : الوقوف إلى جانب شعب مصر فى جهده البطولى ببناء وطنه اقتصاديا

ومعاونته فى إقامة صناعته ثم معاونته فى بناء السد العالى العظيم الذى أصبح رمزا للبناء ورمزا للحرية .

وفى نفس الوقت وبنمو الصداقة بيننا وزيادة تعميقها بالتجاوب فإن التعاون بيننا استطاع أن يمد أثره إلى خارج محيط العلاقات المباشرة بيننا ويتصل إيجابيا بالمجهود الإنسانى كله من أجل التقدم والسلام .

لقد التقت جهودنا فى ميادين مكافحة الاستعمار بكل أشكاله ،وفى مجالات تأييد الحركات التحررية فى آسيا وأمريكا اللاتينية ، ومن أجل نزع السلاح ، وتصفية القواعد العسكرية الأجنبية ،وحظر استعمال الأسلحة النووية،ومكافحة التمييز العنصرى ، وتمكين التعايش السلمى بين الشعوب من أن يؤدى دوره فى تحريك طاقات الخلق والإبداع لدى الإنسان وتوجيهها لخدمة الحياة ، وليس من شك أن جهودنا المشتركة ترى من حولها الكثير من النتائج المشجعة التى تدعو إلى بذل مزيد من الجهود .

(من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى حفل العشاء الذى أقامه تكريما للرئيس نيكيتا خرشوف فى ٩ مايو ١٩٦٤).

• « إن ثورتكم تلتقى مع الثورة السوفيتية ، بل أن الثورات الأصيلة كلها تلتقى مهما كان الخلاف بينها فى التفاصيل » .

إن هناك نقطتين بارزتين فى كل ثورة .

أولا : إن الثورة فى منطقها مهما ذهب الفلاسفة فى تحديد الدوافع والأسباب هى ارتفاع شعب من الشعوب فوق الأثقال والأغلال التى تقيده وتصميمه بالحزم والعنف على أن يقفز فوقهما إلى وضع يمكن جماهيره الحرة من أن تعمل بغير عوائق وتجند طاقاتها الكاملة لبناء مجتمع جديد .

ثانيا : إن الثورة فى هدفها مهما تنوعت الإجتهادات فى حياة أفضل بالنسبة للجماهير العاملة . وليست الشعارات هى الهدف وإنما الهدف هو تطويره

المستويات الاقتصادية والثقافية للشعوب وتأمينها ضد كل ضغوط مهما كان مصدرها خصوصا فى هذا العصر الذى يشهد ثورة فى وسائل المواصلات سقطت بسببها الحدود التقليدية بين البلاد المختلفة وأصبحت الكرة الأرضية بأسرها ميدانا للتأثيرات المتضاربة .

أردت أن أقدم لكم صديقا لأمة صديقة لأمتكم ، ورئيسا لحكومة صديقة لحكومتكم ، قائدا لثورة صديقة لثورتكم الاشتراكية ... إن صداقة الثوار أقوى الصداقات . . . وصداقة الثورات الأصيلة حتمية تاريخية بحكم النضال وبحكم الآمال ،

(من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى مجلس الأمة أثناء تقديمه الرئيس نيكيتا خروشوف لأعضاء المجلس فى ١١ مايو ١٩٦٤) .

• « لا بد أن أشير بالتحية إلى موقف الاتحاد السوفييتى فى مناصرة مصر ، وتأييدها بالفعل والعمل ، إن الإتحاد السوفييتى وقف مع مقاومتها ضد الغزو والعدوان ، ولم يكتف بذلك وإنما مد تأييده بعدها ، إلى آمالنا وخططنا فى بناء السد العالى وقدم لنا القروض والخبرة الفنية اللازمة لمساعدتنا فى بناء السد العالى بمرحلتيه .

إن الاتحاد السوفييتى وقع معنا اتفاقيتين لقرضين قيمتهما معا ، مائة مليون جنيه ، ثلثها للمرحلة الأولى التى تم تنفيذها اليوم ، والثلثان للمرحلة الثانية التى بدأ تنفيذ بعض أعمالها بالفعل مع أعمال المرحلة الأولى ليتم السد كله بمرحلتيه سنة ١٩٦٨ محققا كل نتائجه من الأرض الجديدة ، ومن طاقة الكهرباء ، ومن عملية التطوير الضخمة والعميقة التى تترتب عليها أبعادها الاقتصادية والاجتماعية .

لم تكن المسألة مسألة اتفاقيات ولكن روح تنفيذ الاتفاقيات كانت أهم من نصوصها . إن سنوات طويلة من العمل المشترك قد أقامت صرحا

للصداقة العربية السوفيتية لا يقل عن صرح السد العالى قيمة ولا رمزا .
إن إخوة العمال والمهندسين العرب والسوفيت ماثلة فى كل تفاصيل هذا العمل الذى هو بغير جدال من أضخم الأعمال الإنسانية فى عصرنا الحديث وأشهرها على الأطلاق وأبعدها صيتا فى الدور الذى لعبه فى تاريخ العالم الحديث .

أيها الصديق العزيز نيكيتا خروشوف :

إن شعب الجمهورية العربية المتحدة لن ينسى على الإطلاق ومهما طال الزمن الجهد الذى بذلته شخصيا فى عملية بناء السد العالى . . . لقد توليت بنفسك أكثر من مرحلة من مراحل الاتفاق على إقامته وكانت حماستك له دائما قوة لها أثرها بغير جدال فيما نراه من حدث الآن .

إن شعب الجمهورية العربية المتحدة لن ينسى على الإطلاق ومهما طال الزمن التعاون الودى الذى قدمته حكومة الاتحاد السوفييتى فى مراحل الاتفاق والتنفيذ .

إن شعب الجمهورية العربية المتحدة لن ينسى على الإطلاق ومهما طال الزمن العمل الخلاق الذى قام به المهندسون والعمال السوفييت فى معاهد الدراسة والأبحاث فى الاتحاد السوفييتى ، وفى المصانع السوفيتية التى كلفت بتنفيذ الآلات اللازمة للبناء .

إن شعب الجمهورية العربية المتحدة لن ينسى على الأطلاق ومهما طال الزمن روح النضال والمثابرة والصبر التى أبداها المهندسون والعمال السوفييت الذين شاركونا على الموقع مع إخوتهم من المصريين فى عملية البناء .

إن هؤلاء الرجال أدوا عملا باهرا فى ظروف طبيعية تختلف عما ألفوا . .
كذلك فإن زوجاتهم وأطفالهم الذين صحبوهم إلى هنا فى أسوان وعاشوا

معهم عملهم وظروف هـذا العمل هم شركاء الرجال العاملين بالحق في تقديرنا .

إنكم جميعا أيها الصديق العزيز كنتم معنا في أعز أحلامنا . وكنتم معنا في أكبر جهد ماهر صنعه نضالنا من أجل تطوير الحياة ، إنكم بهذا الموقف أقمتم على أرض العرب . . . وعلى أرض إفريقيا جسرا للصداقة بين الشعوب والقارات ، وأكدتم تضامن الثورات الأصيلة المكافحة كلها من أجل حياة أفضل لجماهير الشعوب .

(من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر من موقع السد العالى أثناء الاحتفال بتحويل مجرى النيل الخالد في ١٤ مايو ١٩٦٤) .

• « شكرا لشعوب الاتحاد السوفييتي وللرئيس نيكيتا خروشوف على مساعدتهم النزيهة الشريفة الغير مشروطة ، التي بنت وذعمت الصداقة العربية السوفيتية ، وأكرر له مرة أخرى أننا لن ننسى أبدا ، والشعب العربي شعب وفي . . لن ننسى هذه المعونة الشريفة النزيهة . »

(من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى حفل توزيع الأوسمة والنياشين على العاملين بالسد العالى في ١٦ مايو ١٩٦٤) .

• « إن الصداقة العربية السوفيتية تجاوزت بكثير كل الإعتبارات المؤقته . . . أى أن صداقتنا (بالسوفيت) لا يمكن أن يكون مصدرها أنهم مصدر السلاح الذى نشتريه ، أو أنهم مصدر العون السياسى ضد الاستعمار والعون الاقتصادى ضد حصاره ، أو ضد التخلف الذى فرض علينا ».

إن الصداقة تجاوزت هـذه الاعتبارات . . . إن الصداقة العربية السوفيتية . . . هى فى حد ذاتها الآن هدف يسعى إليه . . . وغاية تبذل من أجلها الجهود . . . هذا وبصرف النظر عن السلاح وعن العون

السياسي أو الاقتصادي . . . نحن وإياهم بعد ذلك كله وقبله شركاء في بناء عالم السلام المقبل . . . حيث لا استغلال ولا تخلف .

(من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر قبل سفر الرئيس خروشوف في ٢٤ مايو ١٩٦٤) .

- في علاقاتنا : طبعاً مع روسيا علاقات طيبة ، والناس يستحقوا مني أن أشكرهم لأن احنا أول ما طلبنا منهم قمح بعتوا لنا هذا القمح بالرغم من حاجتهم إلى القمح ، حولوا القمح اللي بيشتروه إلينا بدون ما نتفق وفي هذا احنا بنشكرهم شكر من قلبنا .

(من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بمناسبة عيد الثورة الثالث عشر في ٢٢ يوليو ١٩٦٥) .

- إن علاقتنا بالاتحاد السوفييتي تزداد — بالصداقة المتكافئة — قوة وبالتعاون المثمر خصوبة

وقد لمست بنفسي خلال زيارتي الأخيرة للاتحاد السوفييتي مدى الجهود الجبارة التي تبذلها شعوبه المحبة للسلام . . . لكي تبني تقدمها الإنساني العظيم الذي يكرمه أن هذه الشعوب المناضلة لا تعزل قضية تقدمها عن قضية التقدم العالمي . . . كما أنها بوزنها الكبير تقدم خدمة ضخمة لقضية التحرر الوطني . .

ولقد لمست أيضاً ـ وذلك هام لنا ـ الصداقة والاحترام والحب التي تحتفظ بها الشعوب السوفيتية للشعب المصري ولنضاله ولمبادئه . . .

ولقد كانت هذه الزيارة فرصة لتجديد الصلات المباشرة مع قادة الاتحاد السوفييتي الذين وجدت منهم كل رغبة في وضع العلاقات العربية السوفيتية حيث ينبغي لها أن تكون . وإذا جاز لي أن أتحدث عن النتائج العملية لهذه الزيارة . حتى بالمقياس المادي فإني أقول من غير حاجة إلى الدخول

فى تفاصيل ـ محادثاتنا ـ أنها أسفرت فى بعض ما تعرضت له ـ عن تفاهم يوفر على الشعب المصرى مالا يقل عن مائتى مليون جنيه ...

ومع ذلك . . . فلست أعتبر ذلك مقياسا صحيحا للصداقة العربية ـ السوفيتية . . إنما المقياس الحق هو روح الصداقة التى تجعل التفاهم المشترك ... والتقدير المتبادل ... نقطة بداية فى كل حديث .

(من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى إفتتاح دور الانعقاد والثالث لمجلس الأمة فى ٢٥ نوفمبر ١٩٦٥) .

الاتحاد السوفييتى وقف معانا . . أيدنا سياسيا وساعدنا اقتصاديا ، وعمل على تقوية قواتنا المسلحة . . . رئيس الاتحاد السوفييتى . الرئيس بودجورنى ، جالنا هنا فى مصر ، واتكلم معانا . وقال لنا بوضوح إن الاتحاد السوفيتى يقف إلى جانبنا ، وأنا قلت له بوضوح : احنا مش عايزين الاتحاد السوفيتى يحارب بالنيابة عننا . . . احنا نقدر نحارب ، واحنا إذا كنا خسرنا معركة فأنا بفكرك بروسيا لما هجم عليهم هتلر ، خسرتم كذا معركة . ـ ولكن أوعى تفتكر أبدا أن الشعب المصرى أو الشعب العربى عايز الجيش السوفييتى ييجى يحارب بالنيابة عنا . . احنا عندنا رجالة تعرف تموت ، ورجالة تعرف تستبسل وعندنا فى تاريخنا رجالة ماتوا ، وعندنا رجالة مستعدين يموتوا .

طبعا قلت هذا الكلام لأن الغرب كان عمل حملة على روسيا ، وقال إن العرب زعلانين لان الاتحاد السوفييتى مبعتلهمش قوات سوفيتية ... ما أظنش إن احنا فكرنا إن تيجى القوات السوفيتيـة تحـارب بالنيابة عننا .

(من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بمناسبة العيد الخامس عشر لثورة ٢٣ يوليو فى ٢٣ يوليو ١٩٦٧) .

• ثم جاء المشروع السوفييتى الأخير الذى كان معقولا ومتوازنا ومن الواضح أن الاتحاد السوفييتى أحسن صنعا بتقديمه لأنه كان أداة ضغط على الأقل نجحت فى إعطاء تقسيمات لمشروع القرار البريطانى الذى أقره مجلس الأمن .

(من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى الجلسة الافتتاحية لدور الانعقاد العادى الخامس لمجلس الأمة فى ٢٣ نوفمبر ١٩٦٧) .

والواقع أن هذا العرض لتطور العلاقات العربية السوفيتية يوضح الدور الذى قامت به هذه العلاقات الوطيدة فى مواجهة قوى الاستعمار العالمى وفى مقدمتها الإستعمار الصهيونى .

ولم يكن موقف التأييد للقضايا العربية ومواجهة العدوان الصهيونى قاصرا على الاتحاد السوفييتى فحسب ولكن كان هذا الموقف يمتد إلى الدول الاشتراكية فى مجموعها باستثناء اصوات خفتت إلى جانب الحق والعدل ، ولم يكن تأييدها للعدوان الصهيونى إلا بفعل عوامل ضغط صهيونية داخل الحزب الشيوعى بها .

ولا شك أن المنحنى الصاعد لتأييد المعسكر الاشتراكى للقضايا العربية فى مختلف المجالات يعد أحد عناصر التحدى الرئيسية للصهيونية العالمية .

الفصل التاسع

الصهيونية فى آسيا وأفريقيا بين التسلل والوجود

نشطت اسرائيل فى كل من آسيا وأفريقيا فى السنوات الأخيرة بصورة تجعل الباحث لا يتحدث عن واقع اسرائيل فى هاتين القارتين ، على أنه لون من التسلل ، بل على أنه لون من الوجود المعترف به من جانب كثير من دول إفريقيا وآسيا .

ولعل اهتمام اسرائيل والصهيونية العالمية بآسيا وإفريقيا ومحاولات التقرب لها والتسلل إليها وإيجاد علاقات وطيدة معها فى مختلف المجالات يرجع إلى أن معظم مناطق آسيا وأفريقيا لا زالت مناطق متخلفة يمكن الحصول منها على الخامات ، واعتبارها أسواقاً لمنتجات الصناعة الاسرائيلية الناشئة ، بأسعار مناسبة فى كلتا الحالتين ، ودعم العلاقات الدبلوماسية معها للاستفادة بأصواتها فى المجال الدولى.

وقد كان يبرر ذلك شعور اسرائيل بأن الخناق مضيق عليها إذ تحيط بها الدول العربية من كل جانب ، وتمارس بالنسبة لها لوناً من المقاطعة الاقتصادية(١) وهذا ما دعا « مردخاى كريتين » إلى القول بأن « ثمة مميزات واضحة اسمى اسرائيل من أجل كسب أصدقاء لها فى وسط الكتلة الأفروآسيوية المتزايدة الأهمية . فبسميها ذلك تكسر اسرائيل طوق العزلة الاقتصادية والسياسة التى تعانى منها فى الشرق الأوسط » .

ويعتبر الحافز الاقتصادى أهم الحوافز التى تدفع اسرائيل إلى دخول آسيا

---

(١) وإن كانت هذه المقاطعة لم تؤد دورها الفعال لوجود ثغرات على بعض الحدود من جانب عملاء اسرائيليين.

وإفريقيا ، وتوطيد علاقاتها بها ، تمهيداً لتحقيق الهدف السياسى الأكبر وهو وزن اسرائيل فى هاتين القارتين ومن ثم فى المجال الدولى .

ولهذا لجأت إسرائيل إلى أسلوب المساعدات والمعونات الفنية والاقتصادية للدول الأفرو — آسيوية ، وفى هذا يقول الكاتب الصهيونى « ناداف سفران » :

« إن فكرة استخدام المعونة الفنية والتعاون الاقتصادى من قبل اسرائيل لتبرير وتدعيم العلاقات الدبلوماسية ، ترجمت عملياً لاول مرة مع بورما . وأشكال التعاون التى تبلورت مع التطبيق العملى للفكرة عممت بعد عام ١٩٥٧ فشملت بلدانا عديدة أخرى » .

ويقول ميشيل بريشر :

« يعتبر الاسرائيليون العالم العربى حاجزاً لابد من تجاوزه سياسياً واقتصادياً إذا ما أرادوا التخلص من عزلتهم و « تسلق الحاجز » إلى إفريقيا وآسيا هو الهدف الحيوى والأكبر إلحاحا لتقديم المساعدة الفنية لدول القارتين » .

والواقع أن هناك عدة ظواهر يجب إبرازها فى مجال علاقات اسرائيل بكل من آسيا وأفريقيا تدل على تكالب اسرائيل على إقامة هذه العلاقات بأى صورة من الصور :

أولها : أن الوجود الاسرائيلى فى آسيا وأفريقيا أبرز من الوجود الأفرو ـ آسيوى فى اسرائيل يدل على ذلك عدد السفارات أو المفوضيات أو القنصليات الإسرائيلية فى أفريقيا وآسيا ، ودرجات التمثيل الأفرو ـ آسيوية المختلفة فى اسرائيل .

إذ بلغ عدد الدول الأسيوية التى لإسرائيل فيها تمثيل دبلوماسى فى صورة من الصور ثلاثة عشر دولة (من ٢٥ دولة عدا الدول العربية) .

وبلغ عدد الدول الآسيويه الممثلة فى اسرائيل ثمانى دول فقط .

أما فى إفريقيا ، فقد بلغ عدد الدول الأفريقية التى لإسرائيل فيها تمثيل

دبلوماسى فى صورة من الصور ثمانية وعشرين دولة (من ٣١ دولة) .

وبلغ عدد الدول الأفريقية الممثلة فى اسرائيل إحدى عشر دولة .

ثانيها : أن ثمة نجاحا نسبياً لإسرائيل فى تسللها إلى إفريقيا أكثر من نجاحها فى التسلل إلى آسيا وهو ما تنطق به المقارنة السابقة ، ولعل وجود سبع بعثات إفريقية فى القدس المحتلة فى الوقت الذى لا توجد فيه بعثة آسيوية واحدة يؤكد هذه الصورة (١) .

ويذهب ج . ه . جانس مراسل صحيفة ذا سيسمان الهندية فى منطقة غرب آسيا ومؤلف كتاب « أفرآسيا وعدم الانحياز » .(٢) إلى أن غرس اسرائيل فى داخل قارة آسيا هو فعل شاذ فريد فى نوعه . بحيث أن تحليله لايمكن أن يدخل فى نطاق دائرة السياسة وإنما يدخل فقط فى نطاق علم وظائف أعضاء الجسم . فعندما يغرس جسم غريب ، مثل اسرائيل فى داخل جسم حى كبير مثل القارة الآسيوية فإنه يمكن أن يحدث واحد من ثلاثة أشياء :

أما أن يزدرد الكائن الكبير الجسم الغريب ويمتصه بحيث يتحلل هذا الأخير وينتشر فى الكيان الأكبر ، ويبدو الآن أن آسيا غير راغبة فى ازدراد اسرائيل وامتصاصها كما أن اسرائيل ترفض أن تتحلل وتنتشر .

وأما أن يتمكن الجسم الكبير من أن يلفظ الجسم الغريب وحتى الآن فإن آسيا لا تملك القدرة على الإلقاء بدولة اسرائيل بعيداً .

وأما أن يظل الجسم الغريب مغروساً كأداة للتهييج المستمر ومصدراً للمضاعفات ، وهذا هوالوضع الحالى لاسرائيل خصوصاً لأن هذا الجسم الغريب يزداد فى الحجم ويزداد مع وجوده احتمال حدوث مضاعفات تتمثل فى الحرب .

---

(١) التسلل الاسرائيلى فى آسيا (الهند واسرائيل) أسعد عبد الرحمن من دراسات مركز ابحاث منظمة التحرير الفلسطينية .

(٢) جريدة الاهرام القاهرية فى ١٩٦٧/١١/٧

والسبب الرئيسى فى أن اسرائيل ستجد دائماً من ناحية آسيا علاقات فاترة ، إن لم يكن شعوراً معادياً ، هو أن اسرائيل جسم غريب على القارة التى تقع فيها ، فان اسرائيل لا تختلف فى كل شىء عن الدول العربية المتاخمة لها فحسب وإنما هى تختلف أيضاً فى كل شىء عن القارة الآسيوية ككل .

وبصورة عامة فإن صورة الحياة داخل اسرائيل صورة متناقضة إذ أنهـــا لاتعبر عن أن اسرائيل آسيوية فالتفرقة العنصرية السائدة فى المجتمع الاسرائيلى تركز على تمييز الاوربيين على الإسيويين والافريقيين فالطبقة الحاكمة تنتمى إلى بلاد أوربية وتتسم بالسمات الأوربية ويسيطر عليها الذوق الأوربى وطريقة التفكير الأوربية .

وتلعب إسرائيل دوراً ذا وجهين ، إذ عندما يتحدث مسئولوها إلى شخصيات آسيوية يركزون على أن نصف مجموع أهالى اسرائيل ينحدرون من أصل آسيوى أو من دول شمال أفريقيا ، وعندما يتحدثون إلى شخصيات أوربية ، فإنهم يركزون على تخوفهم من أن تنقلب اسرائيل ذات الأغلبية الأوربية إلى دولة مستشرقة أو مشابهة لمنطقة غرب آسيا فى طريقة حياتها وتفكيرها ، ومن ثم يكون هذا المنطق منطلقا للدعوة إلى عدم الاندماج مع باقى السكان أو الاندماج فى الاطار الفلسطينى العربى ، إذ أن الاندماج فى عقيدة الصهيونية إثم لايقل عن إثم اندماج الاقليات اليهودية فى مختلف بلاد العالم مع باقى الشعوب التى يعيشون معها .

ولعل هذا تفكير يدفع المسئولين الإسرائيليين وعلى رأسهم بن جوريون وأشكول إلى التركيز فى المرحلة الراهنة التى تعيشها اسرائيل على ضرورة الحد من الهجرة الافرو — آسيوية وذلك فى الواقع له أسبابه ودوافعه :

١ — أن بقاء اليهود الافرآسيويين فى بلادهم يمكن لإسرائيل من التسلل إلى درجة الوجود الكامل فى الدول الأفريقية والآسيوية حتى تتمكن اسرائيل

عن طريقهم من استكمال مخططها فى السيطرة على مقدرات هذه الدول باعتبارها مصدراً غنيا للخامات ومتنفسا لايمكن إنكار أهميته بالنسبة لمنتجات اسرائيل من السلع الاستهلاكية التى تنتجها .

ولاشك أن العاطفة اليهودية لهؤلاء اليهود الذين يعيشون فى داخل دول آسيا وإفريقيا تعتبر عاملا مساعداً لتسلل الصهيونية ، طالما أن تلك العناصر اليهودية بعيدة عن واقع اسرائيل الراهن .

٢ — أن الحد من هجرة العناصر الأفروآسيوية إلى داخل اسرائيل يحقق مخطط الصهيونية فى رفع نسبة الأوربيين داخل اسرائيل .

واستكمالا لهذا اللون من التفكير فان ساسة اسرائيل يركزون فى الوقت الحاضر على اعتبار أوروبا وأمريكا الشمالية المصدر الاستراتيجى الوحيد للمهاجرين اليهود إلى اسرائيل .

ولسنا نود هنا الرجوع إلى موقف الدول الآسيوية والأفريقية فى الأمم المتحدة من قرار غرس اسرائيل فى آسيا ، موقفها المعارض بطبيعة الحال كذلك كان موقف اسرائيل بالنسبة لقضايا الدول الأفروآسيوية التى عرضت ونوقشت فى الأمم المتحدة ، فلقد كانت اسرائيل على طول الخط تسير فى ركب القوى الاستعمارية ضد مصالح الدول الأفريقية والآسيوية .

كذلك كان موقف الدول الأفريقية والآسيوية من اسرائيل إذ رفضت عضوية اسرائيل لأسرة الدول الأفريقية الآسيوية فى مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ ومن ذلك التاريخ ركزت اسرائيل لتنفيذ مخططها الهادف إلى التهوين من قيمة وأثر الحركة الأفروآسيوية وفى نفس الوقت السعى إلى التسلل ثم الوجود الفعلى داخل بلاد هذه الأسرة . وعندما تعذر اجتماع مؤتمر باندونج الثانى عام ١٩٦٥ كتبت صحيفة « هاآرتس » الاسرائيلية مقالا تحدثت فيه بلون من الغرور والاستعلاء عن « الضعف العسكرى والاقتصادى والاجتماعى الذى يكمن وراء الخطب العنيفة لمعظم زعماء آسيا وإفريقيا » .

إن جهد اسرائيل فى دعم روابطها مع دول آسيا وإفريقيا امتد ليشمل مجال تدريب الطلاب الأفروآسيويين فى اسرائيل ، ففى عام ١٩٦٥ بلغ عدد الطلاب والمتدربين الأفريقيين فى اسرائيل ١٠٣٤ متدربا ، فى حين كان الذين جاءوا من دول آسيا ٣٧٦ متدربا .

ولعل سياسات الدول المتحررة فى أفريقيا وآسيا سواء على مستوى هذه الدول منفردة ، أو على مستوى المؤتمرات المختلفة التى تضم هذه الدول ، كانت تعبر عن خططها فى مناهضة التسلل الصهيونى إلى آسيا وأفريقيا .

فالميثاق الوطنى للجمهورية العربية المتحدة يقول « إن إصرار شعبنا على تصفية العدوان الإسرائيلى على جزء من الوطن الفلسطينى هو تصميم على تصفية جيب من اخطر جيوب المقاومة الاستعمارية ضد نضال الشعوب ، وليس تعقب سياستنا للتسلل الإسرائيلى فى إفريقيا غير محاولة لحصر انتشار سرطان مدمر » .

وقال الرئيس جمال عبد الناصر(١) .

« لقد واجه مؤتمر باندونج أدوات الاستعمار كما واجه سيدها الذى تعمل من أجله ... وكان أوضح دليل أن إسرائيل كأداة بارزة من هذه الأدوات قد منعت من حضور مؤتمر باندونج رغم أنها تدعى نفسها قطعة من آسيا ، فلقد كان الإجماع وراء أسوار العزل باعتبارها مصدر عدو وباعتبارها ظاهرة من ظواهر الداء الاستعمارى وغرضا من أغراضه » .

وقد اتخذ مؤتمر الدار البيضاء عام ١٩٦١ قرارا رسميا بشأن تسلل إسرائيل كان نصه :

« يلاحظ المؤتمر باستنكار ، أن إسرائيل دأبت على مناصرة الإستعمار كما جرى بحث للمسائل الهامة المتعلقة بإفريقية ولاسيما مسائل الجزائر ... والكونغو . والتجارب الذرية فى أفريقية .

---

(١) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر أمام مجلس الأمة بالقاهرة فى ١٩٦١/١/٢٢

لذلك يندد المؤتمر بإسرائيل بوصفها أداة فى خدمة الإستعمار بنوعيه القديم والجديد ليس فقط فى الشرق والأوسط بل فى أفريقيا وآسيا ، ويدعو المؤتمر كافة دول أفريقيا وآسيا إلى الوقوف أمام هذه السياسة الجديدة التى يستخدمها الإستعمار قواعد له » .

وكان رد فعل هذا القرار هو لون من حقد إسرائيل على الدول الأفريقية ، ثم محاولة إجراء الاتصالات لإبطال هذا القرار واتضح ذلك فى نفوذ إسرائيل فى دولة إفريقية مثل « غانا » ومحاولاتها التشكيك فى مدى تمسك غانا بقرار مؤتمر الدار البيضاء ، وقد رأى كوامى نكروما رئيس جمهورية غانا أن يصدر بياناً وجه فيه الضربة القوية إلى مناورات إسرائيل بأن أعلن فى غير غموض ، أن قرار الدار البيضاء فيما يتعلق بإسرائيل يمثل خطأ أساسيا فى سياسة غانا ، وكان صدى هذا البيان أن عادت إسرائيل تكيل هجومها المرير على غانا وعلى سياستها وعلى رئيسها الدكتور نكروما .

على أن أكبر العراقيل فى وجه التسلل الإسرائيلى فى آسيا والتى جعلت الصهاينة منبوذين على مستوى القارة كلها هى الصين الشعبية والهند . فالصين تهاجم إسرائيل وسياستها العدوانية وارتباطها بالإستعمار .

أما الهند فليست لها علاقات دبلوماسية أو أية علاقات أخرى مع إسرائيل ، ولها سجل من المواقف الحازمة فى معارضة الفكرة الصهيونية من أساسها ، وذلك من بداية القرن العشرين .

ففى ١٩٠٦ انتقد الزعيم الراحل غاندى دعوة إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين .

ومنذ عام ١٩٣٧ والصهيونيون يقومون بمحاولات متوالية للحصول على مجرد تصريح من الزعيم « غاندى » يحبذ دعوتهم ، غير أن غاندى عبر عن موقفه الصريح من قضية فلسطين فقال فى عام ١٩٣٨ « إن فلسطين تنتمى إلى العرب

تماما مثلما تنتمى إنجلترا للانجليز وفرنسا للفرنسيين ولاشك أنها ستكون جريمة فى حق الانسانية إذا ماالحق الاجحاف بكرامة العرب من أجل تسليم فلسطين جزئيا أو كليا إلى اليهود كوطن قومى لهم » .

وفى عام ١٩٣٨ كذلك قرر « نهرو » بأسلوب حاسم « أنه يجب علينا أن نتذكر أن فلسطين بلد عربى أساسا ويجب أن يظل عربيا ، ويجب ألا يتعرض العرب للظلم والسحق داخل أوطانهم » .

وقد اتخذ حزب المؤتمر الوطنى فى أعوام ٣٦ و ٣٧ و١٩٣٨ قرارات بتأييد حقوق عرب فلسطين فى وطنهم .

وبعد حصول الهند على استقلالها اختيرت عضوا فى لجنة فلسطين التابعة للأمم المتحدة،ورفض المندوب الهندى التوصيةالتى اتخذتها اللجنة بالأغلبية لتأييد تقسيم فلسطين واقترعت الهند فيما بعد ضد مشروع التقسيم فى الجمعية العامة .

وفى سبتمبر ١٩٥٠ اعترفت الهند باسرائيل على أساس الأمر الواقع،ولكنها لم تقدم اعترافا دبلوماسيا رغم الجهود الملحة التى بذلتها إسرائيل والتى كان يساندها ضغط أمريكى قوى من أجل دفعها إلى مثل هذا الاعتراف .

ومن خلال الدعاية المغرضة للصهيونية العالمية استطاعت إسرائيل كسب بعض التأييد لها داخل الهند ، وكان على الحكومة الهندية أن تواجه نقدا عنيفا من الداخل لسياستها المناصرة للعرب ، ولكنها لم تنحرف اطلاقا عن هذه السياسة .

وفى عام ١٩٥٣ استطاعت إسرائيل أن تتسلل إلى بورما بواسطة ما سمى بالمؤتمر الأسيوى الاشتراكى الذى عقد فى رانجون ، فقد خدع المسئولون فى بورما بالحجة الاسرائيلية التى تقول بأنه ينبغى إقامة علاقات وثيقة وأخوية بين إسرائيل (الاشتراكية)وبين بورما التى كانت تحكم وقتها بواسطة حزب يدعى بالحزب الاشتراكى .

ومنذ انعقاد هذا المؤتمر توثقت العلاقات بين إسرائيل وبورما وقامت على أساس البعثات الفنية الاسرائيلية والتعاون الاقتصادى .

وجاءت بعد ذلك « نيبال » رغم أنها لم تعترف باسرائيل إلا فى سبتمبر ١٩٦٠ ، إلا أنه فى نفس الشهر أقامت إسرائيل سفارة لها فى « نيبال » وبدأت عملها بنشاط فى عدة مشروعات للتنمية .

وفى الفترة بين عامى ١٩٦٢ ، ١٩٦٥ إستطاعت إسرائيل تنشيط علاقاتها مع تايلاند والفلبين ولاوس ويوجد لاسرائيل فى هذه الدول مستشارون إسرائيليون يعملون فى مشروعات بتلك الدول .

وتحتفظ اسرائيل بعلاقات تجارية جيدة مع اليابان والهند وسنغافوره ، وفى سنغافوره توجد بعثة عسكرية إسرائيلية (١) .

وإذا دخلنا إلى تفاصيل العلاقات وأكثرها أهمية وهى العلاقات الاقتصادية بين إسرائيل والبلاد الافريقية والآسيوية المختلفة لوجدنا الصورة التالية :

	سنوات		
	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤
مجموع صادرات إسرائيل إلى الدول الافريقية: (بآلاف الدولارات)	١٠٧٢٩	١١٥٦٤	١٢٧٣٩
مجموع واردات إسرائيل من الدول الافريقية : (بآلاف الدولارات)	١٩٩٢٥	٢٢٠١٥	٢٦٨٦٧
العجز فى الميزان التجارى الاسرائيلى: مع الدول الافريقية (بآلاف الدولارات)	— ٩١٩٤	-١٠٤٥١	-١٤١٢٨
مجموع صادرات إسرائيل إلى الدول الآسيوية : (بآلاف الدولارات)	١٢٢٦٢	١٦٧٦٤	١٨٠٨٨
مجموع واردات إسرائيل من الدول الآسيوية : (بآلاف الدولارات)	٣٢٨٨٢	٤٢٣٢٠	٤٨٤٨٩
العجز فى الميزان التجارى الاسرائيلى مع الدول الآسيوية (بآلاف الدولارات)	-٢٠٦١٩	-٢٥٥٥٦	-٣٠٤٠١

(١) جريدة الاهرام القاهرية ١٩٦٧/١/٧

والنظرة الأولى إلى الأرقام السابقة توضح لنا أن هناك عجز مستمر يتزايد سنة بعد أخرى فى الميزان التجارى الإسرائيلى سواء مع الدول الأفريقية أو الدول الآسيوية (١)

وبالتمعن فى هيكل هذه الأرقام نجد أن وارداته إسرائيل من كل من الدول الإفريقية والدول الآسيوية تزيد بنسبة أكبر من صادراتها إلى هذه الدول، كما نلاحظ أن إجمالى واردات إسرائيل من الدول الآسيوية يبلغ تقريبا ضعفى إجمالى واردات اسرائيل من الدول الأفريقية .

ولعل مدلول هذه الأرقام واتجاهها يمكن اجماله فى الآتى :

أولا : أن أفريقيا وآسيا مصدر أساسى من مصادر المواد الخام التى تحتاجها صناعة إسرائيل الناشئة والتى تحصل عليها بأسعار منخفضة ، وعلى سبيل المثال فإن مادة الماس من أهم المواد التى تستوردها إسرائيل وتحقق منها أرباحا طائلة بعد صقلها . وتعتبر إسرائيل فى هذا المجال مصدرا لربع مجموع مبيعات العالم من الماس (٢)

ثانيا : أن إفريقيا وآسيا باعتبارهما تضمان أكبر عدد من الدول النامية التى لا تلعب الصناعة فيها دورا رئيسيا فى إنتاجها القومى فإن إسرائيل تجد الفرصة سانحة لتصريف منتجاتها الصناعية فى الأسواق الأفريقية والآسيوية .

---

(١) الدول الافريقية : المعنية فى التعامل مع اسرائيل هى : أوغندا — الحبشة — جابون — غانا — جنوب افريقيا — روديسيا — نياسالاند — ساحل العاج — تنجانيقا — ليبيريا — مدغشقر — موزامبيق — نيجيريا — كينيا .

الدول الاسيوية المعنية فى التعامل مع اسرائيل هى : بورما — هونج كونج — تركيا — اليابان — اتحاد ماليزيا — قبرص — تايلاند .

(٢) التسلل الاسرائيلى فى آسيا (الهند واسرائيل) أسعد عبد الرحمن من دراسات مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية .

ثالثا : إن مجموع صادرات وواردات إسرائيل إلى ومن الدول الآسيوية أكثر من الناحية المطلقة من مجموع صادراتها ووارداتها إلى ومن الدول الإفريقية وهذا يوضح أبعاد المخطط الاسرائيلى فى التركيز على دول آسيا على الرغم من الصعوبات السياسية والاقتصادية والعوامل التاريخية التى تجعل الطريق شاقا أمام إسرائيل فى الدول الآسيوية ، ولعل الهدف الأبعد من تحقيق هذه العلاقات الاقتصادية مع الدول الآسيوية وتنميتها هو الوصول إلى مركز دولى أفضل

وبصورة عامة فإن وجود عجز فى الميزان التجارى لإسرائيل مع الدول الافرو آسيوية لم يثبط من جهدها فى زيادة التبادل التجارى مع هذه الدول .

ورغبة من إسرائيل فى دعم تسللها ثم وجودها فى بلاد إفريقيا وآسيا بالإضافة إلى العلاقات الدبلوماسية والعلاقات الاقتصادية . فإنها تلجأ إلى أسلوب التسلل عن طريق المساعدات المختلفة التى تقدمها للدول الأفريقية والآسيوية والتى تأخذ الأشكال التالية :

١ — إرسال الخبراء الإسرائيليين فى المجالين المدنى والعسكرى ففى عام ١٩٦٥ أرسلت إسرائيل إلى إفريقيا حوالى ٦٠٠ خبيرا ، وإلى آسيا حوالى ٧٠ خبيرا .

وقد بلغ عدد الخبراء الذين أرسلوا إلى إفريقيا بين عامى ١٩٥٨ ، ١٩٦٦ — ١٠٩٨ خبيرا .

ويعمل الخبراء المدنيون فى كافة مجالات الهندسة والطب والزراعة والتخصص الإجتماعى .

أما الخبراء العسكريون فإنهم يقومون بتدريب أبناء آسيا وإفريقيا على الأعمال العسكرية ويركزون على نقل تجربة إسرائيل الخاصة بتدريبات الشباب العسكرية ..

٢ — إقامة دورات تدريب وتعليم داخل إسرائيل ذاتها لأبناء أفريقيا وآسيا ، وكذلك ايفاد مدربين لأداء مهام معينة فى البلاد الإفريقية والآسيوية .

ويتم تدريب الوافدين الأفريقيين والآسيويين فى أربعة معاهد متخصصة :

١ — المعهد الأفرو — اسيوى للدراسات العمالية والتعاون وهو تابع للهستادروت (الاتحاد العام لنقابات العمال الإسرائيليين) .

٢ — مركز تدريب المدرسين فى حقل الإرشاد المهنى (نتانيا) .

٣ — مركز تدريب المدرسات فى ميدان الخدمة الإجتماعية (حيفا) .

٤ — معهد « ويجنت » للمدرسين فى مجال التربية الوطنية ولا يقتصر الاهتمام بالوافدين على تدريبهم أو التدريس لهم فى المعاهد والمراكز المشار إليها فحسب ، بل إن كافة مؤسسات التعليم فى اسرائيل تولى هؤلاء عناية خاصة سواء فى الجامعات أو معاهد التعليم العالى ، وفى تنظيم ندوات ومؤتمرات ودورات مختلفة لهم ، وتنظيم رحلات لهم لإطلاعهم على مجالات تقدم اسرائيل وتقدم التسهيلات للوافدين فى كل مجال رغبة منها فى خلق ركائز لها من العناصر التى تعلمت أو تدربت لديها فى بلادها الأصلية .

واذا كانت اسرائيل تتحمل الجانب الأكبر من الانفاق على هؤلاء المتدربين الا أن إرسال الخبراء الإسرائيليين الى الدول الإفريقية والآسيوية يتم عن طريق تحمل هذه الدول لجانب كبير من تكاليف سفر واعاشة هؤلاء الخبراء . فضلا عن أن اسرائيل تغطى جانبا كبيراً مما ينفق على المتدربين عن طريق المنظمات الأجنبية التى تشمل برامج التدريب برعايتها فتنفق عليها أكبر جانب . ومن ثم لاتتحمل اسرائيل من هذه البرامج التى تتخذ منها مجالا خصبا للدعاية لنفسها الا مبالغ بسيطة وقد تحقق منها ربحا . .

ولهذا فإن مجالات التدريب أو الخبرة التى تركز عليها اسرائيل وتأخذ بها

دور المبادرة في التسلل الى البلاد الأفريقية والآسيوية لاتتضمن سوى ميزات مادية ضئيلة لهذه الدول تفوقها الميزات التي تقدمها دول أخرى كثيرة في مجال التدريب والتعليم والمنح الدراسية أو البعثات .

٣— على الرغم من أن اقتصاد اسرائيل اقتصاد طفيلي يعتمد على الخارج في قيامه ووجوده واستمراره الموقوت عن طريق الحصول على المساعدات والاعانات والقروض الحكوميةأو من الهيئات أو الافراد (وعلى الأخص من من الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا الغربية) ،وعلى الرغم من تفاقم العجز في الميزان التجاري الاسرائيلي ، والعجز الدائم في ميزانية اسرائيل وتفشي البطالة وبحث الحكومة باستمرار عن مجالات عمل للأعداد العاطلة التي تهدد بانفجارات في شكل إضرابات واضطرابات ، على الرغم من كل ذلك فإن اسرائيل تقدم لبعض الدول الأفريقية .والآسيوية قروضا ضئيلة ، ولكنها تهدف من وراء ذلك الى اثبات أنها قادرة على أن تساعد هذه المجموعة من الدول النامية ... .

وإذا كانت المبالغ التي دفعتها اسرائيل إلى الدول الأفريقية قد بلغت على مدى عدة سنوات حوالي ٢٠ مليون دولار ، فإن إسرائيل في الواقع تعتبر قد حققت مكاسب هائلة من وراء هذه القروض إذا نظرنا إليها من زاوية مصالحها في الحصول على الخامات بأسعار بخسة وتصريف منتجات اسرائيل الصناعية في أسواق الدول الأفريقية بأسعار مرتفعة نسبيا . إن هذه الفروق تغطي وزيادة مبالغ القروض التي أظهرت أسرائيل أنها تساعد بها الدول الأفريقية رغبة منها في كسب عطف هذه الدول ، ومركزة نفسها داخلها وإن كانت اسرائيل — وهي تعي مكاسبها المحققة من وراء هذه القروض التي تمنحها تتخذ منها وسيلة للدعاية الرخيصة ضد الدول الأفريقية كما حدث بالنسبة لغانا عقب مؤتمر الدار البيضاء الذي اعتبر اسرائيل جسرا للاستعمار في القارة الأفريقية .

والسؤال الذى يطرح نفسه فى هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الأمةالعربية : هل تستطيع الصهيونية العالمية أن تمارس مزيدا من التسلل إلى آسيا وأفريقيا ، أم أن هناك عوامل تعوق حريتها فى الحركة والتسلل من جانب الدول الآسيوية والأفريقية ، بصرف النظر عن التحرك الواجب على الدول العربية القيام به فى مواجهة سريان السرطان الصهيونى ؟

أن هناك عوامل فى الواقع تعوق التحرك الصهيونى :

أولا : أن معظم دول أفريقيا حديث الاستقلال، وتأخذ إسرائيل باستمرار دور المبادرة فى التسلل إليها وإقامة علاقات معها ولكن ذلك لا يستمر لفترة طويلة إن سرعان ما تتكشف نوايا اسرائيل وأساليبها سواء على المستوى المحلى لهذه الدول أو على المستوى العالمى ، وسرعان ما تفيق بعض هذه الدول إلى ارتباط اسرائيل بالاستعمار ، ولعل أبلغ مثال على ذلك ما حدث بالنسبة لغانا ، فى عهد الدكتور نكروما . أما على مستوى آسيا ، فإن معظم دول آسيا كان قد حقق إستقلاله قبل قيام اسرائيل ، كما أن معظمها لمس المحاولات الاستعمارية المختلفة لقيام اسرائيل ودعمها على مستوى قوى الاستعمار أو على المستوى الدولى فى هيئة الأمم المتحدة وحتى عام ١٩٦٣ كانت هناك تسع دول من ثمانية عشر دولة وهى الدول الآسيوية الأعضاء فى الأمم المتحدة قد قبلت عضويتها قبل وجود اسرائيل وقبولها عضواً فى الأمم المتحدة وهى : (الصين — الهند — الفليبين — تركيا — أفغانستان — تايلاند — باكستان — بورما)

ثانيا : أن عددا من دول آسيا دول اسلامية أو بها مجموعات لايستهان بها من المسلمين ، وهذه الدول كانت تشكل عنصر مقاومة للتسلل الاسرائيلى إليها ، وعنصر ضغط وإحراج لحكوماتها حتى لا تقيم علاقات مباشرة أو غير مباشرة مع اسرائيل .

ثالثا : أن الدول الآسيوية لم تكن هدف اسرائيل قبل عام ١٩٥٦ ، وذلك

لبعد المسافة التى يتعين أن تقطعها السفن الاسرائيلية المحملة بالبضائع للوصول إلى دول آسيا ، إذ كان عليها أن تقوم برحلة طويلة حول أفريقيا حتى تصل إلى آسيا نظرا لاغلاق قناة السويس فى وجه السفن الاسرائيلية . ولكن بعد انشاء ميناء إيلات فى عام ١٩٥٦ ، أصبحت رحلة السفن الاسرائيلية أقصر بكثير من السابق ولهذا فإن محاولات التسلل الاسرائيل إلى آسيا حديثة نسبيا .

رابعها : أن عددا ليس بالقليل من دول آسيا يعد دولا كبيرة نسبيا ، كثيرة المشاكل لتزايد الضغط السكانى عليها ، ورغبة هذه الدول فى النهوض باقتصادياتها ورفع مستوى معيشة سكانها يتطلب إمكانيات ضخمة من القروض والمساعدات .

ولقد كانت هذه الحقيقة أمام اسرائيل كعامل « احجام » من جانبها فى التسلل إلى الدول الآسيوية الكبيرة ومن ثم وجهت اسرائيل جهودها الى الدول الآسيوية الصغيرة توجه اليها مساعداتها الضئيلة « كعربون » لاقامة علاقات معها ، وتفكير اسرائيل فى هذا المجال يستند الى أن امكانية اسرائيل ذاتها فى تقديم مساعدات اقتصادية للخارج امكانية محدودة ومن ثم فإن توجيه هذه الإمكانيات المحددة الى دولة كبيرة لن يؤثر فيها فضلا عن أن كل امكانيات اسرائيل فى تقديم مساعدات اقتصادية لن تكفى دولة آسيوية واحدة كبيرة . وفى هذا المجال يقول مسئول فى وزارة الخارجية الاسرائيلية :

« تصور ماذا يمكن أن يحدث اذا ما اعترفت الهند بنا وطلبت مساعدة على نطاق واسع — جميع جهودنا عندئذ ستبتلعها احتياجات الهند النهمة ، تلك الاحتياجات التى لم تكفها حتى مساعدات ألمانيا الغربية والولايات المتحدة ، ولكن فى البلاد الصغيرة ، فإن لمساعدتنا التى نقدمها بعض النتائج على الأقل »

خامسها : أن الاستعمار حين رحل عن دول آسيا لم يتركها دون مشاكل ، بل حاول جهده وطاقته أن يبذر بذور الخلاف داخل الوطن الواحد حتى يستمر

هذا الوطن المستقل حديثا مشغولا بخلافاته الداخلية ، بل أن الاستعمار ترك كثيرا من البلاد الآسيوية ، وترك وراءه مشاكل حدود معلقة كانت مجالا خصبا لتحركه فى اثارة هذه المشاكل كلما واتته الفرصة ، ومن ثم كانت هذه الخلافات تعرض على الأمم المتحدة لحلها ، ومن هنا كانت الدول الآسيوية انطلاقا من منطق مصالحها القومية توازن بين جانبين : جانب ثلاثة عشرة دولة عربية أعضاء فى الأمم المتحدة لها ثلاثة عشر صوتا وجانب اسرائيل ذات صوت واحد ، ولهذا كان على الدول الآسيوية أن تقف ضد أطماع اسرائيل التى تعلم هذه الدول أنها تعادى آمال وأمانى الأمة العربية .

سادسها : قناعة بعض الدول الآسيوية بالحق العربى فى فلسطين وخطورة اسرائيل ووجودها لأنها تمثل أداة للاستعمار وأداة للصهيونية العالمية . مثال ذلك موقف الصين الشعبية من اسرائيل . فعلى الرغم من أن اسرائيل اعترفت بالصين الشعبية فى ٩ / ١ / ١٩٥٠ بل كانت ثامن دولة تعترف بها ، الا أن الموقف العقائدى للصين من اسرائيل كفكرة عدوانية وأداة استعمارية ظل ينعكس على علاقات الصين الشعبية باسرائيل فى رفض الصين المستمر اقامة علاقات مع اسرائيل على الرغم من الحاح اسرائيل المتواصل لاقامة هذه العلاقات . فموقف الصين من اسرائيل كان باستمرار موقفا صلبا يهاجم اسرائيل ويستنكر عدوانها ويضعها فى صف أدوات الاستعمار العالمى .

مثال آخر يعبر عن التصدى الصريح السافر أمام الصهيونية العالمية وهو نابع من الهند ، ولعل فى عبارات الزعيم الراحل غاندى ، والتى تعبر عن خط الهند فى مواجهة الصهيونية الأساس فى موقف الهند من الصهيونية حتى الان .

حاولت الصهيونية التسلل الى الزعيم الراحل غاندى عن طريق بعض اليهود الذين كانوا قريبين من غاندى ، ففى عام ١٩٣٧ اتصل « هيرمان كالنباخ » وهو صهيونى من زملاء غاندى فى جنوب أفريقية للتأثير على وجهة نظره ، وقد

تجلى ذلك فى مقال كتبه غاندى فى مجلة « هاريجان » بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٩٣٨ أشار فيه الى محاولة الاتصال به وأكد أن عطفه على اليهود لا يعميه عن رؤية الحق العربى فى فلسطين وفى مارس عام ١٩٤٦ اتصل به « سيدنى سيلفرمان » عضو البرلمان البريطانى وأحد المؤيدين لاستقلال الهند ، الا أن غاندى أوضح أسباب عدم تأييده للصهيونية فى حوار طويل أجراه مع سيلفرمان ، وتلاها محاولة فى عام ١٩٤٧ قام بها « لويس فيشر » أشاع بعدها الصهاينة أن غاندى يؤيد الصهيونية وأهدافها فى فلسطين ، ولكن غاندى أعلن فى أغسطس ١٩٤٧ فى مجلته ، « لقد أخطأ اليهود كثيرا فى محاولتهم فرض أنفسهم على فلسطين بمساعدة أمريكا وبريطانيا أولا ، وبالاعتماد على الارهاب المفضوح ثانيا ، لماذا يعتمدون (أى الصهاينة) على أموال أمريكية لفرض أنفسهم فى أرض غير مرغوب بهم فيها » .

ولعل مقتطفات من أحاديث المسئولين الهنود عن قضية فلسطين وحق العرب فيها وفضح الصهيونية العالمية توضح لنا استمرار الخط الذى بدأه غاندى .

« أن فلسطين عربية ، وليس بالإمكان إتخاذ أى قرار دون موافقة العرب عليه » (١)

« أعرب رئيس وزراء الهند عن تأييده لمطالب الدول العربية بخصوص مياه نهر الأردن وحق اللاجئين العرب فى العودة الى بلادهم فلسطين » (٢)

« ان الهند تؤيد كليا حق العرب فى فلسطين ، انها تفهم آمال العرب العادلة فى المنطقة وتدعمها كليا » (١)

---

(١) من حديث نهرو فى مؤتمر العلاقات الاسيوية المنعقد فى الهند ٢٣ مارس ١٩٤٧

(٢) البيانات المشتركة بين الهند والعراق والسودان فى ١١ ابريل ١٩٦٤ و٢٥ مايو ١٩٦٤ .

(٣) من حديث شاسترى فى خطاب افتتاح الندوة الهندية العربية فى ١٥ فبراير ١٩٦٥

وكان تولى انديرا غاندى دفة الحكم فى الهند استمرارا لسياستها فى الوقوف بوجه التسلل الصهيونى إلى شبه القارة الهندية ، وتمثل ذلك فى الخطوات التالية : (١)

١ — فى ١٥ / ٣ / ١٩٦٦ رفضت الهند السماح لطائرة « زلمان شازار » رئيس اسرائيل بالهبوط فى مطار دلهى الدولى ، وحين هبطت طائرته فى كلكتا لم يستقبله أى من الرسميين الهنود ، وكانت النتيجة أن قطع (شازار) ١٢٠٠ كم إضافية بالإضافة إلى عدم استقباله كرئيس لدولة .

٢ — تم إلغاء ترشيح تشوان سنج (أحد الكتاب الهنود من طائفة السيخ وسكرتير جمعية الصداقة الهندية الاسرائيلية) لمنصب المدير العام للإذاعة الهندية (٢) .

٣ — فى ١٩ / ٥/١٩٦٦ رفضت الهند عرضا إسرائيليا لتقديم الأسمدة لها وقد علقت أنديرا غاندى على ذلك بقولها « رفضت الهند الأسمدة لأنه لم يكن من الحكمة قبولها خاصه وأن إسرائيل حصلت عليها من الخارج ، وتستطيع الهند الحصول عليها من المكان ذاته »

٤ — أشارت « جولدامايير » الأمينة العامة لحزب « الماباى » إلى رفض الحكومة الهندية طلب اسرائيل الخاص بنقل قنصليتها من بومباى إلى نيودلهى .

٥ — فى ١٠ / ٧ / ١٩٦٦ كتبت جريدة « الجروزاليم بوست » الاسرائيلية فى تعليق رئيسى لها :

« . . . وفى الوقت ذاته ، ومنذ أيام نهرو ، لازالت الهند مبتعدة عن أية

---

(١) التسلل الاسرائيلى فى آسيا (الهند وإسرائيل)
أسعد عبد الرحمن من دراسات مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينيه (إبريل ١٩٦٧)

(٢) ترشيح نشوان سنج إعلامى كهذا هو جزء من التخطيط الصهيونى فى إحتلال المراكز الرئيسية فى الدولة من جانب المتعاطفين مع الصهيونية حتى ولو لم يكونوا من اليهود .

علاقات طبيعية مع اسرائيل ، حتى أن الأمر وصل إلى درجة عدم منح تأشيرة دخول إلى مجموعة من ضيوف « شركة الخطوط الجوية عبر العالم » بمناسبة فتح خط جديد للشركة مع الهند قبل أسبوع . . . ان ذلك ليس عدم لياقة فحسب ، بل هو أمر مثير للسخرية أليس ثمة طريقة أخرى أفضل تثبت فيها شبه القارة الهندية صداقتها للعرب دون أن ترفض منح تأشيرة دخول لصحفيين اسرائيليين زائرين »

ومقابل ذلك اعترفت حكومة الهند دبلوماسيا بالجامعة العربية فى ١٣/٧/١٩٦٥ فكانت بذلك أول دولة فى العالم تمنح الجامعة العربية الصفة الدبلوماسية الكاملة ، وكانت نتيجة ذلك بطبيعة الحال استياء الأوساط الإسرائيلية لدرجة جعلت بعض الصحف الصهيونية تطالب الحكومة الإسرائيلية بتغيير سياستها إزاء الهند وتطالب بمقاطعة إقتصادية ضدها .

على أن السياسة الاستعمارية الأمريكية كانت تقف كاحد العوامل الضاغطة على الدول الآسيوية لموقفها الواضح من الاستعمار الصهيونى ، وكان فى مقدمة الدول التى تعرضت لهذا الضغط على المستوى الدبلوماسى الهند ، خاصة بعد أن اتضح موقف الهند وتحركها بعد العدوان الاسرائيلى الأخير فى يونيو ١٩٦٧ على البلاد العربية إذ كانت الهند فى طليعة الدول التى استنكرت العدوان الاسرائيلى وأدانته ، وقامت بدور قيادى فى الأمم المتحدة لتعبئة القوى بشكل يضمن عزل اسرائيل معنويا ودبلوماسيا ، والتأكيد على المبدأ البديهى الذى يحتم عدم إحراز أية ثمار سياسية أو مكاسب من جراء عدوان عسكرى .

لقد كانت الولايات المتحدة تعتقد أن الوضع الداخلى الذى تواجهه حكومة أنديرا غاندى من جراء نتائج الانتخابات البرلمانية هو الوضع الذى يهىء لأمريكا ممارسة ضغطها على الهند لتغيير موقفها أو على الأقل لأخذ موقف أقل عنفا فى مواجهة العدوان ، وإلى جانب الحق العربى .

وفى هذا السبيل أوفدت الولايات المتحدة إلى الهند مبعوثاً خاصا للقيام بمهمة إقناع حكومة انديرا غاندى وهو السفير الأمريكى السابق فى القاهرة « ريموندهور » والذى أشار فى محادثاته مع المسئولين الهنود إلى أن استرسال الهند فى تأييد العرب فى هذا النزاع من شأنه أن يعرض المساعدات الأمريكية للمشاكل والصعوبات مع الكونجرس الأمريكى بالاضافة إلى أن دور الهند لايمكن أن يزيد التفاهم المطلوب بين البلدين(١)

وعند مازار وزير التجارة الهندى ، ديناش سنج » القاهرة ، وقدمت الهند مساعدة مالية قدرها عشرون مليون جنيه استرلينى كتعبير فعلى عن المساندة الهندية للجمهورية العربية المتحدة فى مواجهتها العدوان الاسرائيلى وآثاره شاءت الولايات المتحدة ألا تتغاضى عن هذه المساعدة بل على العكس أمضت فى التدخل السافر وطالبت بتفسير هذه المساعدة بالعملة الصعبة فى حين أن الهند هى نفسها مستلمة للمساعدة الأمريكية ، وأبدت استيائها للتصرف الهندى .

وكتب « جوزيف سترن » مراسل الباليتيموروش فى تحليل له عن تخفيض المساعدات الاقتصادية والغذائية « أن الهند التى تستلم الجزء الأكبر من هذه المساعدات الحقت أضراراً بالغة فى مشروع المساعدات من جراء تأييدها القوى للقضية العربية فى أزمة الشرق الأوسط ». هذا وتقول المصادر الهندية أن التخفيض لن يقل عن ١٢٥ مليون دولار أى أن الهند التى استلمت ٣٨٢ مليون دولار فى العام الماضى لن يعتمد لها فى هذا العام أكثر من ٢٧٥ مليون دولار(٢)

وكان يساند أمريكا فى هذا ، تلك الدعوات التى وجهتها اسرائيل إلى العناصر

---

(١) مقال للدكتور كلوفيس مقصود بجريدة الاهرام القاهرية فى ١٩/١٠/١٩٦٧ عن « المخطط الامريكى محاولة أن يجعل تأييد أنديرا غاندى للعرب مجازفة سياسية داخلية »

(٢) المقال السابق .

المعادية لحكومة أنديرا غاندى لزيارة اسرائيل حتى تكون عاملا مؤثرا وفعالا فى ازدياد الحملة الصهيونية الموجهة ضد الحكومة الهندية . ولكن أنديرا غاندى لم تهتز ولم تتأثر من هذا الضغط الصهيونى الأمريكى بل استمرت فى سياستها الواعية لأهداف الصهيونية ومخططاتها ، الواعية لمواجهتها .

بل إن الهند كانت مركزاً من مراكز كشف الصهيونية وعدوانها ففى نوفمبر ١٩٦٧ عقد فى نيودلهى « المؤتمر الدولى لنصرة الشعوب العربية » اشترك فى الإعداد له ١٩٤ سياسيا هنديا من بينهم ٩٦ من أعضاء البرلمان . واشترك فيه ممثلون لخمسين دولة من آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وأوربا والولايات المتحدة وبالرغم من حرص الحكومة الهندية على عدم الاشتراك فى المؤتمر فقد بعثت أنديرا غاندى أول رسالة تأييد للمؤتمر أعلنت فيه أن الهند تعمل على إيجاد تسوية سلمية للأزمة وإعادة الاستقرار للمنطقة والوصول إلى حل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين .

وكان ممن حضروا إلى هذا المؤتمر الدكتور هربرت ابتيكر أستاذ التاريخ والكاتب الأمريكى المعروف وهو يهودى إلا أن تفكيره يتسم بالموضوعية والانصاف وقد ذكر بعد الجلسة الختامية للمؤتمر :(١)

« أننى لم أشهد فى حياتى ولم أستمع ولم أطالع فى الكتب مثل تلك الحملة الدعائية الهائلة التى شنها الاسرائيليون على طول البلاد وعرضها (أمريكا) لإظهار العرب فى صورة المعتدين أنها لم تترك للشعب الأمريكى ساعة واحدة للمراجعة والهضم ومع ذلك فإن العقل الأمريكى متفتح ومستعد للانصات والاقتناع لا بطريقة عصبية ولكن بالمنطق السليم والحجج القوية » ثم قال : « أن أصلح من يقوم بمثل هذه الدعاية رجل له المواصفات التالية : أن يكون

---

(١) جريدة الاهرام القاهرية فى ٢١ / ١١ / ١٩٦٧ بعنوان مظاهرة عالمية فى الهند تدين اسرائيل وتطالبها بالانسحاب

أستاذاً فى مادة التاريخ والسياسة . . . ألا يكون فى مقتبل العمر — أن يكون هادىء الطبع . . . الخ ، ثم يقول تعليقا على المؤتمر ، أن هناك ملاحظات يجدر تسجيلها :

أولا : أن القضيـة ليست قضيـة نزاع بين العرب واليهود وإنمـا هى صراع بين قوى الاستعمار والامبريالية ضـد حركة التحرير الوطنى والتقـدم الاجتماعى .

ثانيا : أن فكرة العداء للسامية لاترد فى هذه القضية على الاطلاق لسبب بسيط وهو أن الشعوب العربية نفسها تنحدر من أصل سامى ولهذا لابد من إدانة صريحة لـكل دعوى مضادة لليهودية .

ثالثا : أن مسألة الوجود الاسرائيلى ليست صميم الموضوع وإنما المسألة : « اسرائيل كاداة للتوسع الامبريالى الاستعمارى » .

والواقع أن مثل هذا المؤتمر يعتبر ضربة وتحديا للنفوذ الأمريكى ومخطط الصهيونية العالمية من جانب الهند ، فقد ذكرنا فى بداية الحديث عن المؤتمر أن عدداً ضخما من السياسيين الهنود قاموا بالتحضير له من بينهم عدد كبير من أعضاء البرلمان الهندى .

وإذا كانت أمريكا قد اتخذت من مكاتبها وأجهزتها الموجودة فى الهند سبيلا إلى رصد كل مادار بالمؤتمر فان حقائق جديدة لاشك قد ظهرت أمام نظر أمريكا ، ولـكنها تعالج مثل هذه المواقف بلون من التبجح الاستعمارى المستند فقط إلى القوة والعدوان ، واستمرارها أمور لا يمـكن أن يـكتب لها البقاء بفضل الوعى الصاعد بين دول آسيا وأفريقيا ، وغيرهـا من باقى دول العالم الثالث .

ولعل المؤتمرات المختلفة التى عقدت على مستوى أفريقيا أو آسيا أو على مستوى دول عدم الإنحياز أو العالم الثالث تؤدى دورها فى كشف الصهيونية

وتعريتها للرأى العام العالمى وتكشف حقيقتها أمام الشعوب المختلفة وتحد من نشاط الصهيونية وتحركها لأنها تحبط مخططاتها وتضيع عليها فرص التوسع أو التسلل ، وعلى الرغم من أن هذه المؤتمرات تكون تحت نظر وسمع الدول الاستعمارية والصهيونية العالمية فإن هذه القوى تحاول ممارسة كافة ألوان الضغط السافر أو المستتر على العناصر المتحررة فى هذه المؤتمرات وتشن عليها من حملات السب والتجريح ما تحاول به النيل فيها ومن سمعتها وسط شعوبها ، ولكن وعى الشعوب وتفتحها على مصالحها وخشيتها على حرياتها التى ضحت من أجلها بالشهداء يجعل الشعوب دائما يقظة عاملة على صيانة حرياتها والوقوف فى صمود أمام كل محاولة التأثير عليها .

الفصل العاشر

الأمة العربية فى مواجهة الصهيونية

إذا كنا قد تحدثنا فى الفصول السابقة فى هذا الباب عن الأبعاد المختلفة التى تحدد مصير الصهيونية العالمية،من واقعها ، وسيطرتها ، وتسللها واكتشاف أمرها وخطورتها لبعض الدول ، واحتضان بعض الدول لها ، بل والعمل لحسابها فى بعض الأحيان ،ووقوف دول أخرى لها موقف المتحدى الصامد فى مواجهتها ، فإن الأمة العربية بامكانياتها المادية والبشرية فى حاضرها ، بتصميمها وإيمانها ، بوحدتها والتحامها الكامل تمثل حجر الزاوية فى مواجهة الصهيونية ، بل عليها وعليها وحدها يتوقف القضاء على هذا السرطان الذى زرع فى قلب الوطن العربى أو استشراء خطره — لا قدر الله — والتمكين له .

ولقد كان عدوان يونيو ١٩٦٧ نقطة تحول تاريخية بالنسبة لأمتنا العربية ، وإذا كان هذا العدوان قد أسفر عن انتصار العدو الصهيونى فى معركة ٥ يونيو ، واحتلاله لبعض الأراضى العربية ، فإن هذا العدوان لم يكن شراً كله ، لقد كان ابتلاء للأمة العربية ، واختباراً لها ، أفاقت على أثره على واقع مشرف تجلى فى بعض البطولات التى أداها أبناؤها فى المعارك ، وعلى واقع مر فى نفس الوقت ينبهها إلى حقائق وقضايا ما كانت لتتنبه لها لو لم تتعرض لهذا العدوان أو تصاب بهزيمة فى المعركة .

استطاعت الأمة العربية أن تعى — وهى واعية — على مستوى حكوماتها أن الخطر الصهيونى ليس موجهاً إلى دولة عربية بعينها أو إلى نظام حكم بذاته وإنما موجه إلى الأمة العربية كلها من محيطها إلى خليجها ، وإن كانت الضربة قد

وجهت إلى قلب الثورة العربية الأم فى القاهرة ، فإنما كان لذلك معناه ومغزاه . أن القاهرة وهى بمثابة القلب من الجسم إذا ضربت وضرب نظامها الثورى وسقطت قيادتها الثورية ، فإنما ذلك يعنى أن بقية الأقطار العربية لن تقوم لها قائمة بعد ذلك ، وتتحقق أمنية الصهيونية العالمية والاستعمار العالمى الضالع معها فى إحكام السيطرة على الوطن العربى ، والاستيلاء على مقدراته ، واذلال شعبه، وادخاله ضمن مناطق النفوذ الغربى .

ومدلول هذا الوعى أن الضربة الموجهة إلى القاهرة تجد صداها فى دمشق والجزائر وبغداد وباقى العواصم العربية ، وكذلك الحال فإن ضرب أى عاصمة عربية يعنى ضرب باقى العواصم ، فالأمة العربية كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

فالخطر الصهيونى ماثل أمام العرب جميعاً وقضية الأمة العربية واحدة ومن ثم فإن النظرة الشاملة للعدو وللقضية أصبحت اليوم تتخطى كل الحواجز الاقليمية المصطنعة ، وكذلك أصبحت تتخطى كل التطلعات الحزبية والفردية خاصة بعد أن اتضح للأمة العربية أن المخطط الصهيونى الاستعمارى لم يستكمل حلقاته ، وإنما يضع أمام نظره لاستكمال المخطط ممارسة العدوان لتحقيق اسرائيل الكبرى حلم الصهيونية العالمية .

وإذا كان هناك شبه اجماع شعبى اليوم على هذه القضية فان هناك من الثغرات والسلبيات على المستوى النظرى ما يؤثر فى تماسك والتحام الأمة العربية كيكل ونعنى بهذه الثغرات والسلبيات تلك التحركات المريبة التى تقوم بها قوى رجعية عميلة ، إما بحكم عادتها فى العمالة ، أو بتخطيط وتوجيه القوى الاستعمارية العالمية .

ولعل ارتفاع قضية العرب اليوم إلى مستوى قضية الوجود ذاته ، إزاء التحدى الصهيونى الاستعمارى يضع على عاتق الأمة العربية واجبات ومسئوليات جساماً تتفق مع أخطر مرحلة يواجهها الوجود العربى وتقتضيه تصفية الجيوب

الرجعية والقضاء على الانحرافات الداخلية فى الحكم ، ووضع المصلحة القومية فوق المنطلقات الشخصية ، والتطلعات الفردية ، واليقظة الكاملة على كافة التحركات القوى المناوئة للثورة العربية . ثم قبل هذا وبعده الاستعداد للتضحية بكل مرتخص وغال ، على أن تكون تضحية متكافئة بين كافة فئات المجتمع ، يتحمل فيها كل فرد قدر طاقته ، وتتولاها أيد أمينة توجهها الوجهة السليمة فى خط المعركة .. وعلى الجبهة .. دون أى وجه آخر من وجوه الانفاق .

إن قوى وعناصر تعيش بين أبناء الأمة العربية ، تلتقى فى الظلام مع أعداء هذه الأمة ، وتمارس عن قصد وسوء نية أبشع ما يمارسه الخونة من عمالة : من بث الروح الانهزامية بين أفراد الشعب العربى ، وإثارة البلبلة فى صفوف أبناء الأمة ومحاولة التشكيك فى القدرة العربية على مواجهة النكسة ، ونقل الشائعات المغرضة ، واطلاق العنان للخيال فى حبك قصص وروايات عن المعركة وظروفها وتفاصيلها ، وهذه العناصر تعمل وفق مخططات العدو وفى اتجاهه ، للنيل من ثقة هذه الأمة فى نفسها وفى قدرتها ، والتشكيك فى إمكان نجاح الثورة العربية فى تخطى النكسة .

ولقد ذهب عهد الحلول الوسط ، والاهتزاز الثورى ، والنظرات والمنطلقات الشخصية ، ليحل محله عهد الحسم الثورى والنظرة الموضوعية إلى الأمور ، بمنطلقات قومية قادرة على تعويض ما فات ، واستعادة ما اغتصبه العدو من أرض .

وواجب الأمة العربية أن تتصدى بكل ما تملك من قوة للنزعات العدائية الداخلية حتى تستطيع الدخول فى معركة فاصلة مع العدو .

وإذا تحدثنا عن مواجهة العدو الصهيونى فاننا نعنى تلك المواجهة على الصعيد العالمى والقومى والمحلى فى كل قطر عربى .

وعلى الصعيد العالمى نجد أن من أهم المواقع التى يجب أن يتبادلها التغيير

على مستوى أقطار الوطن العربي كله تلك المواقع العربية الخارجية ممثلة في السفارات العربية والمكاتب والمراكز الثقافية والمكاتب السياحية والصحفية والتجارية وشركات الطيران والجامعات ودور العلم والمبعوثين والمتدربين والجامعة العربية ، وكل من تتاح له فرصة مغادرة الوطن العربي إلى أى بقعة أجنبية فى العالم .

لقد سيطر علينا نحن العرب خلال مرحلة مضت ، روح التطلعات الأنانية الفردية ، وأضحت كثير من العناصر الانتهازية فى أحسن المواقع الداخلية والخارجية ، وكان ذلك لأننا لم ننظر إلى الأمور نظرة موضوعية هدفها صالح أمتنا ، وإنما تغلبت علينا عوامل شخصية وذاتية ، أبعدتنا عن اختيار العناصر الصالحة ، بل إن عناصر الانتهازية حاولت أن تجنب العناصر الأخرى النظيفة لأنها خطر على وجودها ، وأصبح كل ذى نزعة شخصية أو حزبية يصل إلى موقع من المواقع ، يجهد نفسه فى معاونة بنى حزبه أو طائفته الصعود إلى موقع آخر حتى سادت روح الشللية وأضحت عناصر انتهازية وحزبية تحتل مواقع هامة وحساسة من مواقع العمل فى الدولة سواء فى الداخل أو الخارج .

ويجرنا هذا الحديث إلى الإعلام ، والإعلام الخارجى بالذات ، لقد تصور الكثيرون من أبناء الشعوب الاوروبية والأمريكية والأفريقية والآسيوية أن العرب ذوو نوايا عدوانية لأن العدو الصهيونى كان يصور لهم نفسه بصورة المسالم المدافع عن نفسه وسط طوق عربى يحكم عليه الخناق ، وكانت بعض الدعوات والنداءات الموجهة للحرب من جانب بعض مسئولينا تستخدم ضدنا ، وكان بعض موظفينا فى الخارج يعيشون حياة مترفة بعيدين عن أداء واجبهم ، يمارسون عملهم بأسلوب الياقات البيضاء العتيق ، ويسيطر على تفكيرهم روتين جامد لا يتحرك ، يتقيد فى المقام الاول بالتعليمات يفسرها وفق هواه ، ووفق ماتمليه عليه مصلحته فى ألا يعمل ! وذلك كان أضعف الإيمان فى الصورة العامة ،

غير أن منهم من كان ينسى نفسه بالمرة وينسى ماضيه ، بل وينسى وطنه وأمته وينغمس فى الملذات ويعيش فى جو بعيد كل البعد عن مقتضيات وظروف أمته غير عابىء بأنه يمثل أمة عربية ذات حضارة وماض عريق .. ولا نعنى بذلك أنه كان يفتقد إلى القدوة الحسنة ، بل إننا لا نتعدى الحق اذا قلنا أن البعض من هؤلاء كان يمثل الصورة البالغة السوء لأمته ، ويصبح فى ذاته موضوعاً لدعاية مضادة يلتقطه الأعداء وينسجون حوله خيوط القصص .

إن مواقع المسئولية فى الخارج من أدنى مستوى إلى أعلاه لا ينبغى أن تكون موضوع غنائم تتحكم فيها عوامل الصداقة أو الارتباط الشخصى أو الأسرى أو الزمالة الدراسية أو غير ذلك من عوامل غير موضوعية ، وإنما ينبغى أن تكون هذه المواقع للأصلح تمثيلا لوطنه ، وعلماً وسلوكاً .. وقدوة.

ومن هنا ينبغى أيضاً اعادة النظر فى برامج وأدوات الإعلام لتصبح أكثر تعبيراً عن واقع الأمة العربية ، وعن العدو العدو الصهيونى الاستعمارى الغادر ، وذلك بوضع خطة اعلامية خارجية محددة المعالم واضحة الأهداف ، تأخذ بالأسلوب الموضوعى الذى يتناسب وعقليات الشعوب فى الخارج ، مع تلافى الحساسيات التى تؤدى إلى نتائج عكسية ، لأنها تثير كوامن بعض الشعوب .

على أن أى برنامج اعلامى يجب أن يأخذ الظروف الموضوعية للشعوب المختلفة فى الاعتبار : عقليتها — عاطفيتها — تاريخها — صلة العدو بهذا التاريخ — مدى تغلغل الصهيونية فى البلد — مدى إضرار الصهيونية بهذا البلد ، على أن يكون ذلك بلغة البلد ذاتها . ومن الواجب — فى رأينا — أن تهدف هذه الخطة تحقيق هدفين رئيسيين :

الأول : إيضاح نوايا الصهيونية العالمية واعتمادها على الحرب والعدوان لتنفيذ مخططاتها التوسعية مدعماً بالوثائق والصور والأرقام وأحاديث الكتاب والصحفيين الغربيين والكتاب اليهود المناوئين للصهيونية ، مع ابراز الأساس

العنصرى الذى تقوم عليه اسرائيل والتفرقة العنصرية التى تمارسها ومعاملة المسيحيين والمسلمين والاعتداء على أماكن العبادات .

الثانى : ايضاح الحق العربى فى فلسطين وباقى الأراضى المحتلة ولعلنا نجد فى أحداث ٥ يونيو وما مارسه العدو فيه من عدوان بشع مواد كثيرة تصلح أن تكون موضوعات لكتب أو نشرات أو أفلام .

والدليل المبدئى على امكان نجاح مثل هذه الخطة أن هناك تغيراً ملموساً فى الرأى العام العالمى وضح فى كثير من دول العالم وتحول من مناصرة الأخطبوط الصهيونى إلى مناصرة الحق العربى ، وقد لمسنا ذلك فى أروقة الأمم المتحدة وفى كتابات بعض الكتاب ، وفى المؤتمرات المختلفة التى عقدت لاستنكار العدوان، وفى تغيير مواقف بعض الدول بحيث أصبحت إلى جانب قضايا العرب العادلة .

إن الشباب الواعى المثقف المقدر لمسئولية أمته ، مؤهل لأداء هذه الرسالة الإعلامية ، لا على أساس أنها عمل وظيفى وإنما على أساس رسالة قومية مقدسة .

ويدخل فى باب الإعلام الخارجى ما يمكن أن نطلق عليه : « الدبلوماسية الشعبية » وهى تقوم وتعتمد على كافة التجمعات العربية غير الرسمية فى الخارج من تجمعات طلاب وعمال ومتدربين ومرضى يسافرون للعلاج ، وصحفيين وموظفين غير دبلوماسيين ، وفى منظمات الطلاب وروابطهم والعمال واتحاداتهم .

إن الطالب أو العامل أو المواطن بصورة عامة ، المؤمن بعروبته الواعى بأهداف أمته ، يستطيع أن يفعل الكثير بما لديه من امكانيات ، معرفة اللغة وحرية الحركة والانتشار بين أفراد الشعب . وخلق صداقات معهم ، فهو يستطيع التحرك فى قاعة المحاضرات فى الجامعة أو فى مطعم الجامعة أو فى المدينة الجامعية، أو نادي الطلبة العرب ، أو مقر اتحاد العمال أو فى الورشة التى يتدرب بها ،

أو المنزل الذى يسكنه أو الأماكن العامة التى يرتادها .. فهؤلاء طاقة اعلامية ضخمة ولكنها معطلة .. لأنها لا تملك من وسائل الإعلام وأدواته ما يعينها على أداء رسالتها ، وقد أثبتت المنظمات الطلابية والعمالية العربية فى أوربا وأمريكا أنها بامكانياتها المحدودة ، استطاعت أن تنجز الكثير فى مجال الإعلام الخارجى والواجب القومى فى هذه المرحلة — تكتيكياً — وفى الأجل الطويل — استراتيجيا — يحتم علينا الاستفادة من هذه الطاقات الخلاقة المتحركة والمنتشرة فى جميع أنحاء العالم .

إن المتتبع لتاريخ الحركة الطلابية العربية فى الخارج يوقن تماماً أن الدبلوماسية الشعبية ، التى تمارسها المنظمات الطلابية قد نجحت بالامكانيات المحدودة فى تعريف الكثيرين ممن يعايشونهم معلومات كثيرة عن حضارة العرب ونهضتهم وتقدمهم وذلك من خلال النشاط الاجتماعى والرياضى كحفلات عرض الفنون الشعبية العربية والموسيقى العربية ومعارض الصور وطوابع البريد وعرض الأفلام وإقامة المباريات الرياضية .

وقد يكون من المفيد أيضاً — فى هذا المجال — دعم علاقات الصداقة مع بعض أصحاب الرأى والأساتذة ورجال الصحافة الأجانب ، فهم أقدر من أبناء الوطن العربى أنفسهم على التأثير على أفراد شعوبهم عن طريق ما يكتبونه أو ينشرونه عن قضايا الوطن العربى وعن الجانب العدوانى الاستعمارى للصهيونية ، واتباعها أسلوب العنف والحرب والابادة ، واحتقارها لقرارات المنظمات الدولية .

وإذا كان اقتصاد العدو اقتصاداً طفيلياً يعتمد فى قيامه ووجوده على المساعدات الأجنبية والمعونات ، ويجد متنفساً لمنتجاته فى أسواق الدول النامية فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية فإن واجبنا نحن العرب تقتضينا فى الظروف الراهنة أن نلاحق اسرائيل فى كل مكان تتسلل إليه ، أو نحاول دخوله ،

وأن نكشف نواياها حتى نفوت عليها فرصة كسب هذه الأسواق ، بل ومحاولة كسب هذه الأسواق لصالح العرب سواء على مستوى التصدير أو الاستيراد إن ذلك يتطلب منا لوناً من الحركة الدائبة فى متابعة العدو وغزوه فى أى مكان يحاول التسلل إليه ، وضربه اقتصادياً فى أى معقل يلوذ به ، ويتحتم علينا إزاء ذلك أن نواجه متطلبات الظروف الجديدة القائمة على زيادة الطلب على المنتجات العربية ويقتضينا ذلك على مستوى كل حقل عربى وكل مصنع عربى ، أن نصل بمستوى إنتاجنا إلى أعلى قدر من الجودة بأقل تكلفة ممكنة حتى تكون هذه المعركة الاقتصادية مكفولة النجاح . ولا شك أن ذلك يضع العدو فى جو خانق لايحسن معه التحرك إلى هذه الأسواق أو الحصول على خاماتها بأسعار بخسة . ولسنا فى حاجة إلى القول بأن ذلك يتطلب تنسيقاً كاملا فى الظروف الراهنة بين كل أقطار الوطن العربى حتى يتخصص كل قطر فى تصدير ما يجيد إنتاجه من منتجات عربية ، واستيراد ما يحتاج إليه من خامات من أسواق الدول النامية .

إن ذلك فى الواقع يضعف من امكانيات العدو الاقتصادية — وهى ضعيفة بالفعل لأنها لا تملك مقومات الاستمرار ، لاعتمادها على المساعدات والمعونات الأجنبية باستمرار ، وذلك بالتالى يؤثر على قوتها العسكرية ، إذ أن الاقتصاد الاسرائيلى المعتمد على الخارج يوجه فى الأساس إلى أغراض الحرب والتسلح .

وإذا كانت المعركة العربية فى مواجهة الصهيونية تنبع من وحدة العدو ووحدة الهدف العربى فى القضاء عليه ، فان ذلك يضع على عاتق كل قطر عربى مسئوليه مادية إزاء المعركة تتفق وإمكانياتها ومواردها بحيث تتحمل جانب من تضحيات الحرب يتناسب مع هذه الإمكانيات والموارد ، ولعل الوطن العربى وهو واحد : تاريخاً وواقعاً ومصيراً لا يأتى بذلك أمراً غريباً حتى على المستوى العالمى ، فلقد عرف التاريخ تضامن الشعوب المختلفة النظم والحضارة والأمانى ، فى سبيل إحراز النصر ، إن دول أوربا وأمريكا تعاونت أثناء الحرب العالمية الثانية تعاوناً وصل إلى حد الالتحام بين مواردها فى مواجهة الخطر النازى

والفاشى الذى كان يهددها ، لقد كانت الموارد البشرية والمادية لهذه الشعوب الغربية عن بعضها توجه إلى أى جبهة معادية للنازية ، ولقد أثبتت معارك يونيو أن العربى فى كل مكان يعتبر أى قطر عربى وطنه ، عليه واجب البذل والتضحية والفداء له ، وفى مرحلتنا الراهنة أمكن عن طريق مؤتمر الخرطوم أن تظهر هذه البادرة من جانب الدول العربية التى ضمها المؤتمر .

ويسوقنا هذا الحديث عن التكامل الاقتصادى العربى كسلاح فعال فى مواجهة العدو ، فالتكامل الاقتصادى العربى قضية مطروحة منذ وقت ليس بالقريب ، بحثت فى مجالات كثيرة رسمية وشعبية بهدف النهوض باقتصاديات الدول العربية ، وإيجاد قاعدة صناعية متكاملة لا متنافسة ، وفتح الأسواق الخارجية أمام المنتجات العربية ، واستغلال الموارد المعطلة ، وفتح مجالات العمل للأيدى العربية الآخذة فى الزيادة ، ورفع مستوى معيشة السكان . واستغلال خيرات الوطن العربى لصالح أبنائه ، إذا كانت هذه أهداف التكامل الاقتصادى العربى فى الظروف العادية ، وهى أهداف ملحة بلا شك ، فانه يكون أدعى وأوجب أن يتحقق هذا التكامل لأغراض الحرب فى مواجهة العدو وتخطى النكسة واسترداد الأرض المحتلة . إن دعم المجهود الحربى العربى كوحدة متكاملة لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان مدعوماً بتكامل اقتصادى عربى يحقق للجيش الرابض على خط النار كل احتياجاته من معدات الحرب والاستهلاك وذلك يقتضى تعبئة شاملة لكافة الموارد العربية وتوجيهها لخدمة المجهود الحربى العربى كأسبقية أولى ثم لخدمة الأهداف الأخرى بعد ذلك .

وأخيراً وليس آخراً ، فانا نود أن نؤكد أن هذه اللمحات ليست كل جوانب الصورة فى مواجهة العدو الصهيونى فهناك جوانب كثيرة فى مقدمتها العمل العسكرى المنظم والعمل الفدائى والجبهة الداخلية فى كل أرض عربية وضرورة تماسكها وتلاحمها ومساندتها للقوات التى تواجه العدو فى كل ميدان ، ثم تكتيك

واستراتيجية التحرك العربى فى مواجهة الصهيونية واستخدام البترول العربى كسلاح فعال فى المعركة والأرصدة العربية فى البنوك الأجنبية . . . كل هذه وتلك خطوط عريضة لجوانب من صور المواجهة العربية للصهيونية .

* * *

على أننا فى الختام وقد عرضنا سريعاً للأبعاد المختلفة المحددة لمسار الصهيونية والقوى الضاغطة عليها لا يخالجنا شك فى أن مواجهة الأمة العربية الصهيونية هو الخط الأساسى للقضاء على الصهيونية العالمية وتجنيب العالم ويلات حركة عنصرية عدوانية استعمارية .

ولا شك أن قوى الثورة العربية النامية على امتداد الساحة العربية كلها قادرة بعزمها وتصميمها وثقتها بنفسها ، وثقتها فى الله ، على أن تتصدى لكافة أعداء الأمة العربية وفى مقدمتها العدو الصهيونى ، ليتحقق للأمة العربية أمانيها فى حريتها واشتراكيتها ووحدتها .

ملاحق احصائية

أهم الاعتداءات الإسرائيلية وعدد تصريحات السلام الرسمية

(١٩٤٨ — ١٩٦٧)

السنوات	عدد الاعتداءات الهامة	عدد عروض السلام
١٩٤٨	احتلال جزء من فلسطين	٩
١٩٤٩	١٦	٥
١٩٥٠	٥	٥
١٩٥١	١٠	٤
١٩٥٢	٣	٩
١٩٥٣	٣	٦
١٩٥٤	٢٣	٩
١٩٥٥	١٤	١٤
١٩٥٦	١٧ + العدوان على سيناء	١٣
١٩٥٧	٥	٧
١٩٥٨	٢	٤
١٩٥٩	٣	٢
١٩٦٠	٥	٢
١٩٦١	٦	—
١٩٦٢	٢	١
١٩٦٣	٣	١
١٩٦٤	١٨	٣
١٩٦٥	٤٠	٥
١٩٦٦	٦	٤
١٩٦٧	١٥	٣

المصدر : العنف والسلام : دراسة فى الاستراتيجية الصهيونية ـ ابراهيم العابد ـ من دراسات مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية (مارس ١٩٦٧)

الاعتداءات الاسرائيلية على الحدود المصرية (١٩٤٩ — ١٩٦٦)

السنوات	عدد الاعتداءات
١٩٤٩	١٦
١٩٥٠	٤٤
١٩٥١	٨٧
١٩٥٢	١٥٥
١٩٥٣	١٧٤
١٩٥٥	٢٧٦
١٩٥٦	٣٢٤
١٩٥٧	٤٢
١٩٥٨	٦٥
١٩٥٩	٦٣
١٩٦٠	٦٠
١٩٦١	٧٠
١٩٦٢	٦٥
١٩٦٣	١٩٢
١٩٦٤	٦١٣
١٩٦٥	٥٩٥
١٩٦٦	٣٩٢
المجموع	٣٤٩٢

الاعتداءات الاسرائيلية على حدود سوريا (١٩٥٥ — ١٩٦٦)

السنوات	عدد الاعتداءات
١٩٥٥	١١٤٦
١٩٥٦	١٠٢٦
١٩٥٧	١١٣٠
١٩٥٨	٣١ ٤
١٩٥٩	٨٢٤
١٩٦٠	١٧٠١
١٩٦١	٣٤٦٩
١٩٦٢	٤٥٩٧
١٩٦٣	٤١٦٩
١٩٦٤	٤٣١٠
١٩٦٥	٤٧٢٦
١٩٦٦	٤١٨١
المجموع	٣٤٣٨٤

المصدر : أنباء القاهرة مصلحة الاستعلامات ج . ع . م العدد الرابع ٣ يونية ١٩٦٧

الاعتداءات الاسرائيلية على الحدود اللبنانية (١٩٥٨ — ١٩٦٦)

السنوات	عدد الاعتداءات
١٩٥٨	٢٢
١٩٥٩	١٤
١٩٦٠	٩
١٩٦١	٨
١٩٦٢	٤٤
١٩٦٣	٣٦
١٩٦٤	٤٣
١٩٦٥	٨٨
١٩٦٦	٦٤
المجموع	٣٢٨

الاعتداءات الاسرائيلية على الحدود الاردنية (١٩٥٧ — ١٩٦٦)

السنوات	عدد الاعتداءات
١٩٥٧	٤٠١
١٩٥٨	٩٠١
١٩٥٩	٢١٠
١٩٦٠	٤٨٣
١٩٦١	٣٤٥
١٩٦٢	١٧١
١٩٦٣	٢٤٣
١٩٦٤	٦٥٤
١٩٦٥	٥٧٩
١٩٦٦	٣٤٣
المجموع	٤٣٣٠

المصدر : أنباء القاهرة : مصلحة الاستعلامات ج.ع.م العدد الرابع ٣ يونية ١٩٦٧

المراجع العربية

١ — عبد الله التل : خطر اليهودية على الإسلام والمسيحية
(دار القلم — ١٩٦٤)

٢ — شوقى عبد الناصر : بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود
(مطابع دار التعاون للطبع والنشر ١٩٦٧)

٣ — عمر رشدى : الصهيونية وربيبتها إسرائيل (١٦٦٥)

٤ — ت . جنسين : مؤامرة فلسطين (كتب سياسية — رقم ١١٩)

٥ — على إمام عطية : الصهيونية وأرض الميعاد (القاهرة — ١٩٦٣)

٦ — هلمت هايبر : يوميات جوبلز
(ترجمة خيرى حماد — كتب سياسية ١٩٦٣)

٧ — صلاح دسوقى : إمبراطورية إسرائيل (١٩٦١)

٨ — د . كمال الدسوقى } إسرائيل : قيامها — واقعها — مصيرها
عبد التواب سلمان } (دار المعارف ١٩٦٨)

٩ — د . محمد عوض محمد : الاستعمار والمذاهب الاستعمارية
(دار المعارف — ١٩٥٧)

١٠ — ايلين بيتى : أزيلو إسرائيل
(كتب سياسية — رقم ١٥٠)

١١ — د. محمد فؤاد شكرى : ألمانيا النازية (دار الفكر العربى — ١٩٤٨)

١٢ — د. عادل محمد شكرى : النازية (الدار القومية للطباعة والنشر)

١٣ — فؤاد محمد شبل : عصب الحرب (مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر)

١٤ — وليم شيرر : تاريخ ألمانيا الهتلرية (دار الكتاب العربى — بيروت ١٩٦٦) ترجمة خيرى حماد

١٥ — صبرى جريس : العرب فى إسرائيل (من دراسات مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطنية ١٩٦٧)

١٦ — د. فايز صايغ : الاستعمار الصهيونى فى فلسطين (من دراسات مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ١٩٦٥)

١٧ — انجيلينا الحلو : عوامل تكوين إسرائيل السياسية والعسكرية والاقتصادية (من دراسات مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطيتية ١٩٦٧)

١٨ — رفيق حبيب مطلق : إسرائيل قبيل العدوان (من دراسات مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ١٩٦٧)

١٩ — خيرى حماد : أبعـــاد المعركة مع إسرائيل والاستعمار (دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ١٩٦٧)

٢٠ — عقيل هاشم، سعيد العظم : اسرائيل فى أوربة الغربية (من دراسات مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ١٩٦٧)

٢١ — أسعد عبد الرحمن : التسلل الإسرائيلى فى آسيا (الهند وإسرائيل) (من دراسات مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ١٩٦٧)

٢٢ — أحمد الساداتى : هتـــلر (القاهرة — ١٩٣٤)

٢٣ — كمال رفعت : الاستعمار ، الصهيونية ، وقضية فلسطين

٢٤ — أحمد فراج طايع : حق العرب المشروع فى دفع العدوان الصهيونى (بحث مقدم للمؤتمر الثامن لاتحاد المحامين العرب ١٩٦٥)

٢٥ — د سيد نوفل : القومية العربية فى مواجهة الاستعمار الصهيونى
(مصلحة الاستعلامات — القاهرة)

٢٦ — جامعة الدول العربية : (إدارة فلسطين) — محنة المسيحية فى اسرائيل
(١٩٥٧) — اعتداءات اسرائيل ١٩٥٧
— اللاجئون الفلسطينيون .

٢٧ — مصلحة الإستعلامات : (ج . ع . م) محنة المسيحية فى اسرائيل
(يونية ١٩٦٧) جريدة أنباء القاهرة

٢٨ — الاتحاد الاشتراكى العربى : (أمانة الدعوة والفكر) اسرائيل قاعدة
عدوانية

٢٩ — الرئيس جمال عبد الناصر : مجموعة خطبه وأحاديثه الصحفية

٣٠ — الصحف العربية المختلفة :

المراجع الأجنبية

1 — *Der Prozess gegen Hauptkriegsverbrecher*, XLII Bde., Nürnberg 1947 - 1949.

2 — 1939 - 1945 *Der zweite Weltkrieg in Chronik uud Dokumenten*, von Hans Adolf Jacobsen, Darmstadt 1961.

3 — Alfred Lilienthal, *What Price Israel*,

4 — Alan Bullock, *Eine Stndie über Tyranuei*, 2 Bde, Hamburg, 1964.

5 — M.K. El Dessouki, *Hitler und der Nahe Osten*, Phil. Dis., Berlin 1963.

6 — W. Görlitz, *Der zweite Weltkrieg*, 2 Bde, Stuttgart 1951 - 1952.

7 — F. Hinsley, *Hitler's Strategy*, Cambridge University Press 1951.

8 — Adolf Hitler, *Mein Kampf*, München, 1925.

9 — A. Martienssen, *Hitler and his Admirals* Sondon 1948.

10 — J. Fuller, *Der zweit weltkrieg*, wien 1950.

مطبعة دار نشر الثقافة
٢١ شارع كامل صدقي بالفجالة

٥٠٠م